موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين

حكومة الجلايرية

٧٣٨ هـ - ١٣٣٧ م
٨١٤ هـ - ١٤١١ م

تأليف المؤرخ الكبير
عباس العزاوي المحامي

المجلد الثاني

الدار العربية للموسوعات



موسوعة

تاريخ العراق بين احتلالين


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

موسوعة
تاريخ العراق بين احتلالين

حكومة الجلايرية

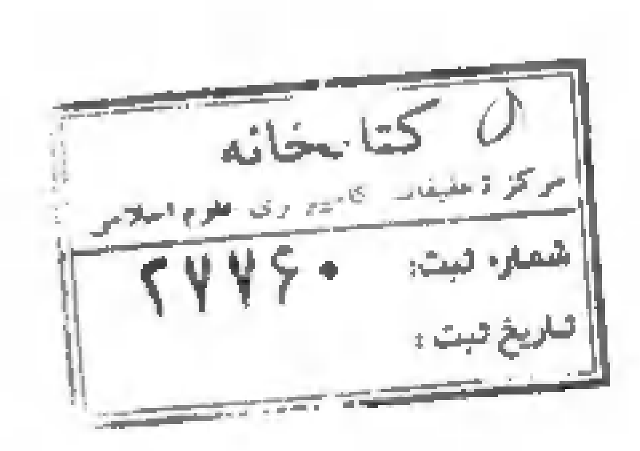
٧٣٨ هـ - ١٣٣٧ م

٨١٤ هـ - ١٤١١ م

تأليف المؤرخ الكبير
عباس العزاوي المحامي

المجلد الثاني

الدار العربية للموسوعات



مثل القوم نسوا تاريخهم كلقيط عيّ في الناس انتسابا
أو كمغلوب على ذاكرة يشتكي من صلة الماضي انقضابا

أحمد شوقي

كان المؤلف الاستاذ عباس العزاوي قد وضع تعليقات واستدراكات عن هذا الجزء في ملحق الجزء الثالث وملحق الجزء الرابع. وقد وضعنا هذه التعليقات في مواضعها من هذا الجزء كما فعلنا في بقية الأجزاء الأخرى وذلك لتيسير الرجوع إليها.

الدار العربية للموسوعات


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه أجمعين.

(وبعد) فللأمم سنن لا تحيد عنها وأنظمة ثابتة تجري عليها، هي القدر المشترك والنفسيات العامة لأفرادها، لا تتغير إلا بعوامل اجتماعية، أو ظهورات وحوادث عظيمة تدعو للتنبيه... وحالة الأمم هذه في أزمانها المختلفة، وأوضاعها المتبدلة تحتاج إلى تدوين لتبيين نفسياتها الاجتماعية وما اعتراها من تطورات عارضة، وحوادث أو نوازل خاصة، ولتوضح منها إدارتها اللائقة بها، ونواميسها السائرة عليها، أو نهجها الذي مضت عليه...

وشرح ذلك يطول، وإنما نقتصر على صفحة من تاريخ هذه التقلبات والطوارىء عن قطرنا تتلو سابقتها، وتسد بعض الحاجة، فنراها الأولى في دراسة عواملنا الاجتماعية، وحوادثنا النفسية لسهولة التفهم وإدراك العلاقة المباشرة من وقائعنا القومية، وحكوماتنا المختلفة...

ومن ثم تتوضح أوضاع السلطة الحاكمة أو المتحكمة وما ترمي

إليه، وما ينزع إليه الأهلون، أو ما يرونه من معارضات شديدة، أو بالتعبير الأولى الاطلاع على تاريخ علاقتها بنا، وروابطها معنا...

وموضوعنا هذه المرة (الحكومة الجلايرية) وهي بعيدة عنا، وغريبة منا وأن كانت إسلامية.. تميل في إدارتها، وروحيتها، إلى ما اعتادته من الاعتبارات القومية... فلم تتدرب على التربية الإسلامية كما يجب ولا تخلقت بأخلاقها الفاضلة في الدرجة اللائقة، لتوافق المثل الأعلى، أو على الأقل لم تأتلف مع ما في نفوسنا.

ومحط الفائدة أن يتطلع العراقي على حوادث هذه الأقوام، وسياستها وتأثيرها علينا وعلى هذا القطر، أو تأثره منها... وهذه بمثابة ترجمة الشخص في أدوار حياته وما لاقاه في أيامه... ويتعين لنا تاريخ القطر في زمان لنعلم ما جرى عليه خلال هذا العصر، وما انتابه من مصائب وآلام، وحوادث أخرى... وهنا نرى القسوة والظلم قد بلغا منتهاها، نعم صار العراق موطن الحكم، ومقر السلطنة إلا أن العنصر التتري كاد يتغلب عليه كما تحكم فيه، والسلطة قوية لم يستطع دفعها، أو رفعها... والثقافة الفارسية كانت تسوده وتسيطر عليه...

وأراني في غنى عن إيضاح ما بذلته من جهود لتثبيت ما تمكنت من جمع شتاته، والأخبار المختلفة فيه، والنزعات المتضاربة للتأليف بينها، والتقريب لما بعد منها. حتى حصل ما أقدمه الآن للقراء الأفاضل ولعلهم يجدون ما يطمئن بعض الرغبة بالوقوف على صفحات متقطعة، غير موصولة من تاريخه في وقت معين، وفيها ما يشير إلى ما وراءها... فإن وافق الرغبة فهو ما آمله وإلا فكم سارٍ غرّه قمر،

فتاه في بيداء...

المراجع التاريخية

مراجعنا في هذا العهد غامضة، وفي الوقت نفسه قليلة بالرغم من كثرتها وتعددها. من ناحية أن كلاً منها لا يخلو من نقل عن الآخر رأساً أو بالواسطة. وفي الحقيقة أمهات المراجع قليلة، ونرى الفرق كبيراً جداً بين حكومة المغول السابقة، وبين هذه الحكومة. فإن المراجع الرسمية وغير الرسمية هناك كانت كثيرة جداً، وقد مر بنا منها ما يكاد يجعلنا نقول بأنه لم يبق خفاء خصوصاً منها ما يعود إلى التاريخ العلمي والأدبي على خلاف هذه الحكومة فإن السلطان حسين الجلايري مثلاً دام حكمه في بغداد نحو العشرين سنة وهو مؤسس السلطنة فيها ولم نذكر له من الحوادث ما يصلح أن يدون كرقعة أو وقائع مطردة ومتتابعة...

وهكذا من جاء بعده. فنرى العلائق الخارجية عديدة في حين أن الحوادث الداخلية تكاد تكون مفقودة. والمعلوم أن هذا القطر لا يقف عند تلك الحوادث ساكناً هادئاً لطول هذه المدة، وبهذا الصبر الجميل مع أننا نجد أوضاعه متبدلة وأطواره متغيرة دائماً كتغير هوائه وفصول سنيه.

وأساساً إن هذا العهد يعد من أنحس الأدوار وأسوئها وأيامه كلها أو غالبها ظلم وقسوة، وسياسته متبدلة الأهواء والنزعات، لم تدع مجالاً لأحد أن يفكر في تدوين الحوادث عنها، أو أن اضطرابها وتموجها مما دعا أن تهمل أو أن هناك وقائع قد سجلت بمختلف صفحاتها ولكنها لم

تصل إلينا. ولم يردنا إلا بعض النتف منها. فانعدمت لما انتابته من ثورات وكوارث، أو بقيت في زوايا النسيان والإهمال حتى هلكت. جاءتنا أكثر وقائعه من طريق المجاورين والأجانب عنا أو البعيدين فلم يذكروا سوى ما له ارتباط بحوادثهم، أو مساس بأوضاعهم. ولم يردنا عن رجال هذا المحيط إلا النزر القليل. والمؤرخون العراقيون قليلون وربما صاروا مرجعاً في بعض حوادثه، وأكثرهم أيام تيمور، وغالبهم عجم، أو ترك، والمصريون والسوريون بعيدون ولكنهم كتبوا كثيراً عن هذه الأيام، ودونوا ما يهمهم ذكره دون خصوصيات العراق إلا عرضاً أو ما وصلهم خبره وفي كل أحوالهم نجدهم يتألمون لمصاب العراق على طول المدى وشقة البعد ويستطلعون أنباءه دائماً ويدونون ما وصلهم.

وعلى كل حال نذكر المراجع التالية، ونشير إلى المآخذ الأخرى خلال الحوادث إذ لا نرى طائلاً وراء بيان جميع ما عولنا عليه، أو اعتمدنا من المآخذ.

بزم ورزم:

مؤلف في الفارسية لعزيز بن أردشير الاسترابادي طبع في استانبول سنة ١٩٢٨ في مطبعة الأوقاف وفيه مطالب قيمة عن العراق بهذا العصر الذي نكتب عنه، والمؤلف كان نديم السلطان أحمد الجلايري. استطرد في بعض المواطن إلى ذكر العراق وإن كان موضوعه خاصاً بالقاضي برهان الدين السيواسي. وأورد صاحب عجائب المقدور اسم المؤلف بلفظ (عبد العزيز) ومثله جاء في كشف الظنون. وفي الكتاب اسم المؤلف ووالده وبلده بالوجه المشروح وكان في صباه جاء إلى بغداد وقضى شبابه فيها ولما ورد تيمور بغداد في ٢٠ شوال سنة ٧٩٥ هـ وضبطها فر المؤلف والسلطان أحمد إلى أنحاء المشهد (النجف الأشرف) وقد وافى المشهد ثلة منهم فقبضوا على المؤلف وجاؤوا به

إلى الحلة وسلموه إلى ميران شاه (ابن الأمير تيمور) فعطف عليه ولطف بحياته فبقي مدة عنده، ولم يقف الجيش عند بغداد فتوجه نحو ديار بكر فانتهز الفرصة ليلاً من بين ماردين وآمد وفر إلى صور ومن هناك إلى سيواس فوصلها في ١١ شعبان لسنة ٧٩٦ هـ ـ ١٣٩٤ م فنال كل رعاية من السلطان برهان الدين وكان قد أمره السلطان بكتابة تاريخ هو «بزم ورزم». وأن ابن عربشاه لم يتعرض للصلة بينه وبين السلطان أحمد الجلايري في حين أنه يشير إلى أن السلطان أحمد بعد أن جلس على تخت السلطنة قتل في أمرائه المعروفين ومن هم تربية السلطنة وأعيان رجالها الواحد بعد الآخر واتصل بجمع من الأجلاف وأصحاب السفاهات والدنايا فكان نديمهم، اتخذ أمراء من الأوباش ومن لا يعرف. فاضطربت الأحوال وتشوشت الأمور. وفي أول الأمر هاجم توختامش تبريز سنة ٧٨٧ هـ ـ ١٣٨٦ م في ذي الحجة فدمرها وقتل منها خلقاً عظيماً ثم هاجمها بعد تسعة أشهر فاتح آخر وقاهر أعظم فقضى على البقية وهو تيمورلنك فكان كسيل تقدمهم جارفاً فخربوا إيران، وأضروا بالخلق إضراراً بالغاً فاضطر السلطان أحمد أن يترك تبريز فالتجأ إلى بغداد. ولكنه وهو في هذه الحالة لم يتنبه ولم يؤدبه الزمان وإنما استمر فيما كان فيه من سوء الحالة ومصاحبة الأشرار والأنذال ولم يعتبر بما جرى فكان المؤلف يأسف لما وقع منه ولما هو دائب عليه، وكان في نيته أن يأتي إلى السلطان برهان الدين، ولم يرض من سوء إدارة السلطان أحمد وإنما كان من المتذمرين الناقدين.

قدم هذا الكتاب إلى السلطان برهان الدين بعد أن ورد إليه سنة ٧٩٦ وبقي عنده إلى سنة ٨٠٠ هـ ثم إنه بعد ذلك سار إلى مصر، وعاش في القاهرة، وكان متبحراً في الآداب العربية ومتأثراً بها وله شعر فائق في العربية والفارسية. فحط رحاله هناك بعد أن رأى من المصائب ضروباً ومن الأرزاء أنواعاً.

وإن صاحب عجائب المقدور قد أثنى عليه وعده من عجائب الدهر، ورجح كتابه بزم ورزم على تاريخ العتبي وإن نظمي زاده مرتضى قد بين أن له ديواناً عربياً وآخر فارسياً إلا أنه لا يعرف طريق توصله إلى هذا ولعله استفاد ذلك من قول صاحب عجائب المقدور.

وهذا ما قاله عنه ابن عربشاه:

«ثم إن الشيخ عبد العزيز (عزيز) هذا بعد لهيب هذه الثائرة انتقل إلى القاهرة ولم يبرح على الأبراج ومعاقرة راح الأتراح حتى خامرته نشوة الوجد فصاح وتردى من سطح عال فطاح ومات منكسراً ميتة صاحب الصحاح» اهـ.

وأما مرتضى آل نظمي فإنه أشار إلى أنه كان مقبولاً عند الأكابر، ومرغوباً لدى الأفاضل، فمضى أوقاته بهذه الصورة إلا أنه كان مبتلى بالشرب. ولما كان شارباً ثملاً سقط من مكان عال فهلك وانتقل إلى الدار الآخرة.

والكتاب يبين عن خبرة واطلاع في الأدبين العربي والفارسي نثراً ونظماً وأنه كان ذا قدرة على البيان وبين ما أورده من الشعر ما هو من قوله ونظمه سواء كان عربياً أو فارسياً وكان أول وروده إلى السلطان برهان الدين مدحه بقصيدة عربية وأن تحصيله كان عربياً ونشأته في العراق فكانت تغلب عليه العربية أكثر من الفارسية واهتمامه بها أزيد إلا أن القوم لا يعرفون العربية وكانوا أقرب للتأثر بالآداب الفارسية فاضطر أن يكتبه باللغة الفارسية وكانت معاملات القوم ومحرراتهم فارسية فاللغة المعروفة هناك الفارسية. ولم يشر المؤلف إلى أنه كان يعرف التركية ولكن التأليف يشعر بقدرة وإتقان علمي أدبي لهذا الرجل، وهكذا يقال عن معرفته بالفلك وتعبير الرؤيا، وأنه مختص بهما، أما التصوف فنجده متأثراً بالقسم الغالي منه ويطري جلال الدين الرومي، ويثني على الشيخ محيي الدين.

والملحوظ أن هذا الأثر لا تنكر علاقته بالعراق، وأنه متأثر بآدابها في ذلك العصر، وإننا نستطيع أن نعرف عقلية المتعلمين من أكمل رجل منهم، وتاريخ السلطان أحمد ولو بنظرة عامة وبصورة إلمامة من رجل عراقي. يميط اللثام عن وجه الحقائق فتخرج ناصعة المحيا، وقد طبع على نسخة أيا صوفية المرقمة ٣٤٦٥ مع مقابلته بنسخ أخرى خطية وهذه النسخة مكتوبة بخط خليل بن أحمد الخطاط المشهور الذي كتب بخطه ديوان القاضي برهان الدين ومنه نسخة في المتحفة البريطانية ومنه نسخة في الأندرون، وأخرى في مكتبة أسعد أفندي، ونسخة في مكتبة راغب باشا. وقد برز بوضعه الصحيح ونال تدقيقاً زائداً، وهو وإن كان يخص غير العراق فما ذكره عن العراق كان عمدة فيه، وصاحب خبرة ومعرفة، ومعولنا كان على المطبوع المذكور.

ولو كنا عثرنا على ديوان عربي أو فارسي للمؤلف لعلمنا شيئاً كثيراً عن قطرنا المحبوب كما علمنا من ديوان سلمان الساوجي، ولاطلعنا على وقائع تأثر بها الرجل تدعو لكشف المجهول. ولعل التنقيب والتتبع يؤديان إلى الغرض.

عجائب المقدور في نوائب تيمور:

وهذا من أقدم المراجع الخاصة، لأحمد بن محمد بن عبد الله بن عربشاه المتوفى عام ٨٤٥ هـ ـ ١٤٤٢ م وكان قد ولد سنة ٧٩١ هـ ـ ١٣٨٩ م ويعرف بالعجمي أيضاً، وعليه الاعتماد في وقائع هذا الفاتح لدى كافة المؤرخين. أوضح حوادثه حتى خصوصياته وأحواله النفسية كأنه من مدوني وقائعه والملازمين له.

ولا نجد الفرق كبيراً بين ما ذكره، وما كتبه مؤرخو دولته، وإنما يصلح للمقارنة، والمقايسة مع مباحث أولئك وما سجله فهو من الوثائق المعارضة. قال المؤلف في مقدمة كتابه:

«وكان من أعجب القضايا بل من أعظم البلايا الفتنة التي يحار فيها اللبيب، ويدهش في دجى مندسها الفطن الأريب، ويسفه فيها الحليم، ويذل فيها العزيز ويهان الكريم، قصة تيمور، رأس الفساق، الأعرج الدجال، الذي أقام الفتنة شرقاً وغرباً على ساق. فتحققت نجاسته بهذا الغسل، أردت أن أذكر منها ما رأيته وأقُصّ في ذلك ما رويته...» اهـ وأثبتت التدقيقات التاريخية أنه من أصدق المؤلفات، وأحقها بالأخذ، ومما يركن إليها إلا في بعض المواطن التي ظهر أنها كتبت بتحامل فلا يزال محتفظاً بقيمته التاريخية إلى اليوم بالرغم مما يتبين أنه ساخط على تيمور.

والكتاب لم يقف عند تحرير وقائعه التاريخية والاكتفاء بها وإنما هو تاريخ الحكومات المعاصرة له، والتي قارعها واستولى عليها وخاصة ما يتعلق بالعراق، والحكومة الفراقية (الجلايرية). فقد تعرض لها كثيراً. وأبان في موضوعها عن سعة علم واطلاع أتمه عام ٨٤٠ هـ (١٤٣٧ م).

ومما يستحق الذكر هنا أن المؤلف عول في بعض وقائعه فيما يخص تيمور والعراق على عالم عراقي هو تاج الدين أحمد النعماني القاضي الحنفي الحاكم ببغداد فقد قصها نقلاً عنه، وأن حادثة بغداد وقعت يوم الأضحى سنة ٨٠٣ هـ إلا أنها لا تخلو من مبالغة هي من لوازم عبارات الناقل والتزاماته في السجع والتهويل كما هو جاري عادته[١].

ولا يفوتنا أن نقول: إن المؤلف ثقة في هذه الحوادث لما كان له من الاتصال الكبير بعلماء الترك والعجم. فقد تجول في سمرقند وبلاد الخطا وما وراء النهر وبرع في فنون العلم، وأتقن الفارسية، والتركية،

(١) عجائب المقدور ص ١١٩.

والعربية، والخط المغولي. وكان يقال له ملك الكلام في اللغات الثلاث، واستمر في تجواله إلى بلاد الدشت وسراي، ثم جاء إلى قرم، ثم قطع بحر الروم (البحر الأسود) إلى مملكة العثمانيين فأقام بها نحو عشر سنين، وباشر عند سلطانها ديوان الإنشاء، وكتب عنه إلى ملوك الأطراف. فبالعجمي لقرا يوسف ونحوه، وبالتركي لأمراء الدشت وسلطانها، وبالمغلي لشاه رخ وغيره، وبالعربي للمؤيد شيخ. ثم رجع إلى وطنه القديم فدخل حلب، ثم الشام وقد أطنب صاحب الضوء اللامع في ترجمته وبيان مؤلفاته ومن بينها (فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء)، وكان ممن شاهده ونقل عنه[1].

غلب على المؤلف الأدب والسجع، واستعمل ألفاظ الذم والتزم التنديد بتيمور وشتمه بما شاء. وكل هذا لم يقلل من شأن الكتاب فلم ينحرف عن تثبيت الواقع وتدوين الصحيح قدر وسعه واستطاعته. بالرغم من كرهه لتيمور والسخط عليه، وكم بينه وبين شرف الدين اليزدي من التخالف في الفكرة؛ فيرى هذا أن وجود تيمور نعمة، وذاك يعده نقمة.

طبع الكتاب في أوروبا ومصر مراراً إلا أن الطابعين لم يراعوا فيه الاعتناء في صحة إعلامه ومع كل هذا نال مكانة وحظاً وافراً من الاهتمام لدى مؤرخين تالين له. لخصه المقريزي، ونقل عنه مؤرخون لا يحصون حتى عصرنا وترجم إلى التركية. ولا يسع المقام بيان ترجمة المؤلف بإسهاب فلها موطن غير هذا.

تاريخ تيمورلنك:

لمرتضى البغدادي من آل نظمي والمؤلف هو صاحب كلشن خلفا، وذيل سيرنايي. وقد أوضحت عنه في لغة العرب ووصفت مؤلفاته وهذا

---

(١) الضوء اللامع: ج ٢ ص ١٢٦.

الكتاب ترجمة «عجائب المقدور» إلى اللغة التركية كتبه أولاً على الطريقة التي نهجها مؤلف الأصل من التزام السجع والبلاغة المنمقة في تركيباته وكان ذلك عام ١١٠٠ هـ ـ ١٦٨٩ م وقدمه لوالي بغداد آنئذ الوزير علي باشا إلا أن الوزير إسماعيل باشا والي بغداد طلب إليه تسهيل العبارات ومراعاة البساطة فيها بالترجمة ليكون مفهوماً للكافة فأجاب الطلب عام ١١٣١ هـ ـ ١٧١٩ م أيام ولايته فذلل صعابه وأخرجه بشكله المعروف. وإن ترجمته ذكرها صاحب كشف الظنون عند الكلام على عجائب المقدور وسماها في موطن آخر بـ (تيمورنامه).

طبعت الترجمة السهلة بعنوان (تاريخ تيمورلنك). وهذه أضاف إليها المترجم أولاد تيمور وأخلافه من بعده وبذلك أضاف فائدة جديدة تزيد على الأصل ولكنه من أخرى طوى بعض المباحث فكادت تعدم الغرض منه لولا وجود الأصل والنظار.

التاريخ الغياثي:

تأليف عبد الله بن فتح الله البغدادي الملقب بالغياث المتوفى أواخر العصر التاسع، كان حياً عام ٨٩١ هـ (١٤٨٦ م) وسمي هذا الأثر بـ (التاريخ الغياثي)، ويتعلق بالعراق في غالب مباحثه، وتهمه حوادثه أكثر من غيره، وفيه سعة نوعاً وإن كان لم يراع السنين وترتيبها، ولغته عراقية عامية، وهو مغلوط في أكثر المواطن، وفيه نقص كما نبهت على ذلك في حينه.

وكل هذا لم يقلل من قيمة الكتاب، ومن السهل تعيينها بالمراجعة إلى الآثار الأخرى لتحقيق ما جاء فيه، ولتوسيعه منه. فيستفاد من التفصيلات الواردة خلال سطوره..

أوله: «الحمد لله الباقي بعد فناء خلقه الخ».

وجاء في مقدمته:

«إن من كثرة الفتن، وتواتر الإحن التي جرت بأرض العراق لم يضبط أحد تواريخها من دور الشيخ حسن إلى يومنا هذا أولاً من عدم أهل هذا العلم ومن ينظر فيه؛ وثانياً أن أكثرها تواريخ ظلم وعدوان تركها خير من ذكرها، لأن هذا الدور الذي نحن فيه يسمى (دور الإدبار) «إلى أن قال»:

فما كان من زمن آدم ﷺ إلى أيام السلطان أبي سعيد ملتقط من نظام التواريخ للقاضي ناصر الدين عمر البيضاوي[1] وغيره، وما كان من زمان الشيخ حسن (أول سلاطين الجلايرية) إلى يومنا هذا لم أنقله من كتاب بل نقلته من أوراق وحواشي، وأكثره من ألسن الراوين؛ وبعض ما جرى في زماننا، وكتابه عالمون، فكتبت ذلك وحويته في هذه الأوراق، والعهدة على الراوي، لا على الحاكي» اهـ، والنسخة الوحيدة من الكتاب وجدتها لدى الأستاذ الفاضل واللغوي المعروف انستاس ماري الكرملي ونقلت نسختي المخطوطة منها.

والملحوظ فيها أن المؤلف يكرر المباحث عند كل حكومة لها علاقة بأخرى في الاثنتين لأدنى علاقة ولما كانت النسخة ساقطة بعض الأوراق، ومضطربة المباحث لتشوش في ترتيب أوراقها كما يظهر فمن السهل أن يتلافى النقص نوعاً، وهكذا فعلت أثناء تثبيت الحوادث مع تمحيص وعرض على النصوص التاريخية الأخرى ومقابلتها وتنبيه على

---

(١) مر وصف كتابه في المجلد الأول وهو صالح للتصحيح بالعودة إلى الأصل للبيضاوي المتوفى بتبريز سنة ٦٨٥ هـ - ١٢٨٧ م وهو المشهور والمنقول عن الوافي بالوفيات وغيره. وفي طبقات السبكي توفي سنة ٦٩١ هـ وفي مرآة الجنان سنة ٦٩٢ هـ انتهى مؤلفه منه سنة ٦٧٤ هـ وطبع في طهران وفي الهند ومنه نسخة في مكتبة نور عثمانية رقم ٣٤٥٠.

المشتبه. استناداً إلى إيضاحاته في هذا العهد وما يليه وغالبه في أيامه وهو القسم الأخير من كتابه، وكله مما يهم موضوعنا...

والنقول عنه من الكتب الأخرى مما يكمل مباحثنا، ويسد النقص الذي في الكتاب خصوصاً ما جاء عن المشعشعين. هذا ولا ننس أن المؤلف يتعصب للحكومات الأخيرة فيتألم لمصاب هذه، أو يفرح كما يستدعي وضع تأثره، وفيه بيان عن بعض الأشخاص... وهكذا.

تحرينا مراجع تاريخية كثيرة فلم نعثر على ترجمة وافية، ولا على نسخة ثانية لأثره هذا، وإنما نرى بعض الكتب مثل مجالس المؤمنين تنقل عنه بعض المطالب ولكنها لا تصلح بحال لإكمال جميع نقصه. وعندي نسخة خطية تسمى بـ (الأنوار) في رجال الشيعة وتراجمهم تذكر المؤلف في عداد هؤلاء ولم تتوسع في تاريخ حياته، ولا ذكرت عام وفاته وإنما اكتفت بذكر اسمه وأثره تاريخاً هو الموضوع البحث.. وهو عراقي سكن سورية مدة كما يفهم من خلال سطور كتابه...

والنسخة الأصلية قديمة وإنها المكتوبة في عصر المؤلف، أو هي نسخة المؤلف. وقد وصفها صاحب لغة العرب ونقل عنها الكتاب عندنا الشيء الكثير...

انباء الغمر في ابناء العمر:

للشيخ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ (١٤٤٩ م) وللمؤلف آثار مهمة ونافعة جداً مر منها في تاريخ المغول[1] كتاب (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) وهو أحد مراجعنا في هذا المجلد أيضاً. أما كتابه هذا وهو الأنباء فإنه مرتب على حوادث السنين وترتيبها، يبتدىء من حوادث سنة

(١) تاريخ العراق بين احتلالين، المجلد الأول.

٧٧٣ هـ، قد شاهدت منه نسخاً عديدة في مختلف مكتبات الأستانة. والكتاب من أفضل المؤلفات للعصر الذي كتب عنه. ومنه الجلد الأول في مكتبة السيد نعمان خير الدين الآلوسي برقم ٣٧٤٤ من كتب الأوقاف العامة ببغداد والنسخة قديمة وغلافها مذهب وتجليدها نفيس. أولها: الحمد لله الباقي الخ. قال في مقدمتها:

هذا تعليق جمعت فيه حوادث الزمان الذي أدركته منذ مولدي سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وهلم جرا مفصلاً في كل سنة أحوال الدول من وفيات الأعيان مستوعباً لرواة الحديث خصوصاً من لقيته أو أجاز لي وغالب ما أورد فيه ما شاهدته أو تلقفته ممن أرجع إليه أو وجدته بخط من أثق به من مشايخي ورفقتي كالتاريخ الكبير للشيخ ناصر الدين ابن الفرات، ولحسام الدين ابن دقماق وقد اجتمعت به كثيراً وغالب ما أنقله من خطه ومن خط ابن الفرات عنه، وللحافظ العلامة شهاب الدين أحمد ابن علاء الدين حجي الدمشقي وقد سمعت منه وسمع مني، والفاضل البارع المفنن تقي الدين أحمد المقريزي، والحافظ العالم شيخ الحرم تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي القاضي المالكي.. والحافظ المكثر صلاح الدين خليل بن محمد بن محمد الأقفهسي وغيرهم. وطالعت عليه تاريخ القاضي بدر الدين محمود العيني وذكر أن الحافظ عماد الدين ابن كثير عمدته في تاريخه وهو كما قال لكن منذ قطع ابن كثير صارت عمدته على تاريخ ابن دقماق حتى كاد يكتب منه الورقة الكاملة متوالية وربما قلده فيما يهم فيه حتى في اللحن الظاهر مثل اخلع على فلان وأعجب منه أن ابن دقماق ذكر في بعض الحادثات ما يدل أنه شاهدها فكتب البدر كلامه بعينه بما تضمنه وتكون تلك الحادثة وقعت بمصر وهو بعد في عينتاب ولم أتشاغل بتتبع عثراته بل كتبت منه ما ليس عندي مما أظن أنه اطلع عليه من الأمور التي كنا نغيب عنها وتحضرها. (إلى أن قال): وهذا الكتاب يحسن من حيث الحوادث أن يكون ذيلاً

على ذيل تاريخ الحافظ عماد الدين ابن كثير[1] فإنه انتهى في ذيل تاريخه إلى هذه السنة ومن حيث الوفيات التي جمعها الحافظ تقي الدين بن رافع فإنها انتهت أيضاً إلى أوائل هذه السنة.. ثم قدر الله سبحانه لي الوصول إلى حلب في شهر رمضان سنة ٣٦ فطالعت تاريخها الذي جمعه الحاكم بها العلامة الأوحد الحافظ علاء الدين ذيلاً على تاريخها لابن العديم. وسمعت منه أيضاً وسمع مني...» الخ.

هذا ما قاله وأعتقد فيه الكفاية لبيان قيمة هذا الأثر الجليل والتعريف بمزاياه.

وحوادث هذا المجلد تنتهي بسنة ٨١٢ هـ والمجلد الثاني تنتهي حوادثه في سنة ٨٥٠ هـ وبه يتم الكتاب. أما نسخة الآلوسي فلا شك أنها خير ما رأيت من النسخ صحة وإتقاناً، والأولى مراجعتها عندما يراد طبع هذا السفر الجليل. وفي دار الكتب المصرية نسخة منه في مجلدين بخط عادي رقم ٢٤٧٦ منقولة عن نسخة مكتبة الأزهر. وعليه عولنا كمرجع في حوادث هذه الأيام وما وجدناه فيه مباحث فهو ثقة، ولا قول فيه والنسخة واضحة وخطها جميل ولم يكن فيها تاريخ وقد تداولتها الأيدي ووصلت العراق من الشام.

الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع:

لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ هـ (١٤٩٧ م) رتبه على الحروف، وقد صنف السيوطي في رده مقالة سماها: (الكاوي في تاريخ السخاوي) وشنع عليه فيها، وانتخبه الشيخ

(١) إن تاريخ ابن كثير الأصلي المسمى البداية والنهاية وصل فيه مؤلفه إلى آخر حوادث سنة ٧٦٧ هـ وفي كشف الظنون أن تاريخه على ما هو المشهور انتهى إلى آخر سنة ٧٣٨ هـ.

زين الدين عمر بن أحمد الشماع المتوفى سنة ٩٣٦ هـ ١٥٣٠ م وسماه: (القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوي) وكذا الشهاب أحمد بن العز محمد الشهير بابن عبد السلام المتوفى سنة ٩٣١ هـ ـ ١٥٢٥ م وسماه: (البدر الطالع من الضوء اللامع) واختصره الشيخ أحمد القسطلاني وسماه: (النور الساطع في مختصر الضوء اللامع)[١].

والكتاب جليل في موضوعه وهو على نسق الدرر الكامنة وفيه فوائد عن عراقيين كثيرين ولكنه لا يتكلم عليهم في الغالب إلا عرضاً أو لعلاقة اتصال بهم لأنهم ذهبوا إلى أنحاء سورية ومصر. طبع في هذه الأيام (سنة ١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٦ م) في أجزاء عديدة ولم يتم طبعه لحد الآن. منه نسخة في مكتبة آل باش أعيان في البصرة والجلد الأول منه في مكتبة السيد نعمان خير الدين الآلوسي بين كتب الأوقاف.

تزك تيمور:

هو تاريخ السلطان تيمور وتدابيره الحربية والسياسية أملاها لنفسه في اللغة المغولية وترجمها إلى الفارسية أبو طالب ومن الفارسية نقلت إلى الفرنسية وطبعت سنة ١٧٨٧ م نقلها إلى لغته المستشرق المعروف الأستاذ (لانگله)[٢]، وهذه النسخة الإفرنسية موجودة في مكتبة جامعة جنويز ومنها ترجمها مصطفى رحمي إلى التركية باسم (تيمور وتزوكاتي) طبعت عام ١٣٣٩ هـ وقد عولنا عليها وعلى النسخة الفارسية المطبوعة

(١) كشف الظنون، ج ٢ ص ٨٥.

(٢) لانگله مستشرق افرنسي ولد في پرين سنة ١٧٦٣ م وتوفي عام ١٨٢٤ م درس أغلب اللغات الشرقية وصار أستاذاً للفارسية والماليزية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس، وعين أستاذاً في أكاديمية الرقم وأمين المخطوطات الشرقية في مكتبة باريس. وترجم إلى لغته «تزك تيمور» أو «نظاماته السياسية والعسكرية»، وله مؤلفات أخرى.

في بمبي للمرة الأولى في مطبعة فتح الكريم بتاريخ ٢٩ شعبان سنة ١٣٠٧ هـ وهذه النسخة مطبوعة على طبعة كلارن في لندن سنة ١٧٨٣ م.

وموضوع هذا الأثر الجليل يتضمن ما سار عليه تيمور من القوانين، وما عمل بمقتضاه من الدساتير العملية، وما اكتسبه من الحوادث اليومية والتجارب الشخصية، فأوصى أن تكون هذه الأعمال خطة أولاده وأخلافه من ذريته لتعينهم في حياتهم السياسية والحربية... وهي أشبه بما مضى عليه جنكيز من (الياساق) أو (الياسا)[١]...

وهذه في الحقيقة نتائج أعماله في إدارته وما زاوله من المهام في حياته فهي التاريخ الصحيح المجمل والوقائع الجزئية أمثلة لها وتطبيقات لما قام به. وقد تحرينا تعريباً لهذه فلم نعثر عليه مع أنها من الوثائق المهمة للتحقيق عن حياته الصحيحة، ولتأييد النصوص الأخرى الواردة عنه أو الطعن فيها... وينطوي نحتها الاستفادة من الآراء، والاستعانة بالشورى والحزم والاحتياط في إدارة المملكة، وتدبير الأمور في السياسة الخارجية، والاهتمام بأمور الجيش وحسن تدريبه وإدارته.. ومنها نرى أنه لم يضيع حزماً، ولا تهاون بفكرة بل راعى ما أمكنه من التدابير الصائبة.

وفي هذه وغيرها مما يفهم من مطاوي الكتاب ما يبصر بأنه لم يضع فرصة، ولا توانى عن تسجيل ما رأى وشاهد، أو ما صادف بالعودة إلى التفكير فيما وقع. وبهذا يكذب أعداءه والطاعنين به من أن همه السفك والنهب والقتل كأن غايته تشفية غليله من البشرية باتخاذها مجزرة له.. وإنما راعى المصلحة، ونصب الغاية أمام عينيه فلم يتحاش

---

(١) فصل القضايا: صوابه لفصل القضايا الشرعية واليارغونية نسبة إلى اليارغو وهو المحاكمة على حسب القانون الجنكيزي، واعتماداً على مواد الياسا، وقد ورد ذكره في الحوادث الجامعة، قاله الصديق الفاضل مصطفى جواد.

من الركون إلى الواسطة مهما كانت قاسية، وتمسك بالتدابير رغم فظاعة الآلة... وفي كل هذه لم يضع رشده، ولم يدع الفرصة، ولا تأخر عن العمل بها عند سنوحها بلا تهاون أو توانٍ بل لم يعرف التواني... وإنما يحاول بكل ما أوتي من قدرة لإدراك مواطن الضعف في خصومه، والتطلع على أحوالهم والتبصر بشؤونهم حتى الشخصي منها ليعرف قوة العلاقة بالأعمال العامة وإن كانت ترى لأول وهلة أنها ليس لها مساس بشؤون المملكة خارجاً وداخلاً.

وعلى كل كانت هذه الأوضاع أمامه بارزة.. فإذا غلب ناحيةً مال إلى الأخرى أو غُلب هو على أمره من جهة ركن إلى غيرها حتى يتم الفوز ما دام هو في الحياة... وولعه بالشطرنج يمين خطته أكثر ويفسر مذكراته هذه...

روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء:

تاريخ فارسي في سبع مجلدات للخواجه حميد الدين محمد مير خواند ابن سيد خوارزمشاه البلخي وفي كشف الظنون أنه لمير خواند محمد بن خاوند شاه بن محمود وكان قد ولد المؤلف عام ٨٣٧ هـ ١٤٣٤ م في بلخ وولع في التتبعات التاريخية من صغره ثم إنه كان قد رماه الزمان وضاقت به الوسيعة فمال إلى علي شير النوائي وزير حسين بايقرا حاكم خراسان ومازندران وركن إلى مكتبته المشهورة في العالم آنئذ فصار يتردد إليها وينتفع بها... ومن ثم وبسبب الانتساب إلى الوزير المشار إليه تعرف بفطاحل العلم هناك أمثال عبد الرحمن جلبي، وشيخ أحمد السهيلي، والخواجة عبد الله مرواريد والخواجه أفضل الدين محمد، والولي الخواجة آصفي، ودولتشاه السمرقندي[1] من أكابر العصر

---

(١) هذا هو صاحب تذكرة الشعراء.

وصفوتهم... فاتصل مؤرخنا بهؤلاء بواسطة الوزير.. ذلك ما دعا أن يزيد في تتبع هذا المؤرخ ويقوي نشاطه فصار يجهد بشوق وعشق ليس وراءهما... كما أن الرغبة تكاثرت في الكل لحد أن الوزير نفسه استقال من الوزارة وعمد إلى العلم والتأليف... وهكذا فعل هذا المؤرخ لكتابة تاريخه فقد أقام في تكية من تكايا هراة براحة وطمأنينة مال فيها إلى التدوين... وهذه التكية (خانقاه خلاصية) التي أنشأها الأمير علي شير...

سعى مؤرخنا سعياً حثيثاً لإكمال تاريخه هناك ولما وصل إلى المجلد السابع منه وافاه الأجل المحتوم على حين غرة فقضى قبل أن يشرع في المجلد السابع عام ٩٠٤ هـ ١٤٩٨ م عن عمر ٦٧ في مدينة هراة فلم يتم تأليفه وإنما كان ذلك نصيب ابنه (غياث الدين خواندمير).

وجاء في مقدمته أن جمعاً من إخوانه التمسوا تأليف كتاب منقح محتو على معظم وقائع الأنبياء والملوك والخلفاء ثم دخل الوزير مير علي شير وأشار إليه أيضاً فكتبه مشتملاً على مقدمة وسبعة أقسام وخاتمة فالقسم الخامس منه في ظهور جنكيز وأحواله وأولاده والسادس في ظهور تيمور وأحواله وأولاده والسابع في أحوال سلطان حسين بايقرا... فالأقسام الأخيرة منه فيها تفصيلات مهمة عن الترك والمغول والتتر ومن يليهم وأوضح الوقائع بكل سعة حتى زمان السلطان حسين بايقرا... فهو من الكتب الجامعة المستوعبة لتواريخ كثيرة كانت قد سبقته.. وعلى كل هو خير أثر لعصرنا الذي نكتب عنه وللعصور التالية له إلى أواخر أيامه وخلاصة لما فيها من حوادث. ويعد من أفضل المراجع التي عولنا عليها.. ولا يكاد يصدق أن امرءاً واحداً قام بهذا العمل الجليل.. ولا يوجه عليه لوم من ناحية أنه كتب عن الحكومة الجلايرية بإجمال فهو بعيد عنها فلا ينظر إلا إلى المباحث العمومية ومع هذا نجد فيه بعض المطالب التي قد لا نجدها في غيره.. والمؤلف على كل حال وكما يفهم من

أسلوب كتابه تحدى جامع التواريخ، ومؤلفات المغول التاريخية الأخرى فاتخذها أساساً ولكنه هذب ونقح ورتب أي أنه عدل في الأساليب... واختصر وحذف ألفاظ المدح الزائد والثناء الكثير...

اعتنى الهند والإيرانيون بطبعه عدة طبعات والأوروبيون زاد انتباههم إليه أكثر من غيره فترجموا غالب أقسامه إلى لغاتهم فكان له أكبر وقع في نفوسهم... وهو في الحقيقة يبصر بالوقائع السابقة ويفصل القول عنها بكل سعة[1] وعندي بضعة أجزاء مخطوطة منه.

حبيب السير:

تأليف غياث الدين خواندمير بن حميد الدين ميرخواند المذكور وهذا ممن نشأ على يد الوزير علي شير النوائي ودرس عليه وتخرج في مدرسة عرفانه.. ولد عام ٨٨٠ هـ [illegible] م وتتلمذ على الوزير المشار إليه وقد نبغ في شبابه واشتهر في حياة أبيه بالعلم والعرفان وحصل على مكانة لائقة...

إن الوزير ساعد هذا الشاب أن يحضر المجالس العلمية. والمناقشات التي تجري في المواضيع المختلفة لما رآه فيه من الكمال والأدب الجم والعلم الواسع ولما هناك من علاقة صحبة مع والده. وقد برهن المترجم صاحب التاريخ على كفاءته ومقدرته العلمية بما أبرزه من المؤلفات النافعة... إلا أن مجالس الوزير لم تدم طويلاً كما أن هراة لم تبق مركز الثقافة ولم يطل أمد علميتها... فالوزير توفي عام ٩٠٦ هـ ١٥٠٠ م فانطفأت تلك الفعالية الفكرية والقدرة العلمية، وزالت الرغبة.. إذ إن السلطان حسين بايقرا حامي العلم والعلماء توفي بعد خمس سنوات عام ٩١١ هـ ١٥٠٥ م فأخذ يتقلص أمر الالتفات إلى

---

(١) كشف الظنون ونفس التاريخ للمؤلف وإسلامه تاريخ ومؤرخلر.

التهذيب الفكري رويداً رويداً حتى زالت الرغبة من البين.. فإن خلفاء السلطان لم يهتموا ذلك الاهتمام كما أن الأوضاع السياسية كانت غير مساعدة... ظهر الشاه إسماعيل فاضطربت الحالة. وساءت الأمور وزال ملك ولديه ميرزا بديع الزمان، وميرزا مظفر حسين...

ذلك ما دعا مؤرخنا أن يتأثر للمصاب، ولما جرى على الحكومة التي حمته ووالده مدة لا يستهان بها. فاختار الانزواء واشتغل بالتأليف. وحينئذ شرع في إكمال الجلد السابع من روضة الصفا تأليف والده فأتمه طبق الأسلوب الذي جرى عليه والده وراعى طريقته في تأليفه ثم اختصره بتمامه باسم (خلاصة الأخبار).

ولم يقف عند هذه المؤلفات وإنما شرع بمؤلفه القيم (حبيب السير) وهذا هو الذي عقدنا له الكلام هنا وهو شاهد عيان عن أواخر العصر التاسع حتى أواسط القرن العاشر وما جرى في هذا الأوان من الحوادث في آسيا... ومن هذه الناحية يعد كتابه من الوثائق المهمة والجليلة... وكله تاريخ عام كتبه باسم أستاذه (كريم الدين حبيب الله الأردبيلي) ويبتدىء من الخلقة وينتهي بوفاة الشاه إسماعيل الصفوي ويحتوي على وقوعات العالم الإسلامي وله علاقة كبرى في تاريخنا عن هذا العهد فهو من المراجع المهمة... وأهم ما فيه القسم الباحث عن موضوعنا... جعل الأصل الذي اعتمده عين الأصل الذي عول عليه والده إلا أنه رأى الاختصار أولى، والتلخيص أشد، والناس لا يستطيعون مباحث مفصلة كهذه من ناحية الاستنساخ والاقتناء والمطالعة وأضاف إليه معلومات قيمة تتعلق بعصر تيمور وما بعده إلى آخر الأيام التي كتب عنها... طبع في الهند في مجلد ضخم يحتوي على أجزاء. وللمؤلف آثار أخرى أهمها: (مآثر الملوك)، و (دستور الوزراء) وسيأتي ذكره، و (أخبار الأخيار)، و (مكارم الأخلاق) و (منتخب تاريخ وصاف) و (جواهر الأخبار) و (غرائب الأسرار). كتب هذه المؤلفات

أيام الجدال الحربي بين الأوزبك والصوفيين... وأكبر مساعد له على إظهار هذه الآثار المكتبات الغنية بالمؤلفات الكثيرة والمتنوعة...

ولما لم يستطع البقاء مع فداحة الأمر، واضطراب الحالة ترك وطنه مكرهاً عام ٩٣٢ ـ ١٥٢٥ م وذهب إلى (بابرشاه) الحاكم في الهند من آل تيمور فجاء إلى (اكره) ملتجئاً إلى ملكها فرأى منه حسن قبول والتفات... وكان قد أعز العلماء وأبدى لهم توجهاً كبيراً وعلى الأخص نال المترجم احتفاء السلطان لما رآه منه من العلم الجم والخبرة الواسعة في التاريخ وغيره.. وكذا حصل على مكانة لائقة لدى (همايون شاه) بن بابر شاه ومن ثم كتب المترجم له (همايوننامه) لما رآه منه من الالتفات الزائد والاحترام اللائق...

وفي سنة ٩٤٢ هـ ١٥٣٥ م سافر الشاه إلى كجرات فمرض في سفره ومات في الطريق فأمر السلطان بأن ينقل جسده إلى دهلي ودفن في جوار أعاظم الرجال المدفونين هناك أمثال (أمير خسرو الدهلوي) و(نظام الدين أوليا) ذلك لما كان له من

والحاصل أن هذا المؤرخ من أكابر المؤرخين لا يقل عن والده في تأليفاته التاريخية بل ربما فاقه أو أنه أتم ما قام به والده فمؤلفاته مكملة من ناحية وموضحة من أخرى... وهي السلسلة التاريخية الموصولة بين دور المغول وبين الحكومات التالية له إلى زمانه...

والملحوظ أن المؤلف في تاريخه حبيب السير لم يتعرض لخصوصيات العراق، وحوادثه مما لا علاقة له بالأقطار الأخرى...[1].

---

(١) نفس حبيب السير، إسلامده تاريخ ومؤرخلر.

دستور الوزراء:

لصاحب حبيب السير أيضاً، فارسي وموضوعه جليل جداً، عيّن فيه الوزراء في إيران من أقدم أزمانهم إلى أيامه وفيه تعرض لبيان وزراء وملوك سيطروا على العراق وإيران معاً، تعرض لهم أثناء بحوثه. وجدنا فيه من السعة ما لم نرها في غيره أوله مصدر في هذا الدوبيت:

أي منت احسان توبر خوان همه
فضل توبود منبع احسان همه
درروز حساب هم باذنت باشد
لطف نبوي شافع عصياه همه

تكلم فيه على الوزراء ومن أهم مباحثه كلام على ابن العلقمي، وحسن الصباح والإسماعيلية في مصر وفي إيران والخوارزمشاهيه، وآل مظفر ووزراء جنكيز والجلايرية وتيمورلنك والمباحث الأخيرة منه تخص موضوعنا... وعصره قريب من أشخاص الوقائع ففائدته فيما تعرض له كبرى ومهمة جداً... ننقل منه ما نشير إليه خلال سطور الكتاب..

أخبار الدول وآثار الأول:

لأبي العباس أحمد جلبي بن يوسف بن أحمد الدمشقي القرماني ولد سنة ٩٣٩ هـ ١٥٣٣ م وتوفي سنة ١٠١٩ هـ ١٦١٠ م. أوله: الحمد لله على تصاريف العبر الخ. طبع على الحجر في بغداد سنة ١٢٨٢ هـ ١٨٦٦ م والكتاب مباحثه عامة وقد يتعرض لبعض الحوادث الخاصة من حكومات العراق التالية لحكومة المغول قال في كشف الظنون اختصره مؤلفه من تاريخ الجنابي المتوفى سنة ٩٩٩ هـ ١٥٩١ م وفرغ من اختصاره في صبيحة يوم السبت مستهل المحرم سنة ١٠٠٨ هـ ١٦٠٠ م والمؤرخ أجمل الوقائع التالية للمغول بقوله: «لم يصل إلينا خبر من تولى بعده (بعد أبي سعيد) ثم قال: اتفق المؤرخون على أنه لم يبق من بني

هلاكو من تحقق نسبه لكثرة ما وقع فيهم من القتل غيرةً على الملك، ومن نجا طلب الاختفاء بشخصه فخفي نسبه واستمرت بحار الفتن منهم تثور وتمور، إلى أن نبغ الأعرج تيمور، فأهلك الحرث والنسل، واختلط المليح بالبسل، وحل بالعالم البأس، وفسدت أحوال الناس» اهـ[1].

فهو يصلح أن يكون مرجعاً لأيام الأمير تيمور.

مرلجع لخرى:

لا مجال لإيراد جميع المراجع الجديدة التي سأعتمدها غير ما تقدم وإنما أذكر منها (تاريخ گزيده) (ونزهة القلوب) و (تاريخ محمود كيتي) و (لب التواريخ) و (ظفر نامه) وغيرها. ويأتي النقل منها وأشير هنا إلى أن المراجع منها ما ذكر في المجلد السابق مما تستمر حوادثه إلى هذه الأيام...

الحكومة الجلايرية

حوادث سنة ٧٣٨ هـ - ١٣٣٧ م

سلطنة الشيخ حسن الجلايري:

في هذه السنة أو التي قبلها على اختلاف في ذلك استولى الشيخ حسن الجلايري على بغداد، فقضى على حكومة المغول في العراق وأسس حكومة جديدة فيه هي «الحكومة الجلايرية»، وتسمى «الايلگانية» أيضاً، ولما كان أول ملوكها الشيخ حسن المذكور قيل لها «الشيخ حسنية».

والشيخ حسن هذا[2] هو ابن حسين كوركان ويقال له الأعرج

---

(١) راجع ص ٢٨٨ منه.

(٢) أغفل صاحب الدرر الكامنة اسم حسين والد الشيخ حسن كما أنه في ترجمة أويس قلب الوضع وسمى الجد أباً، والأب جداً ومثله في كتابه أنباء الغمر عند ذكر وفاة السلطان أويس.

(زوج بنت أرغون خان) ابن آقبغا (آق بغا) بن ايلكا نويان الجلايري، ونسبة إلى ايلكا نويان المذكور يقال لحكومتهم «الايلگانية» رأس فرعهم الذي يرجعون إليه وجاء ذكره في أيام استيلاء المغول على بغداد بلفظ (ايلكو نويان) وبعضهم ذكره (ايلكان) والمعول عليه أنه بلا نون وقد مر ذكره في المجلد الأول من هذا الكتاب. وقد تشتبه هذه النسبة في النسبة إلى الحكومة الايلخانية، والفرق واضح في أن الايلخانية تطلق على هلاكو وأخلافه لأن لقب ايلخان أعطاه منكو قاآن لأخيه هلاكو خان حينما سيره لاكتساح إيران وما جاورها ومن ثم سميت حكومته بالايلخانية[1] بخلاف هذه فإنها نمت إلى ايلكا نويان باعتباره جداً أعلى. وكان هذا في أيام هلاكو وله مكانة عنده[2].

الحكومة الجلايرية:

جلاير قبيلة كبرى من قبائل المغول توصلت إلى الحكومة بهمة رجلها واتصاله الوثيق بحكومة المغول. وكانت جموعها (كورن) كثيرة[3] وتفرعت إلى فروع عديدة، وأوشكوا أن ينقرضوا في حروبهم مع الخيتاي فلم يبق منهم سوى طائفة واحدة يقال لها (چابولغان)، وهؤلاء كان بينهم وبين قبيات حرب أدت إلى أسر قسم كبير منهم ولما تسلط جنكيز اتصل باقي الجلايرية به.. وأصلهم من المغول من أولاد (نكون) من قبيلة (دورلكين) وقد مر تفصيلها في الجلد السابق، ولم يكن جلاير الجد الأقرب كما توهم صاحب كلشن خلفا، وقد غلط صاحب

---

(١) ترك بيوكلري ص ٢٣.

(٢) كلشن خلفا، شجرة الترك، الغياثي.

(٣) الجمع يقال له كورن وهو ألف بيت، وعندنا يطلق على الف محارب على اعتبار كل بيت يخرج منه محارب... وفي المثل العامي «قال يا محورب حورب قال تلاقت الجموع».

الشذرات في عده ايلكا تويان بن هلاكو لأن قبيلة الجلايرية لا تتصل بآل جنكيز اتصالاً قريباً وإن كان الكل من المغول، وايلكانويان هذا هو رأس الفخذ الأقرب من هذه الطائفة أو الجد الأعلى كما تقدم وكان قد جاء مع هلاكو إلى إيران بقبيلته وافتتح بغداد معه. ومع هذا ترى الغياثي لم يقطع في أن السلطان من قبيلة الجلاير قال: «ذكر بعض المؤرخين أن أصله من جماعة الأتراك الذين يقال لهم جلاير» حالة أن التواريخ الأخرى متفقة على أنهم من قبيلة الجلاير وهكذا في دستور الوزراء يعده من الجلائر قطعاً. وهذه القبيلة عارضت جنكيز خان في بادي الأمر ثم صارت له عضداً مهماً وناصراً قوياً.. كما أنها كانت ساعداً عظيماً لحكومة هلاكو، وأولاده وأحفاده. وذلك أن آقبغا (آق ـ بوغا) كان أمير الأمراء في زمن كيخاتوخان سلطان المغول وفي فتنة بايدوخان قتل. أما ابنه الأمير حسين فقد تزوج بنت أرغون خان وفي أيام أبي سعيد كان أمير قبيلة (ألوس) فتوفي بأجله.

وإن ابنه الأمير الشيخ حسن حكيم الروم زمن السلطان أبي سعيد وقد جرى عليه ما جرى من تطليق زوجته[1] بغداد خاتون وتزوج السلطان أبي سعيد بها بعد نكبة الجوبان وأولاده وبعد وفاة السلطان أبي سعيد ظهر التغلب وقامت الفتن فورد العراق عدة دفعات واقتحم مهالك عظمى ومخاطر كبرى في حروبه فاجتاز العقبات إلى أن تملك العراق وهو الذي يطلق عليه (الشيخ حسن الكبير) كما أنه يقال لابن الأمير جوبان (حسن الصغير). ولما انقرضت دولة أبي سعيد ولم يكن له ولد صفا الأمر لعلي باشا الاويرات أثر قتلة السلطان ارپاخان فتجاوز الاويرات[2] حدودهم وقسوا في تعديهم ومن ثم نفر منهم جماعة مثل

---

(١) تاريخ المغول ص ٤٩٣.

(٢) أوضحت عن الأويرات الإيضاح الكافي في المجلد الأول من هذا الكتاب.

الحاج طغاي والحاج طوغا بك فمالوا عنهم وركنوا إلى الشيخ حسن الكبير وندبوه لدفع شرور هذه الطائفة فأنفذ الشيخ حسن رسولاً إلى صورغان شير ابن الأمير جوبان وكان في كرجستان فطلبه وكلفه أن يصحب معه عساكر من الكرج فأتى إليه بعسكر عظيم. فعندها توجه الشيخ حسن بالعساكر الجمة إلى محاربة علي باشا وقمع شره فوقع الحرب بينهما في نهار السبت ١٧ ذي الحجة سنة ٧٣٦ هـ ١٣٣٦ م وكان ابتدأ في يوم الخميس ١٥ ذي الحجة سنة ٧٣٦ هـ ١٣٣٦ م فخذل علي باشا واستظهر الشيخ حسن وقتل علي باشا وخلص الأمر للشيخ حسن سنة ٧٣٧ هـ ١٣٣٦ م[١] وفي أيامه كان أولاد الأمير جوبان من أكبر المتغلبة وكانوا قبل هذا بسبب الأمير جوبان حكاماً بأطراف البلاد، فمنهم بير حسن بن محمود بن جوبان بشيراز وأعمالها، والملك الأشرف ابن تمرتاش بن جوبان بتبريز ومضافاتها. وقد عقدنا فصلاً للمتغلبة أيام المغول في المجلد الأول فنكتفي هنا بالإشارة[٢] وكادوا يتغلبون على مملكة المغول لولا أن عرض لهم العارض وعلى كل تم للشيخ حسن الأمر في بغداد وتمكن فيها بلا مزاحم تقريباً، أو تغلب على غيره. وتزوج دلشاد وكانت من قبل لدى علي باشا الاويرات تدعي الحمل من أبي سعيد، وكانت من أحب النساء للسلطان أبي سعيد وهي بنت الأمير دمشق ابن الأمير جوبان تزوج بها فتمكن من أخذ حيفه منه بالتزوج بها بعد مماته فقد كان أكرهه على تطليق زوجته بغداد خاتون وقال الغياثي: «ومن الغرائب أن الأمير حسيناً والد الشيخ حسن كان قد تزوج بغداد خاتون بنت الأمير جوبان عمة دلشاد خاتون فبلغ أبا سعيد حسنها فانتزعها منه فشاء الله تعالى أن جلس ولده موضع أبي سعيد وتزوج امرأته دلشاد خاتون» اهـ.

---

(١) الغياثي عن الهداية.

(٢) تاريخ العراق، المجلد الأول.

والصحيح أن الشيخ حسن هو الذي انتزعت زوجته وأرغم على تطليقها فكان أن قدر تزوجه بزوجة أبي سعيد دلشاد خاتون...[1] وهذا كاف للتعريف بهذا السلطان الذي كان يعد في أول أمره متغلباً فاستقر له ولأعقابه الملك مدة...

غلاء في الموصل وبغداد:

في هذه السنة كان الغلاء في الموصل وبغداد[2]. ولهذه الفتن دخل فيه كما هو المعهود من أن الغلاء يتولد إثر هكذا وقائع ينشغل الناس فيها وينصرفون عن الزراعة وما ماثل...

ملحوظة:

عد كثيرون تاريخ استقلال الشيخ حسن الكبير سنة ٧٤٠ هـ ولم يعتبروا أيام التغلب فقالوا الاعتداد بتاريخ إعلانه السلطنة لنفسه لا التزامه من يمت إلى هلاكو بنسب[3]. وآخرون اعتمدوا على تاريخ سنة ٧٣٧ هـ ١٣٣٦ م وهو تاريخ كلشن خلفا كان ذلك عام ٧٣٨ هـ ١٣٣٧ م وعليه عولنا فإنه مؤرخ عراقي وأعرف بمراجعه. وأما غالب المؤرخين من الترك العثمانيين فقد عوّلوا على سنة ٧٣٦ هـ من جهة الحادثة الحاسمة بين علي باشا الاويرات وبين الشيخ حسن وقعت في ذي الحجة من هذه السنة فعدوها مبدأ الحكم. ولكل وجهة..[4].

---

(١) كلشن خلفا ص ٤٨ ـ ١ وابن بطوطة ص ٣٨.

(٢) الدر المكنون.

(٣) مر في المجلد الأول الكلام على المتغلبة.

(٤) الدر المكنون، تقويم التواريخ، كتاب المسكوكات: أحمد ضياء وكتاب المسكوكات القديمة الإسلامية: محمد مبارك.

وفيات

١ ـ يحيى بن عبد الله بن عبد الملك الواسطي:

هو أبو زكريا الواسطي كان فقيه العراق في زمانه. ولد سنة ٦٦٢هـ وتفقه على والده وسمع من الفاروثي، وأجاز له ابن أبي الدنية، وعبد الصمد بن أبي الجيش وغيرهم. حدث ببغداد ودرس في المدرسة البرانية بواسط. وله مصنف في الناسخ والمنسوخ، وكتاب مطالع الأنوار النبوية في صفات خير البرية. قال الذهبي برع في الفقه وكان يقال في حقه فقيه العراق في زمانه. مات بواسط في ربيع الآخر سنة ٧٣٨ هـ[١].

٢ ـ قطب الدين إبراهيم بن إسحق بن لؤلؤ:

حفيد صاحب الموصل. نزل بمصر وسمع من ابن حلاق والنجيب وغيرهما وحدث. مات في ٢٤ شوال سنة ٧٣٨ هـ[٢].

٣ ـ محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي:

الشيخ القدوة ناصر الدين ابن شيخ الحرامية أبي إسحق وقد تقدم ذكر أخيه أحمد في المجلد السابق وعاش هذا بواسط إلى سنة ٧٣٨ هـ ومات عن نيف وثمانين سنة. كذا في الدرر الكامنة عن سير النبلاء. وما جاء من أنه ابن شيخ الحرامية فغير صحيح والصواب ما قدمنا[٣].

---

(١) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤١٩، وطبقات السبكي ج ٦ ص ٢٥٠.

(٢) الدرر الكامنة ج ١ ص ١٧.

(٣) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢٨٤ ومعجم البلدان مادة حرامية، ومراصد الاطلاع.

حوادث سنة ٧٣٩ هـ ـ ١٣٣٨ م

توجه السلطان إلى بغداد:

لم يذكر مؤرخونا مثل صاحب كلشن خلفا والغياثي وقائع معينة لهذا السلطان مع أنه طالت حكومته في العراق كما تقدم سوى أن صاحب كلشن خلفا قال: ولما دخلت سنة ٧٣٩ هـ ١٣٣٨ م فر السلطان الشيخ حسن من الحروب بينه وبين الجوباني وتوجه إلى بغداد وكان الوالي فيها ابنه أويس فحكم ببغداد ولا يأتلف هذا التاريخ مع تاريخ تزوج السلطان بدلشاد خاتون وعمر السلطان أويس ليكون والياً اللهم إلا أن يكون عمره لا يتجاوز الأشهر فصار والياً. وعلى كل هذه الأيام لا تخلو من حروب مع الخارج ومشغوليات في النزاع على السلطنة فلا يؤمل أن تدون حوادث أخرى، ولعل الأمور جرت في أيامه على محورها فلم يدونوها بكدر صفو الأهلين وإنما جرت بطمأنينة وسلام. وهذا مستبعد جداً لما يتوضح من الوقائع الأخرى.

رسول بغداد إلى مصر:

جاء في عقد الجمان أنه «وصل رسول من بغداد، وذكر أن الشيخ حسن وصل بغداد وطلب طغاي، وحافظ الدين، وضرب السكة باسم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ببغداد، وأنه يطلب بعض أولاد السلطان ليملكوه عليهم ويكون معه بعض الجيش. فقال السلطان أولادي صغار ولكنني أنا أجيء إليهم إذا وصل رسول طغاي وحافظ الدين والشيخ حسن» اهـ[1].

وفي ابن خلدون: «ويقال إنه أرسل إلى الملك الناصر صاحب مصر

(١) عقد الجمان ج ٢٣.

بأن يملكه بغداد ويلحق به فيقيم عنده وطلب منه أن يبعث عساكره لذلك على أن يرهن فيهم ابنه فلم يتم ذلك لما اعترضه من الأحوال» اهـ[1].

وفي هذا إن صح ما يعين درجة الضعف إلا أننا لم نعثر على هذه السكة المضروبة بين نقود الشيخ حسن بالوجه الذي بينه صاحب عقد الجمان.

بين مصر والعراق:

وفي السلوك للمقريزي: «في سنة ٧٣٨هـ توجه الأمير حيار بن مهنا الطائي من آل فضل في جماعته إلى بلاد العراق، وصار في جماعة الشيخ حسن الكبير، وأن الأمير أرتنا صاحب بلاد الروم تمكن وعظم شأنه فيها، وأرسل رسولاً إلى السلطان الملك الناصر ومعه هدية، وسأل في رسالته أن يكون نائب السلطان ببلاد الروم، ويضرب السكة باسم السلطان أيضاً، ويقيم دعوته، فخلع الناصر على رسوله، وأنعم عليه وعلى من صحبه، وكتب له تقليد بنيابة الروم... وازداد أرتنا بذلك عظمة، حتى خافه الشيخ حسن أن يتفرد بمملكة الروم، فأخذ في التأهب لمحاربته... والتزم له حيار... بجمع العرب فكتب له تقليداً بالإمرة، ومع ذلك لم يستغن عن استعطاف الناصر لأنه كان في عهد تأسيس دولته، فوصل مجد الدين إسماعيل السلامي ومعه رسل رسميون إلى القاهرة، وقد مكنه الشيخ حسن إدامة الصلح بينه وبين السلطان الملك الناصر، وجهز معه هدية جليلة، وكان قد وصل إلى الناصر مستعيذاً مستعيناً أيضاً ناصر الدين خليفة ابن الخواجة علي شاه فأكرمه السلطان، وأنعم عليه... وكان الشيخ حسن يهاب الأمير حسناً الجوباني مع القآن سليمان وحاول غزوهما.

---

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٥ ص ٥٥٢.

وفي صفر سنة ٧٤١هـ قدم القاهرة رسول الشيخ حسن الكبير بكتاب يتضمن طلب عسكر بتسليم بغداد والموصل وعراق العجم لتقام بها الدعوة للسلطان، وسأل أن يبعث السلطان إلى طغاي بن سوتاي في الصلح بينه وبين الشيخ حسن فأجيب إلى ذلك ووعد بتجهيز العسكر إلى تبريز، ثم ركب الأمير أحمد قريب السلطان إلى طغاي ومعه هدية لينتظم الصلح بينه وبين الشيخ حسن، وكان طغاي قد راسل السلطان الناصر سنة ٧٣٩هـ وبعث إليه هدية وطلب مصاهرته. فجهز الناصر إليه هدية وخلع على رسوله وأصحابه وأنعم عليهم وأمرهم بالعود على أحسن حال.

وكلف الناصر رسوله المذكور أن يبلغ الملكين طغاي بن سوتاي والشيخ حسناً الكبير بما معناه «إن أردتم أن أرسل لكم جيشاً لتقووا به على أعدائكم.. وتغزوا بلادهم وتضربوا باسمي السكة، وتقيموا لي الخطبة، وتحالفوني في السر [illegible] فأرسلوا إلي برهائن منكم، ومن أسلم إليه الجيش على ثقة من أمري» كذا قال الشجاعي في ما نقل عنه ابن قاضي شهبة.

وخرج الأمير أحمد المذكور برسالة الناصر فوصل إلى طغاي في أواخر شهر رمضان من هذه السنة ٧٤١هـ، وطلب منه رهينة، فأعد لذلك ولده برهشتين (كذا) وطلب منه الأمير أحمد رسلاً، فأوصلوه إلى الشيخ حسن الكبير ببغداد، وكان مع الشيخ حسن صلغان شير بن جوبان، فاجتمع بهما الأمير أحمد ببغداد، واتفقوا على الصلح، وتحالفوا، وخطب للملك الناصر، وأرسل الشيخ حسن رهينة من جهته، وهو ابن أخيه إبراهيم شاه بن جلوا، وسار الجميع ومعهم القاضي بدر الدين قاضي اربل، والقاضي معين الدين قاضي الموصل، وأرسل صاحب ماردين صحبتهم القاضي صدر الدين قاضي ماردين وعلى أيديهم نسخة اليمين والمهادنة، وكان وصولهم إلى القاهرة يوم الأربعاء سادس ذي

الحجة، فأنزلوا بالميدان، وأقبل عليهم السلطان إقبالاً عظيماً، وقابلهم بالتبجيل، وخلع عليهم...

وكان من حديث الأمير حسن بن دمرداش بن جوبان أنه علم بمراسلة هؤلاء للملك الناصر فخشي أن المتحالفين ينزعون منه تبريز وغيرها، فأرسل عمه صلغان شير إلى حسن الكبير يقول: «أنا وأنتم بنو عم، ونحن ما عملنا معكم شيئاً يوجب أن تدخلوا سلطان مصر بيننا، والبلاد بلادكم» فمشت الرسل بينه وبينهم، فاتفقوا وتحالفوا على الصلح وذلك بعد أن وصل رسلهم ورهائنهم المذكورة إلى السلطان الملك الناصر، وبعد أن أمر نقيب الجيش بإعداد العدد، واستعجال السفر إلى تبريز... في هذه التجريدة... ورسم أن يكون خروجهم إلى تبريز في نصف ذي الحجة... (وهناك تفصيلات).

وبينما هم في انتظار العرض، فالحركة إذ قدم إلى القاهرة إدريس القاصد صحبة مملوك صاحب ماردين بكتابة تحقق اتفاق حسن بن دمرداش والشيخ حسن الكبير وطغاي بن سوتاي، وأن حسناً خطب لهما على منابر بغداد والموصل، واتفق أولاد دمرداش والشيخ حسن على أن يعبروا الفرات إلى الشام نكاية في الملك الناصر... وكان الناصر في هذه الأيام في غاية ما يكون من المرض... تحقق الأمر فتبين صحة الاتفاق وخيبة الناصر من بلاد العجم والعراق. (ومات السلطان بعد أيام) فأمر ذوو السلطان بتجهيز ابن طغاي، وإبراهيم شاه ومن معهما ورجعهم إلى بلادهم فتجهزوا وساروا في صفر سنة ٧٤٢هـ. هذا ملخص قول ابن قاضي شهبة والمقريزي. قاله الصديق الأستاذ مصطفى جواد.

وفيات

١ ـ عالم بغداد:

في هذه السنة توفي عالم بغداد صفي الدين عبد المؤمن ابن الخطيب عبد الحق بن عبد اللّٰه بن علي بن مسعود بن شمايل البغدادي الحنبلي الإمام الفرضي المتقن ولد في سابع عشري جمادى الآخرة سنة ٦٥٨ هـ ١٢٦٠ م ببغداد وسمع بها الحديث من عبد الصمد ابن أبي الجيش وابن الكسار وخلف وسمع بدمشق وبمكة من جماعة وتفقه على أبي طالب عبد الرحمن بن عمر البصري ولازمه حتى برع وأفتى ومهر في علم الفرائض والحساب والجبر والمقابلة والهندسة والمساحة ونحو ذلك واشتغل في أول عمره بعد التفقه بالكتابة والأعمال الدنيوية مدة ثم ترك ذلك وأقبل على العلم فلازمه مطالعة وكتابة وتدريساً وتصنيفاً وإفتاء إلى حين موته وصنف في علوم كثيرة فمن مصنفاته شرح المحرر في الفقه ست مجلدات وشرح العمدة مجلدان، وإدراك الغاية في اختصار الهداية[1] مجلد لطيف وشرحه في أربع مجلدات، وتلخيص المنقح في الجدل، وتحقيق الأمل في علم الأصول والجدل واللامع المغيث في علم المواريث واختصر تاريخ الطبري في أربع مجلدات واختصر الرد على ابن المطهر للشيخ تقي الدين ابن تيمية في مجلدين لطيفين واختصر معجم البلدان لياقوت وهو المعروف اليوم بكتاب (مراصد الاطلاع في الأمكنة والبقاع)، اختصره وأضاف إليه فعرف بهذا الاسم وفصل ما قاله عن الأصل. طبع باعتناء الأستاذ جوينبول في ليدن، وفي إيران

---

(١) الهداية الأصلية في فقه الحنابلة مثن معتبر منه نسخة مخطوطة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد رقم ٢٣٠٣ تأليف نجم الهدى أبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوذي.

سنة ١٣١٥ هـ وله غير ذلك وخرج لنفسه معجماً لشيوخه بالسماع والإجازة نحواً من ثلاثمائة شيخ وسمع منه خلق كثيرون وله شعر رائق توفي ليلة الجمعة عاشر صفر ببغداد ودفن بمقبرة الإمام أحمد[١].

٢ ـ عبد الرحمن بن عمر بن حماد الخلال:

الربعي البغدادي الحريري ولد سنة ٦٨٦ هـ سمع من محمد بن أحمد بن حلاوة ببغداد ومن آخرين. كان كثير التطوف وحدث بالبلاد التي دخلها حتى ذكر أنه حدث بخان بالق (بجاق) من بلاد الخطا وكان حسن الخلق كثير التلاوة وهو مولى المحدث سعيد الهذلي مات ببغداد في شعبان سنة ٧٣٩[٢].

٣ ـ محمد بن أحمد بن علي بن غنير الواسطي:

الشيخ شمس الدين ابن غنير المقرىء أخذ القراءات عن العز والفاروثي وصحبه مدة وسمع من عبد الله بن مروان الفارقي وغيره وكان ماهراً في القراءات عارفاً بطرقها مستحضراً، تصدر للإقراء بجامع الحاكم وكان سيىء الخلق بذيء اللسان قال الذهبي هو من فضلاء المقرئين على مزاح فيه ولعب. وبلغني عنه سوء سيرة، مات في ٤ المحرم سنة ٧٣٩ هـ[٣].

---

(١) الشذرات ج ٦ والدرر الكامنة ج ٢ ص ٤١٩.
(٢) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٣٩.
(٣) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٤٣.



الأمير تيمورلنك على عرشه

٤ ـ جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر العجلي القزويني:

وهو جلال الدين أبو المعالي محمد ابن القاضي سعد الدين أبي القاسم عبد الرحمن القزويني الشافعي، ولد في الموصل سنة ٦٦٦ هـ وتفقه على أبيه وأخذ عن الإربلي وسكن الروم مع أبيه، واشتغل في أنواع العلوم، وأفتى ودرس وناب في القضاء عن أخيه... ثم ولي الخطابة بدمشق، ثم القضاء بها، ثم انتقل إلى قضاء الديار المصرية.. ثم صرف سنة ٧٣٨ هـ ونقل إلى قضاء الشام وكان لطيف الذات، حسن المحاضرة، كريم النفس... درس بمصر والشام. وله تلخيص المفتاح في المعاني والبيان لخصه من القسم الثالث من المفتاح للسكاكي طبع مراراً... والإيضاح في المعاني والبيان طبع ببولاق... والشذر المرجاني من شعر الأرجاني، توفي بدمشق في جمادى الأولى ودفن بمقابر الصوفية[1].

٥ ـ شمس الدين محمد بن عبد العزيز ابن الشيخ عبد القادر الجيلي:

شيخ بلاد الجزيرة الإمام القدوة. كان عالماً، صالحاً، وقوراً، وافر الجلالة روى بدمشق وببغداد، وخلف أولاداً كباراً لهم كفاية وحرمة، توفي في أول ذي الحجة بقرية الحيال من عمل سنجار عن ٨٧ سنة. وفي قلائد الجواهر ذكر عنه[2].

---

(١) عقد الجمان ج ٢٣ وطبقات السبكي والشذرات ج ٦ ص ١٢٤ وتاريخ أبي الفداء ج ٤ ص ١٢٨ والدرر الكامنة وبغية الوعاة.

(٢) الشذرات ج ٦ ص ١٢٤ وقلائد الجواهر ص ٤٥ و ٤٨.

حوادث سنة ٧٤٠ هـ - ١٣٣٩ م

حكومة الشيخ حسن في بغداد:

في هذه السنة على ما جاء في عقد الجمان «ولي الشيخ حسن بن الأمير حسين بن اقبغا بن ايلگان سبط القاآن أرغون أمر الملك في بغداد، ورد إليها من خراسان واستولى عليها، والشيخ حسن بن دمرداش إذ ذاك حاكم بتبريز» اهـ[1].

ويفسر هذا بوصول الخبر إلى الديار المصرية في إعلانه استقلاله رأساً.. وإلا فقد مضى خبر وصوله بغداد... وكان وروده مغلوباً من حرب الجوباني كما يستفاد من شعر لسلمان الساوجي...

ملحوظة:

قد ساعدت الأحوال الشيخ حسن الجلايري في بغداد وذلك أن مصر زاد خللها وتوالى أمر وفاة الملوك هناك وتعاقبوا على السلطنة مما أدى إلى اضطراب الإدارة فكانوا في شغل عنه، فنرى حوادث العلاقة مع مصر وسورية صارت قليلة لا تكاد تذكر، والشيخ حسن يحاول تثبيت ملكه استفادة من هذه الأوضاع، والملوك آنئذ مرتبكون من الاضطراب فلم تستقر لهم إدارة..

كما أن المؤرخ البدر العيني (صاحب عقد الجمان) لم يتعرض لحوادث القطرين وعلاقتهما في غالب مدوناته وإنما ذكر النزر اليسير...

الشريف أحمد والحلة: (أمراء المنتفق)

في هذه السنة أو التي قبلها تغلب الشيخ حسن سلطان العراق على

---

(١) عقد الجمان ج ٢٣.

الأمير الشريف أحمد بن رميثة بن أبي نمي وكان قد انتصر عليه في حربه معه فعذبه وقتله وأخذ الأموال والذخائر التي كانت عنده. هذا وإن الأمير أحمد كان قد استولى على الحلة بعد موت السلطان أبي سعيد وحكمها أعواماً وكان حسن السيرة يحمده أهل العراق وبقي فيها إلى أن غلب عليه الشيخ حسن[1].

وجاء عنه في عمدة الطالب: إنه كان الشريف شهاب الدين أحمد مكرماً عند السلطان أبي سعيد وذهب مرة بالحج العراقي، وفوض إليه أمر الأعراب بالعراق بعد عودته من الحج... وكثر أتباعه وأقام بالحلة نافذ الأمر عريض الجاه كثير الأعوان إلى أن توفي السلطان أبو سعيد فأخرج الشريف أحمد حاكم الحلة الأمير علي ابن الأمير طالب الدلقندي وتغلب على البلد وأعماله ونواحيه وجبى الأموال... فلما تمكن الشيخ حسن ابن الأمير حسين القبوقا من بغداد وجه إليه العساكر مراراً فأعجزه.. ثم إن الشيخ حسن توجه إليه بنفسه في عسكر ضخم وعبر الفرات من الأنبار وأحاط بالحلة فحصر الشريف أحمد بها فغدر به أهل الحلة. وخذله الأعراب الذين جاء بهم مدداً وتفرق الناس عنه حتى بقي وحده وملك عليه البلد فقاتل عند باب داره في الميدان... وقتل معه أحمد بن فليتة الفارس الشجاع وأبوه فليتة ولم يثبت معه من بني حسن غيرهما. ولما ضاق به الأمر توجه إلى محلة الأكراد وكان قد نهبها مراراً وقتل جماعة من رجالها إلا أنهم لما رأوه قد خذل أظهروا له الوفاء ووعدوه النصر... حتى يدخل الليل ثم يتوجه حيث شاء... ولكنه خالفهم وذهب إلى دار النقيب قوام الدين ابن طاووس الحسني وهو يومئذ نقيب النقباء الأشراف. فلما سمع الأمير الشيخ حسن بذلك أرسل إليه شيخ الإسلام بدر الدين المعروف بابن شيخ المشايخ الشيباني

---

(١) ر: ابن بطوطة ج ١ ص ١٣٢.

وكان مصاهراً للنقيب... فآمن الشريف وحلف له وأعطاه خاتم الأمان، أرسل به الأمير الشيخ حسن فركب الشريف معه إلى الأمير وهو نازل خارج البلد ولم يكن الشريف يظن أن الشيخ حسن يقدم على قتله... إلا أن بعض بني حسن أغراه بذلك وخوفه عواقبه، وأنه ما دام حياً لا يصفو العراق له. فلما ذهب مع الشيخ بدر الدين وكان في بعض الطريق استلبوا سيفه فأحس بالشر... فلما دخل على الأمير الشيخ حسن... أظهر القبول منه وطالبه بأموال البلاد في المدة التي حكم فيها وهي قريب من ثماني سنوات أو أزيد فأجاب بأنه أنفقها فعذب تعذيباً فاحشاً. فأراد الشيخ حسن إطلاقه فحذره بعض خواص الشريف فاحتال في قتله بأن جاؤوا بالأمير أبي بكر بن كنجاية وكان الشريف قتل أباه الأمير محمد بن كنجاية... قتله في بعض حروبه فأمر أن يقتله... فضرب عنقه[1]..

وقد مر الكلام عن الشريف رميثة وأبيه نمي وعن حميضة بن نمي المذكور في المجلد السابق وهنا أقول إن أصل نسبة أمراء المنتفق إلى الشرفاء جاءت من هؤلاء الشرفاء أو من يمت إليهم ولم يكن الأمير أحمد وسائر الشرفاء الذين جاؤوا العراق وحيدين عقيمين ومن ثم قوي الاعتقاد بصحة نسب أمراء المنتفق من الشرفاء.. وهذا معلوم عنهم قديماً...

وفيات

١ ـ آمنة بنت إبراهيم بن علي الواسطية:

ثم الدمشقية. ولدت تقريباً سنة ٦٤٠ وسمعت على أحمد بن عبد الدائم، والكرماني، ومن والدها وأبي بكر الهروي وإسماعيل القتال،

---

(١) عمدة الطالب ص ١٣٣.

وإبراهيم بن أحمد بن كامل وغيرهم. ماتت في ٦ ذي الحجة سنة ٧٤٠[١].

٢ ـ علي بن محمد بن محمد البغدادي:

المعروف بالرفاء سبط عبد الرحيم بن الزجاج ولد سنة ٦٦٢ واشتغل بالقراءات والحديث وسمع من ابن أبي الدنية وعبد الله بن ورخز صاحب ابن الأخضر ومن عبد الصمد بن أحمد وجده لأمه وأجاز له الشريف الداعي وغيره من واسط وكان قد أقام بقرية يقال لها برقطا واشترى بها أرضاً يستغل منها كفايته ولقن هناك خلقاً كثيراً ومات في واسط سنة ٧٤٠ هـ[٢].

حوادث سنة ٧٤١ هـ ـ ١٣٤٠ م

في هذه السنة خلد السلطان الشيخ حسن إلى الراحة، وإلى توطيد ملكه وتقوية حكومته في العراق وأساساً مل القوم الحروب وكل واحد منهم رغبة في تثبيت سلطانه وتأمين ما بيده.. والأصح قد أخذ المتنازعون يستعدون، أو يتأهبون بأمل العودة للنضال مرة أخرى..

وفيات

١ ـ مدرس المجاهدية:

توفي ركن الدين شافع بن عمر بن إسماعيل الجيلي الفقيه الحنبلي الأصولي، نزيل بغداد، سمع الحديث ببغداد على إسماعيل بن الطبال

---

(١) الدرر الكامنة ج ١ ص ٤١٣.

(٢) الدرر الكامنة ج ٣ ص ١١٩.

وابن الدواليبي وغيرهما، وتفقه على الشيخ تقي الدين الزريراني[1] وصاهره على ابنته، وأعاد عنده بالمستنصرية، وكان رئيساً، نبيلاً، فاضلاً، عارفاً بالفقه والأصول والطب مراعياً لقوانينه في مأكله ومشربه، ودرس بالمجاهدية بدمشق وأقرأ جماعة من رجال الأئمة الأربعة قال ابن رجب منهم والدي وله مصنف في مناقب الأئمة الأربعة سماه زبدة الأخبار في مناقب الأئمة الأبرار وكان قاصر العبارة لأن في لسانه عجمة، توفي ببغداد يوم الجمعة ١٢ شوال ودفن في دهليز تربة الإمام أحمد[2].

٢ ـ مدرس البشيرية:

توفي شرف الدين أبو محمد عبد الرحيم بن عبد الملك بن محمد ابن أبي بكر بن إسماعيل الزريراني البغدادي الحنبلي ابن شيخ العراق تقي الدين أبي بكر ولد ببغداد ونشأ بها وسمع الحديث ثم رحل إلى دمشق ومصر فسمع من جماعة ثم رجع إلى بغداد بفضائل جمة ودرس للحنابلة بالبشيرية بعد وفاة صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ثم درس بالمجاهدية بعد وفاة صهره شافع المذكور ولم تطل بها مدته. وناب في القضاء ببغداد، واشتهرت فضائله، وخطه في غاية الحسن، وألف مختصرات في فنون عديدة. توفي ببغداد يوم الثلاثاء ١٠ ذي

---

(١) زريران قرية تحت المدائن بيسير في الجانب الغربي من دجلة وهي من أعمال نهر الملك فوق ساباط كان عليها طريق الحاج، وبها قبر الشيخ علي الهيتي المتوفى سنة ٥٦٤ هـ ـ ١١٦٤ م كذا في المعجم والمراصد وأقول اليوم موقع قبر الشيخ علي الهيتي في أراضي السيافية المجاورة لأراضي ختيمية من الشرق وأراضي الحرية من الغرب وهي ملك فخر الدين آل جميل، ولا أثر الآن للقرية المذكورة ولفظها الصحيح ما ذكرت. . . وما جاء من التلفظ بها بغير هذا فهو غلط ناسخ «راجع: زريران في المجلد الأول».

(٢) الشذرات ج٦ والدرر الكامنة ج ٢ ص ١٨٦.

الحجة ودفن عند والده بمقبرة الإمام أحمد[1].

٣ ـ محمد بن علي بن محمود الدقوقي البغدادي:

ولد سنة ٦٨٧ هـ سمع من ابن أبي الدنية ومن أبي محمد ورخز ومن ابن أبي الجيش والمجد بن بلدجي وغيرهم وأجاز له محمد بن المخرمي وأحمد بن أبي الحديد ونصر النعماني وغيرهم، مات ببغداد سنة ٧٤١هـ[2].

٤ ـ محمد بن عمر بن فياض الباريني:

هو نائب الخطابة ببغداد سمع من الرشيد بن أبي القاسم وابن حلاوة وغيرهما مات في ذي القعدة سنة ٧٤١ هـ[3].

٥ ـ محمد بن محمد بن محمد البغدادي:

هو ضياء الدين الوراق المصري سمع من القاضي سليمان وإسماعيل بن مكتوم وطائفة وكان له خط حلو وخلق حسن مات بالقاهرة سنة ٧٤١ هـ[4].

٦ ـ أحمد بن يحيى بن محمد البكري:

الشهرزوري وهو شمس الدين الكاتب المشهور. ولد سنة ٦٥٤ وتفقه للشافعي وأتقن الخط المنسوب والموسيقى وكان قد حظي عند الملوك. وكتب عنه أبو سعيد القاءان والوزير غياث الدين وجمع جم من

---

(١) الشذرات ج ٦.

(٢) ر: الدرر الكامنة ج ٤ ص ٩٠.

(٣) ر: الدرر الكامنة ج ٤ ص ١١٠.

(٤) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٣٦.

أولاد الوزراء والقضاة والأمراء ولم يزل على تقدمه في فنونه إلى أن مات في ربيع الآخر سنة ٧٤١ هـ ولم يظهر في لحيته من الشيب إلا اليسير[١].

٧ ـ عبد الله بن عبد المؤمن التاجر الواسطي:

هو تاج الدين ويقال نجم الدين المقرىء. ولد سنة ٦٧١ هـ في أوائلها بواسط وقرأ القراءات على جماعة بتلك البلاد، قدم دمشق ثم دخل القاهرة اقرأ الناس ببغداد وواسط والبصرة والبحرين... وكان تاجراً سفاراً. وصنف (المختار) في القراءة و (الكنز) في القراءات العشر جمع فيه بين الإرشاد للقلانسي وبين التيسير للداني وزاده ونظمه في قصيدة لامية سماها (الكفاية) على وزن الشاطبية في ١٢٧٣ بيتاً ونظم الإرشاد للقلانسي وزاد عليه الإدغام الكبير لأبي عمرو وسماه (روضة الأزهار) في قراءات العشرة (أئمة الأمصار وهو ١١٥٣ بيتاً، وصنف (تحفة الإخوان في مآرب القرآن) وله مقدمة في النحو سماها (اللمعة الجلية). وقصيدته في القراءات الكبير أولها:

بـدأت أقـول الحـمـد لله أولا   إلهاً عظيماً واحداً صمداً علا

مات في شوال سنة ٧٤١ هـ وقال آخرون سنة ٤٠ في ذي القعدة[٢].

٨ ـ عبد الرحيم بن محمد بن سعيد بن محمد بن أبي النجم الحدادي:

ينتسب إلى الحدادية وهي قرية بقرب بغداد ولد في ربيع الأول سنة

---

(١) الدرر الكامنة ج ١ ص ٣٣٥.

(٢) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٧٢.

٦٧١ وسمع من الرشيد بن أبي القاسم وعبد الوهاب بن إلياس وغيرهما وأجاز له ابن الدباب وابن الزجاج والفخر وابن أبي عمر وابن شيبان وغيرهم. وكان مناولاً بخزانة الكتب المستنصرية كأبيه وله بها معرفة تامة. وكان أبوه صاحب ابن الساعي ووصيه. مات ببغداد في أواخر سنة ٧٤١ هـ[١].

٩ ـ الحسن بن علي بن إسماعيل الواسطي:

هو عز الدين أبو محمد. ولد ببغداد سنة ٦٥٤ هـ ونشأ بواسط. وقرأ القراءات وقدم مصر سنة ٦٩١ فسمع بها على جماعة. وناب بالإمامة بالمسجد النبوي وكان قد حج مرات. مات في شعبان سنة ٧٤١هـ[٢].

١٠ ـ علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن خليل الشيحي[*] البغدادي:

الصوفي علاء الدين خازن الكتب بالسميساطية. ولد سنة ٦٧٨ هـ ببغداد وسمع بها من ابن الدواليبي وقدم دمشق فسمع بها وجمع تفسيراً كبيراً سماه التأويل لمعالم التنزيل، وشرح العمدة وهو الذي صنف مقبول المنقول في عشرة مجلدات جمع فيه بين مسند الشافعي وأحمد والستة والموطأ والدارقطني فصارت عشرة كتب ورتبها على الأبواب وجمع سيرة نبوية مطولة وكان حسن السمت والبشر والتودد. مات في آخر شهر رجب أو مستهل شعبان سنة ٧٤١ هـ بحلب[٣].

---

(١) كذا ج ٢ ص ٣٦٠.

(٢) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٠.

(*) بكسر الشين نسبة إلى شيحة من عمل حلب.

(٣) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٩٨.

حوادث سنة ٧٤٢ هـ ـ ١٣٤١ م

حرب وهزيمة:

في هذه السنة تحارب الشيخ حسن الكبير مع الأمير حسن الصغير الجوباني في نخجوان فدارت الدائرة على الشيخ حسن الكبير سلطان العراق فلم يقو على خصمه. وليست هذه أول هزيمة منه في حروبه مع الجوباني[١]..

وفيات

١ ـ مظفر الدين موسى بن مهنا:

هو أمير العرب من آل فضل. ولي بعد أبيه المتوفى سنة ٧٣٥ هـ ولم يخرج عن الطاعة لحكومة مصر زمن غضبها على والده... مات في جمادى الأولى سنة ٧٤٢ هـ[٢].

٢ ـ الحسين بن مبارك الموصلي الصوفي:

كان بالسميساطية بدمشق وكان خازن الكتب بها وهو خيّر ديّن وله سماع من العماد ابن الطبال والرشيد بن أبي القاسم وغيرهما، مات في جمادى الآخرة سنة ٧٤٢ هـ عن نحو من (٧٠) عاماً[٣].

٣ ـ أبو الثناء رجب بن حسن بن محمد بن أبي البركات البغدادي:

جد الشيخ زين الدين ولد سنة ٦٧٧ تقريباً وسمع من ابن

---

(١) تقويم التواريخ لكاتب جلبي ص ٩٢.
(٢) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٨٢.
(٣) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٦٥.

المالحاني عن القطيعي ومن المعيد ابن المحلح وابن عزال وغيرهما وكان يقرىء حسين واسمه عبد الرحمن ويقال له رجب لكونه ولد في رجب مات في ٥ صفر سنة ٧٤٢ هـ[1].

٤ ـ محب الدين علي بن عبد الصمد بن أحمد البغدادي:

هو أبو الربيع البغدادي الحنبلي ويقال إنه كان يدعى عبد المنعم. ولد في ربيع الآخر سنة ٦٥٦ هـ بعد كائنة بغداد بنحو شهرين وسمع من والده وابن أبي الدنية وابن بلدجي وجماعة وأم بمسجد حمويه وولي قبل موته مشيخة المستنصرية. مات في نصف صفر سنة ٧٤٢ هـ[2] وفي نسخة سنة ٧٤٩.

حوادث سنة ٧٤٣ هـ ـ ١٣٤٢ م

إمارة العرب:

في ربيع الآخر من سنة ٧٤٣ هـ عزل الأمير سليمان بن مهنا بن عيسى عن إمارة العرب وولي الأمير عيسى بن فضل بن عيسى وذلك بعد القبض على فياض بن مهنا بمصر. وكان سليمان قد ظلم وصادر... ثم أعيد بعد مدة قريبة للإمارة[3]. ومن هذا نجد سلطة مصر كانت قوية عليهم...

مجمع الأنساب:

تاريخ فارسي. تأليف محمد بن علي بن محمد بن حسين بن أبي بكر الشبانكاري كتبه في عهد السلطان أبي سعيد بهادرخان سنة ٧٣٣ هـ،

---

(١) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٠٧.

(٢) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٦٢.

(٣) تاريخ أبي الفداء ج ٤ ص ١٤٢.

وكان المؤلف من الشعراء والكتاب، ومن مداحي الخواجه غياث الدين محمد بن الرشيد، ولد في حدود سنة ٦٩٧ هـ في إحدى أعمال شبانكارة، واشتهر في الإكثار من الشعر، وكان في أيام وزارة الخواجه غياث الدين يقدم كل سنة القصائد في مدحه.

شرع في تاريخه سنة ٧٣٣ هـ ولكنه لم يتمه إلا في سنة ٧٣٦ هـ وقدمه للخواجه غياث الدين محمد ليعرضه على السلطان أبي سعيد إلا أنه قبل أن يصل إليه توفي أبو سعيد. وإن هذا التاريخ قد فقد أثناء الغارة على الربع الرشيدي، فأعاد المؤلف كتابته للمرة الأخرى بعد أن قتل بمدة أي سنة ٧٤٣ هـ. وفي هذه المرة أضاف إليه وقائع السلطان أبي سعيد، وسماه أيضاً مجمع الأنساب، وإن القسم السابق للمغول عول فيه على التواريخ المتداولة. وأما القسم الخاص بعهد أولجايتو وأبي سعيد وملوك فارس وسبانكارة وهرمز فقد احتوى مطالب مفيدة ومهمة... وعلاقته ظاهرة ويصلح أن يكون متمماً للتواريخ التي سبقته[1]..

وفيات

١ ـ محمد بن يحيى البغدادي:

ثم الدمشقي الإبري (الأثري)، سمع من الصفي عبد المؤمن وأخذ عنه الفرائض وكان ماهراً فيها، وفي الجبر والمقابلة، مشهوراً بذلك، وسمع على كبر من المزي مات في المحرم سنة ٧٤٣ هـ[2].

---

(١) تاريخ مفصل إيران ص ٤٩١ و ٥٢١ وإسلامده تاريخ ومؤرخلر ص ٣٢٩.

(٢) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٧٥.

٢ ـ أحمد بن داود بن منك الموصلي:

هو دنيسري، ثم موصلي، تفقه على الشيخ تاج الدين عبد الرحيم ابن محمد بن محمد بن يونس ثم انتقل إلى ماردين، وكان كثير المجون، توفي سنة ٧٤٣ هـ[١].

حوادث سنة ٧٤٤ هـ ـ ١٣٤٣ م

حروب ـ وفاة الأمير حسن الجوباني:

في هذه السنة وما قبلها لم تسفر الحروب بين متغلبة المغول بعضهم مع بعض عن نتيجة، وقد انقطعت السبل وزال الأمن، وكثرت الفتن... وفي آخر رجب سنة ٧٤٤ هـ علمت زوجة الأمير حسن الجوباني المسماة عزة الملك أن زوجها قد سجن يعقوب شاه الذي هو من أمرائه، وكان بينها وبينه علاقة حب وعشق فظنت أن زوجها قد انكشف له الأمر وخافت الوقيعة بها، وفي ليلته حينما أخذ السكر بلبه أمسكته من خصيتيه فمرضتهما وبذلك قضت على حياته[٢]...

وكان الأمير حسن هذا يعرف بالشيخ حسن الصغير. لأن صاحب بغداد كان يشاركه في اسمه وهو أسن وأدخل في نسب الخان فميز بالكبير، وهذا ميز بالصغير... ولما استقل حسن الصغير بالملك والخان عنده عجز عنه الشيخ حسن الكبير وغلبته أمم التركمان بضواحي الموصل إلى سائر بلاد الجزيرة... ذلك ما دعا أن يستعين الجلايري بملك مصر وقد مر[٣]...

---

(١) الدرر الكامنة ج ١ ص ١٣٠.

(٢) روضة الصفا ج ٥ ص ١٦٥ وشجرة الترك ص ١٧٣، وتاريخ العراق المجلد الأول.

(٣) ابن خلدون ج ٥ ص ٥٥٢.

وعلى هذا الحادث تنفس سلطان العراق الصعداء، ونجا من غوائل عدوه.. وكان حسن الجوباني تأمر بسيواس بعد قتل أبيه تمرتاش (دمرداش أوتيمورطاش) سنة ٧٣٨ هـ، وكان داهية، ماكراً، بعيد الغور.. وخلفه ابنه الملك الأشرف...

والحاصل استمرت منازعات الأمراء إلى هذا التاريخ وبعده[١]..

وفيات

١ ـ محمد بن القاسم بن أبي البدر

المليحي (الملحي) الواسطي، الواعظ. اشتغل بالفقه والأصول، وقرأ القراءات العشر، وكان حسن الصوت، بعيد الصيت في الوعظ، وأنشأ خطباً، وقصائد، ومدائح، وخطب ببغداد بالجامع الذي أنشأه الوزير محمد بن الرشيد، ومات بواسط في آخر جمعة من رمضان سنة ٧٤٤ هـ وقد ناهز السبعين، وأورد صاحب فوات الوفيات جملة من شعره من موشحات وقصائد[٢].

٢ ـ ابن الجحيش:

إبراهيم بن محمد بن علي الموصلي الأصل، البغدادي، الكاتب. ولد في شعبان سنة ٦٧٦ هـ روى عن أبي الحسين محمد بن علي بن أبي البدر، ومحيي الدين أبي عثمان «ابن أبي عثمان». علي بن عثمان بن عفان الطيبي، وبرع في كتابة المنسوب. مات في صفر سنة ٧٤٤ هـ[٣].

---

(١) الدرر الكامنة ج ٢ ص ١٥،

(٢) الدرر الكامنة ج ٤ ص ١٤٣، وفوات الوفيات ج ٢ ص ٣٦٨.

(٣) الدرر الكامنة ج ١ ص ٦٤.

٣ ـ سليمان بن مهنا:

سليمان بن مهنا بن عيسى بن مهنا. ولي إمرة العرب، وتوجه مع قراسنقر إلى بغداد والتتر فأقام سبع عشرة سنة ثم عاد إلى سورية ومصر، ولاه الناصر عوض أخيه موسى إمرة العرب إلى أن توفي سنة ٧٤٤، أو ٧٤٥ هـ[١]. وقد مرت بعض أخباره في المجلد الأول.

٤ ـ عيسى بن فضل الله بن عيسى بن مهنا:

هو شرف الدين بن شجاع الدين. مات في جمادى الأولى سنة ٧٤٤ هـ. وكان من خيار أهل بيته. ولي الإمرة بعد وفاة موسى بن مهنا سنة موته ثم صرف عنها ومات بعد قليل[٢].

جامع محمد الفضل



ومدرسته

مر أن محمد بن [illegible] بالجامع الذي أنشأه الوزير محمد[٣] بن الرشيد وقد فصلنا أخبار هذا الوزير في المجلد الأول وأوضحنا أن إدارته كانت من خير الإدارات في عهد المغول، أظهر حمايته للدين أكثر من غيره... فلا يبعد أن ينشيء جامعاً، ولكن المؤرخين البعيدين لم يتعرضوا لأعماله الخاصة في العراق... ولم يبسطوا القول في تاريخ هذا الجامع.

والمعروف أن هذا الوزير «أثر آثاراً جميلة» ومن أهمها هذا الجامع المشهور بـ «جامع محمد الفضل» ومحمد هو الوزير، والفضل والده

---

(١) الدرر الكامنة ج ٢ ص ١٦٣.

(٢) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢٠٨.

(٣) الدرر الكامنة ج ٤ ص ١٤٣.

«فضل الله الخواجه رشيد الدين» الوزير صاحب جامع التواريخ. ومعتاد الناس أن يتساهلوا في اختصار الأعلام فيقولوا محمد الفضل ويريدون محمد بن الفضل...

قال المرحوم الأستاذ شكري الآلوسي إنه «من الجوامع القديمة في جانب الرصافة... وليس على جدرانه من الكتابات المتقدمة ما يعرفنا بمنشىء عمارته.. جدده سليمان باشا والي بغداد سنة ١٢١٠ هـ» «إلى أن قال»:

«وفي هذا الجامع على ما يقال قبر محمد الفضل فلذلك سمي بجامع الفضل؛ وهو على ما ذكر بعضهم ابن إسماعيل بن جعفر الصادق، ومحمد الفضل والسيد سلطان علي أخوان» اهـ.

جاء في دوحة الوزراء أن الوزير سليمان باشا عمر فيه مدرسة أيضاً...

والنص المنقول في ترجمة ابن القاسم يعين أن منشىء عمارته هو الوزير محمد بن الفضل، والقول بأن محمد الفضل هو ابن إسماعيل بن جعفر الصادق‌عليه‌السلام باطل فإن محمداً رأس الإسماعيلية، والمعروف أنه سار إلى أنحاء مصر، ولم تكن وفاته في بغداد، وإنما ينسب الإسماعيلية «الحكومة المصرية الفاطمية» إليه... هذا مع الإشارة إلى أن محمد الفضل لم يكن أخاً للسيد سلطان علي... وأعتقد أن قد وضح باني الجامع، أو مؤسسه...



أحد مجالس الأمير تيمورلنك

حوادث سنة ٧٤٥هـ ـ ١٣٤٤م

وفيات

١ ـ ابن الفصيح:

في هذه السنة توفي جلال الدين عبد الله بن أحمد بن علي بن أحمد الفقيه الحنفي النحوي العراقي الكوفي المعروف بابن الفصيح، طلب الحديث وسمع من الجزري والذهبي. ولد سنة ٧٠٢هـ نقلاً عن الصفدي[١].

٢ ـ عبد الرحمن بن علي التكريتي:

هو عبد الرحمن بن علي بن حسين بن مناع التكريتي ثم الصالحي التاجر. ولد في رمضان سنة ٦٦٢هـ ووجد بخطه ٦٣ سمع من ابن عبد الدائم وغيره، وحدث وكان تاجراً حسن الشكل، مهيباً، كريم الأخلاق. مات في شعبان سنة ٧٤٥[٢].

حوادث سنة ٧٤٦هـ ـ ١٣٤٥م

طاق كسرى:

في هذه السنة في رابع صفر انهدم طاق كسرى كذا في تقويم التواريخ والظاهر أنه سقط قسم منه وإلا فإن بقاياه لا تزال قائمة إلى العام الذي نكتب فيه هذا التاريخ وهو سنة ١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٦م.

---

(١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ص ٢٧٨ والشذرات ج ٦ ص ١٤٣.

(٢) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٣٦.

شريف مكة أسد الدين رميثة:

توفي في هذه السنة وكان ينازع الإمارة أخاه عطية، واستقر رميثة في إمارة مكة منفرداً عام ٧٣٨ هـ. ثم نزل عن الإمارة لولديه ثقبة وعجلان إلى أن مات.

وأحمد المذكور آنفاً ابنه. وفي الشذرات والدرر الكامنة تفصيل عنه وعن ثقبة ورميثة إلا أن صاحب الدرر ذكر وفاة رميثة سنة ٧٤٨هـ[١].

وفيات

١ ـ محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الكوفي:

ثم البغدادي الأتراري (الإبراري) الأصل جلال الدين أبو هاشم الهاشمي من ولد ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. ولد سنة ٦٦٣ هـ. وكان أبوه واعظ بغداد[٢] في زمانه وله مراثٍ في المستعصم وآل بيته، كان ينشدها في مجالسه بالمستنصرية، نشأ ولده على طريقته، وسمع من الرشيد بن أبي القاسم والنجم الهروي، وأجاز له عبد الصمد بن أبي الجيش، والموفق، والكواشي وآخرون رتب مسمعاً للحديث بالمستنصرية بعد تقي الدين الدقوقي، وكان من أكابر أمناء بغداد. توفي في رجب هذه السنة[٣].

٢ ـ محمد بن يونس بن حمزة الإربلي:

إربلي الأصل صالحي وهو القطان العدوي. روى عن ابن عبد

---

(١) الشذرات ج ٦ ص ١٥٠، والدرر الكامنة ج ٢ ص ١١١ وج ١ ص ٥٣٠.

(٢) مر ذكره في المجلد الأول من هذا الكتاب. وهنا تأيد أن اسم والد المترجم محمد بن أحمد.

(٣) الدرر الكامنة ج ٤ ص ١٦٣.

الدائم وعبد الوهاب بن الناصح وغيرهما، وحدث، وكان فاضلاً عالماً بالفنون، ذا ورع وزهد. مات في المحرم من هذه السنة[1].

٣ ـ محمد بن طاهر الواسطي:

النقيب، حدث عن الفخر، ومات في صفر سنة ٧٤٦ هـ وفي رواية سنة ٧٤٤ هـ أو سنة ٧٤٧ هـ[2].

٤ ـ الدلقندي:

في هذه السنة في يوم عاشوراء توفي فجأة الأمير السيد عماد الدين ناصر بن محمد الدلقندي وقد مر بنا ذكر الأمير علي ابن الأمير طالب الدلقندي ولا تعرف درجة قرابتهما ولا مكانتهما... وقد رثى صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي المترجم بقصيدة مطلعها:

اليوم زعزع ركن المجد وانهدما
فيحق للخلق أن تذري الدموع دما

ومنها:

يا ابن الأئمة والقوم الذين سموا
على الأنام فكانوا للهدى علما
مثواك في يوم عاشوراء يخبرنا
بقرب أصلك من آبائك الكرما

وذكر له ولدين هما نظام الدين وتاج الدين[3]... وقد مضى البحث عن الدلقندي في المجلد الأول من هذا التاريخ...

---

(١) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣١٧.

(٢) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٤٥٩.

(٣) ديوان الصفي الحلي ص ٢٤٨.

حوادث سنة ٧٤٨ هـ ـ ١٣٤٧ م

السلطان ـ حرب اللر:

شاهد ابن بطوطة السلطان فقال: «كان سلطان بغداد والعراق في عهد دخولي إليها (في هذه السنة) الشيخ حسن ابن عمة السلطان أبي سعيد... وكان السلطان حسن غائباً عن بغداد في هذه المدة متوجهاً لقتال السلطان أتابك افراسياب صاحب بلاد اللر...»[1].

إمارة اللر الكبيرة:

يراد ببلاد اللر إمارة «اللر الكبيرة» أو المعروفة اليوم بـ «البختارية» تمييزاً لها عن اللر الصغيرة «إمارة الفيلية» وتأسست إمارة اللر الكبيرة أيام أبي طاهر محمد عام ٥٤٥ هـ، أو سنة ٥٥٠ هـ وتوالى فيها تسعة أمراء:

١ ـ أبو طاهر (٥٤٥ هـ: ٥٥٠ هـ).

٢ ـ هزار اسف (٥٥٠ هـ: ٥٥٤ هـ).

٣ ـ تكله (٥٥٤ هـ: ٥٥٦ هـ).

٤ ـ شمس الدين الب ارغون (٦٥٦ هـ: ٦٧١ هـ).

٥ ـ يوسف شاه (٦٧١ هـ: ٦٨٠ هـ).

٦ ـ افراسياب (٦٨٠ هـ ـ ٦٩٦ هـ).

٧ ـ نصرة الدين أحمد (٦٩٦ هـ: ٧٣٢ هـ).

٨ ـ ركن الدين يوسف شاه (٧٣٢ هـ: ٧٤٠ هـ).

٩ ـ مظفر الدين أفراسياب (٧٤٠ هـ: ٧٩٥هـ).

---

(١) رحلة ابن بطوطة ج ٢ ص ١٦٨.

وقد أطنب ابن بطوطة في الكلام على أميرها افراسياب المذكور والموضوع البحث.. وإمارتهم تسمى «الأتابكة الفضلوية» وقد امتدت سلطتها إلى تستر وايذج... وهذه كان لسلطان العراق مقرر عليها أي أنها تابعة ومنقادة له... ولا يسع المقام التفصيل ولا ذكر من جاء بعد افراسياب. وقد مر في المجلد الأول الكلام على افراسياب الأول ونصرة الدين أحمد وغيرهما...

وقائع العرب (قبيلة طيىء):

في هذه السنة حدثت وقائع وحروب بين أمراء العرب من طيىء وذلك أن سيف بن فضل بن عيسى بن مهنا جمع لحرب مهنا بن عيسى ووقعت بينه وبين فياض بن مهنا وقعة انكسر فيها، ثم تواترت الحروب ونهبوا من مال سيف.. وحصل للرعية بسبب هذه الحروب شرور كثيرة في هذه الأيام وما بعدها إلى أن قتل سيف[1]..

الملك الأشرف ـ حصار بغداد:

في أول موسم الربيع من سنة ٧٤٨ هـ تحرك الملك الأشرف من قراباغ وصال على الشيخ حسن الايلكاني متوجهاً إلى بغداد فعلم الشيخ بذلك فاتخذ الأهبة واستعد للكفاح. توجه الأشرف نحو قلعة كماخ أولاً فلم ينل منها مأرباً وكانت المواطن قد استحكمت ومنع من دخولها دلشاد خاتون والخواجه مرجان وقرا حسن فمال نحو بغداد ولما وصلها رأى البلد محكماً مضبوطاً أيضاً فتحارب جيش الأشرف بضعة أيام فلم يحصل على طائل. وإن الأمير أحمد من مقربي الملك الأشرف تكلم مع البغداديين على ساحل دجلة بقصد الإقناع فلم يفز بغرض أيضاً، وفي الأثناء هاجمه بعض الخيالة من البغداديين فاستولى الخوف عليه وعلى

---

(١) الدرر الكامنة ج ٢ ص ١٨٣.

الملك الأشرف وانهزموا بمن معهم فحاول أمراء بغداد أن يعقبوا أثرهم وينكلوا بهم أثناء هربهم فمنعتهم دلشاد خاتون حذراً من الخدعة وآوت من مال إلى بغداد من الأفراد الملتجئين من عسكره المنهزم[1]...

وفيات

١ ـ نجم الدين محمود (وزير بغداد):

هو ابن علي بن شروين البغدادي كان وزير بغداد وفي سنة ٧٣٨ هـ سار إلى الديار المصرية لما رأى من كثرة الاختلاف فاتفق مع جماعة عند إرادة الفتك به... فتوجهوا إلى الشام ثم قدموا القاهرة فلما سلم على الناصر وقبّل الأرض قبل يده فوضع فيها حجر بلخش وزنه أربعون درهماً قوّم بأكثر من عشرة آلاف دينار فأكرمه السلطان وقرره أمير طبلخانات وأعطاه إمرة وتشريفاً ووصى السلطان أن يرتب وزيراً بعده فولي الوزارة في أول دولة المنصور فعامل الناس بالجميل واستمر إلى أن ولي الصالح إسماعيل فحظي عنده ثم عزل في دولة الكامل شعبان، فلما ولي المظفر حاجي أعيد إلى أن خرج في أوائل شهر رجب سنة ٧٤٨ هـ وطغيتمر النجمي الدوادار وغيرهما إلى غزة ثم قتلوا بها في السنة المذكورة. وكان جواداً كثير الصدقات. وهو الذي أقدم ابن عبد الهادي إلى القاهرة حتى سمعوا صحيح مسلم.

وممن كان معه حين سفره إلى الديار المصرية محمود فخر الدين نائب الحلة أيام أبي سعيد وبعده، كان موصوفاً بالشجاعة والإقدام وهو الذي باشر قتل ابن السهروردي لما قدم لإرادة مصادرة أهلها. ولما وصلوا إلى دمشق استقر محمود هذا أميراً بأربعين فرساً.

---

(١) روضة الصفا ج ٥ ص ١٦٧ والتفصيل هناك.

وممن كان معه نظام الدين يحيى بن عبد الرحمن الجعبري «الجعفري» المعروف بابن النور الحكيم أصله من بغداد وكان أبوه من فضلاء المتميزين في صناعة الكحل وخالط الوزير وكثر ماله واشتغل ابنه يحيى وتأدب وكتب الخط الجيد واتصل بأبي سعيد فكان يكتب عنه الكتب التي بالعربية ويكتب عنه إلى مصر وغيرها بعبارة جيدة وحج بالناس مرة على الركب العراقي، ثم قدم دمشق مع الوزير نجم الدين ثم دخل صحبته إلى القاهرة واستقر نجم الدين أمير مائة وبقي هو في خدمة قوصون، وكان حاذقاً بالموسيقى ثم عاد إلى دمشق فاستقر بها في مشيخة الربوة وطلب الحديث فسمع بدمشق والقاهرة فأكثر وكتب الخط الجيد كثيراً... وكان له نظم حسن[1]....

٢ ـ نجم الدين سليمان النهرماوي:

هو ابن عبد الرحمن بن علي النهرماوي (النهرماري) البغدادي الحنبلي، حدث بالإجازة عن كمال البزار والرشيد بن أبي القاسم، وتفقه على أبي بكر الزريراني وتقدم في معرفة الفقه إلى أن صار شيخ الحنابلة ببغداد، وولي قضاءها نيابة والتدريس بالمستنصرية (ورد المستظهرية) وترك ذلك قبل موته بقليل واستقل ولده بالحكم والتدريس. وكانت وفاة النجم في جمادى الآخرة سنة ٧٤٨ هـ[2].

٣ ـ نجم الدين عبد العزيز بن عبد القادر الربعي البغدادي:

ولد سنة ٦٦٢ هـ ببغداد وسمع بها وقدم الشام. وكانت له نباهة. صنف كتاب نتائج الشيب من مدح وعيب في مجلد. وله رسالة في الرد على من أنكر الكيمياء وغير ذلك، سمع منه جماعة.. مات سنة ٧٤٨ هـ[3].

---

(١) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٣٢ و ٣٤٤ و٤١٨.

(٢) الدرر الكامنة ج ٢ ص ١٥١.

(٣) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٧٦.

حوادث سنة ٧٤٩ هـ - ١٣٤٨ م

الطاعون العام:

في هذه السنة كان الطاعون العام الذي لم يسمع بمثله، عم البلاد حتى قيل إنه مات نصف الناس ونصف الطيور والوحوش والكلاب وعمل فيه ابن الوردي مقامة[١]..

جاء عنه في تحفة اللبيب وبغية الكئيب الموجود في خزانة باريس الأهلية لأبي الفتح محمد بن علي بن القاضي تقي الدين العوفي[٢] المصري ما نصه:

«وأشهرها الطاعون الجارف الذي كان ببغداد وسائر العراق، ابتدأ في أواخر صفر سنة ٧٤٩هـ من قرية يقال لها حصصتا من عمل الدجيل، ثم انتقل إلى المشهد الكاظمي، وعم الجانب الشرقي والغربي، وأباد أهلها وكان الرجل يخرج من بيته معافى صحيحاً فيودع الناس، ويرجع إلى بيته فيموت، وتكاثر في رجب، واشتد في رمضان، وصعب في ذي القعدة، وبلغ الغاية العظمى في ذي الحجة والمحرم سنة ٧٥٠هـ إلى حادي عشرين صفر...» اهـ. قاله الصديق الأستاذ مصطفى جواد.

أمير العرب:

في هذه السنة توفي الأمير أحمد بن مهنا ابن الأمير عيسى أمير العرب من آل فضل توفي بناحية السلمية. كان جميل السلوك محترماً عند الملوك رحمه الله[٣]. وفتّ موته في أعضاد آل مهنا وتوجه أخوه فياض

---

(١) الشذرات ج ٦ ص ١٥٨.

(٢) نسبة إلى عبد الرحمن بن عوف (رض).

(٣) عقد الجمان ج ٢٣.

الغشوم القاطع للطرق الظالم للرعية إلى مصر ليتولى الإمارة على العرب مكان أخيه أحمد فأجيب إلى ذلك فشكا عليه رجل شريف أنه قطع عليه الطريق وأخذ ماله وتعرض إلى حريمه فرسم السلطان بإنصافه منه فأغلظ فياض في القول طمعاً بصغر سن السلطان فقبضوا عليه قبضاً شنيعاً.

وكان في عام ٧٤٧ هـ قد اقتتل هؤلاء مع سيف بن فضل بن عيسى أمير العرب فانكسر سيف ونهبت جماله وأمواله ونجا بعد اللتيا واللتي وقد نال الأهلين من هؤلاء الأمر الكبير من التعديات على بلد المعرة وحماة وغيرهما بما لا يوصف...

وإن سيف هذا كان قد عزل عن الإمارة عام ٧٤٦ هـ ونصب مكانه أحمد بن مهنا وأعيد إقطاع فياض بن مهنا إليه...

وعلى كل كانت السلطة تابعة للأقوى ولمن يتغلب على منازعيه فيها... وهي إمارة عشائرية.. ولم يعلم في هذه الأيام عن علاقة هؤلاء بالعراق ودرجة اتصالهم به لقلة المصادر المعروفة... ولما كانت أقسام كبيرة من عشائر العراق ترجع إلى قبائل طيىء وهؤلاء أمراؤها فالاتصال ظاهر. وهذا ما دعا أن نشير إلى وقائعهم فيما بينهم وبين الحكومة السورية[1]...

وأول من ذاع ذكره من هذا البيت في أيام العادل عمرو بن بلي. وديارهم من حمص إلى قلعة جعبر إلى الرحبة آخذة على سقي الفرات وأطراف العراق. ولهم مياه كثيرة ومناهل. وكان أحمد هذا أمير العرب. ولد سنة ٦٨٤ هـ وولي أمرة آل فضل في أيام الناصر، وصرف عنها ثم أعيد، وكان جواداً كريماً، خيراً، جيد المعاملة، وفياً بالعهد، لم يكن في أولاد مهنا مثله في العقل والسكون والديانة. قد جرت له وقائع،

(١) تاريخ ابن الوردي ج ٢ ص ٣٤٢ وص ٣٤٦ وص ٣٥٣.

قدم القاهرة مراراً، واعتقله طقزدمر نائب الشام سنة ٧٤٥ هـ بدمشق، ثم بصفد، وأطلقه الكامل في شعبان سنة ٧٤٦ هـ وأكرمه، وأمره عوضاً عن سيف بن فضل ثم أعيد سيف في أيام المظفر حاجي، وعزل أحمد وكان بالقاهرة فأخرج منها، ثم قدم سنة ٧٤٩ هـ وأعاده السلطان حسن ورجع إلى بلاده فمات في رجب هذه السنة[1].

عودة السلطان من تستر ـ خبيئة:

قد جاء في الشذرات أنه في هذه السنة وعلى ما جاء في ابن بطوطة في السنة التي قبلها توجه السلطان إلى تستر ليأخذ من أهلها قطيعة قررها عليهم فأخذها وعاد فوجد نوابه في رواق العدل في بغداد ثلاث قدور مثل قدور الهريسة مملوءة ذهباً مصرياً وصورياً ويوسفياً وفي بعضها سكة الخليفة الناصر البغدادي وغير ذلك فيقال جاء وزن ذلك أربعين قنطاراً بالبغدادي[2]. وفي تاريخ الغياثي:

«وظفر ـ الشيخ حسن ـ في بغداد بخبيئة قيل إنه وجد فيها خمسمائة ألف مثقال ذهباً[3]».

وفيات

١ ـ ابن الوردي:

في هذه السنة أو في التي قبلها توفي ابن الوردي وهو الشيخ زين الدين عمر بن الوردي. وعلى تاريخه عولنا في حوادث كثيرة إلا أنه قليل التعرض لحوادث العراق وكتابه في مجلدين طبع ببولاق مصر عام

---

(١) الدرر الكامنة ج ١ ص ٣٢٢.

(٢) الشذرات ج ٦ حوادث سنة ٧٥٧. والدرر الكامنة ج ٢ ص ١٤.

(٣) ص ١٨٠.

١٢٨٥هـ وعليه بعض التعاليق وقد أضيفت حوادثه الأخيرة إلى تاريخ أبي الفداء المطبوع في الآستانة لذا نجد النصين متفقين في اللفظ... وترجمته مذكورة في فوات الوفيات[١].

٢ ـ صفي الدين الخطيب البغدادي:

في هذه السنة توفي صفي الدين أبو عبد الله الحسين بن بدران بن داود البابصري البغدادي الفقيه الحنبلي المحدث النحوي الأديب ولد سنة ٧١٢ هـ وسمع الحديث متأخراً وعني به وتفقه وبرع في العربية والأدب ونظم الشعر الحسن وصنف في علوم الحديث وغيرها واختصر الإكمال لابن ماكولا. توفي يوم الجمعة ١٧ رمضان سنة ٧٤٩ هـ ببغداد مطعوناً ودفن بمقبرة باب حرب[٢].

قال في الدرر الكامنة ولي الإعادة بدار الحديث بالمستنصرية. وكان بارعاً في الأدب مشاركاً في الحديث والتاريخ مع الصيانة والديانة.

٣ ـ أبو الخير سعيد الذهلي الحريري: (مؤرخ عراقي):

توفي أبو الخير سعيد بن عبد الله الذهلي الحريري الحنبلي الحافظ مولى صلاح الدين عبد الرحمن بن عمر الحريري سمع ببغداد من الدقوقي وخلق وبدمشق من زينب بنت الكمال وأمم وبالقاهرة والإسكندرية وبلدان شتى وعني بالحديث وأكثر من السماع والشيوخ وجمع تراجم كثيرة لأعيان أهل بغداد وخرج الكثير وكتب بخطه الرديء كثيراً، قال الذهبي: «له رحلة وعمل جيد وهمة في التاريخ ويكثر المشائخ والأجزاء وهو ذكي

---

(١) ج ٢ ص ١٤٥ ومر وصف تاريخه المسمى بالمختصر في أخبار البشر في المجلد الأول من تاريخ العراق.

(٢) الشذرات ج ٦ ص ١٦٣ والدرر الكامنة ج ٢ ص ٥٣.

صحيح الذهن عارف بالرجال حافظ» انتهى[١].

٤ ـ سراج الدين البزار:

توفي سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن موسى بن الخليل البغدادي الأزجي البزار الفقيه الحنبلي المحدث ولد نحو سنة ٦٨٨ هـ وسمع من إسماعيل بن الطبال وابن الدواليبي وجماعة وعني بالحديث وقرأ الكثير ورحل إلى دمشق فسمع بها وأخذ عن الشيخ تقي الدين ابن تيمية وحج مراراً ثم أقام بدمشق وكان حسن القراءة ذا عبادة وتهجد، وصنف كثيراً في الحديث وعلومه ثم توجه إلى الحج في هذه السنة فتوفي بمنزلة حاجر قبل الوصول إلى الميقات ومعه نحو خمسين نفساً بالطاعون وذلك صبيحة يوم الثلاثاء حادي عشر ذي القعدة ودفن بتلك المنزلة[٢].

حوادث سنة ٧٥٠ هـ ـ ١٣٤٩ م

الطاعون في الموصل:

إن الطاعون الآنف الذكر قد عم الموصل أيضاً فكان تأثيره كبيراً دخلها في هذه السنة. وهذه الأمراض نرى فتكها عظيماً مع قلة وسائط النقل والاختلاط. واستولى على بغداد أيضاً[٣].

وفيات

١ ـ عمر بن علي بن عمر القزويني:

الحافظ الكبير، محدث العراق سراج الدين ولد سنة ٦٨٣ وعني

---

(١) الشذرات ج ٦ والدرر الكامنة ج ٢ ص ١٣٤، وضبط الدهلي بكسر الدال وسكون الهاء...

(٢) الدرر الكامنة ج ٣ ص ١٨٠ والشذرات.

(٣) الدر المكنون وغيره.

بالحديث وسمع من الرشيد بن أبي القاسم ومحمد بن عبد المحسن الدواليبي والنجم أحمد بن غزال وجمع جم، وأجاز له التقي سليمان وغيره من دمشق، وصنف التصانيف وعمل الفهرست وأجاد فيه. مات سنة ٧٥٠ هـ روى عنه جماعة من آخرهم صاحب القاموس[1].

٢ ـ حمد الله المستوفي: (مؤرخ معروف)

في هذه السنة توفي الخواجة حمد الله أحمد[2] بن تاج الدين أبي بكر بن نصر المستوفي القزويني من أسرة قديمة في قزوين. وكان لهذا البيت سعي بليغ في استئصال آل الجويني. ولد المترجم سنة ٦٨٠ هـ في قزوين، وكان من أخص كتاب الخواجه رشيد الدين فضل الله صاحب جامع التواريخ. وفي سنة ٧١١ هـ بعد قتل سعد الدين الساوجي نال بعض المناصب المهمة. ولما قتل الخواجة رشيد الدين لازم ابنه الخواجه غياث الدين محمداً ثم انقطعت عنا أخباره فلم نقف على تفصيل عنها... وكان شاعراً وكاتباً بليغاً وله اطلاع واسع على اللغة الفارسية. وأما التاريخ فيعد من أكابر رجاله تخرج على الخواجه رشيد الدين فنال حظاً وافراً من العلوم في أيامه...

وله:

١ ـ تاريخ گزيده من أجلّ الآثار التاريخية. قدمه للخواجه غياث الدين محمد وكان اعتماده على جامع التواريخ وكتب تاريخية أخرى ومن أهم ما فيه بيانه في آخر كتابه هذا عن العلماء والأئمة والفضلاء، وأوضح عن قزوين إيضاحاً جغرافياً كافياً. أتمه سنة ٧٣٠ هـ.

وقد ألحق به محمود كيتي مبحثاً جليلاً عن آل مظفر كتبه سنة

---

(١) الدرر الكامنة ج ٣ ص ١٨٠.

(٢) كشف الظنون ج ٢ ص ٥٩٥، طبعة استانبول ذكره باسم محمد في مادة نزهة القلوب وقطع أنه توفي سنة ٧٥٠ هـ وفي «گزيده» بين أنه حمد الله.

٨٢٣هـ تكلم عليهم من ابتداء ظهورهم سنة ٧١٨ هـ إلى أن انقرضوا عام ٧٩٥ هـ وعندي نسخة قديمة ومعتنى بها منه إلا أنها ناقصة الأول والآخر وفيها تصحيحات مهمة والنسخة المطبوعة في لندن وإن كانت تمثل الأصل القديم لا تخلو من أغلاط فاحشة جداً...

٢ ـ ظفرنامه: تاريخ منظوم يبتدىء من أيام العرب، ويتكلم على سلاطين إيران وحكومة المغول.. وأهم ما فيها، عن أيام المغول.. وهي في ٧٥ ألف بيت بارى بها الفردوسي قال في أولها:

ظفرنامه كن نام ابن نامه را
بدين تازه كن رسم شهنامه را

وكان نظم منها خمسين ألف بيت في خمس عشرة سنة ثم تركها وكتب تاريخ گزيده وبعد أن أتمه عاد إليها وأتمها سنة ٧٣٥ هـ ومنها نسخة في المتحفة البريطانية برقم ٢٨٣٣ بين الكتب الفارسية هناك.

٣ ـ نزهة القلوب، وهذه في الجغرافية وفيها مطالب عن العراق وإيران لا يستهان بها. أتمها سنة ٧٤٠ هـ طبعت في الهند سنة ١٣١١ وطبع في ليدن منها قسم المقالة الثالثة سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١٣ م).

والمؤلف ذو علاقة بالعراق وبياناته عنها وافرة وموثوقة..

٣ ـ جمال الدين البابصري:

وفي هذه السنة توفي جمال الدين أبو العباس أحمد بن علي بن محمد البابصري البغدادي الحنبلي الفقيه الفرضي الأديب ولد نحو سنة ٧٠٧ وسمع الحديث على صفي الدين بن عبد الحق وغيره وتفقه على الشيخ صفي الدين ولازمه وعلى غيره وبرع في الفرائض والحساب، وقرأ الأصول والعربية والعروض والأدب ونظم الشعر الحسن، وكتب بخطه الحسن الكثير، واشتهر بالاشتغال في الفتيا ومعرفة المذهب، وأثنى عليه فضلاء الطوائف، وكان صالحاً، متواضعاً، حسن الأخلاق طارحاً

للتكلف. توفي سنة ٧٥٠ هـ ببغداد في الطاعون بعد رجوعه من الحج..

٤ ـ ابن ترشك البغدادي:

هو تاج الدين محمد بن يوسف بن عبد الغني بن ترشك البغدادي المقرىء الصوفي ولد سنة ٦٦٨ هـ وسمع من ابن الحصين وأجاز له جماعة، وقرأ بالروايات وكان ذات سمت حسن وخلق طاهر ونفس عفيفة، وهو حسن الصوت مطرب إلى الغاية. قدم دمشق مراراً وحدث. حج غير مرة ثم عاد إلى بلده ومات سنة ٧٥٠ هـ[١].

٥ ـ صفي الدين الحلي:

هو صفي الدين عبد العزيز بن سرايا السنبسي الطائي الحلي. ولد في ربيع الآخر سنة ٦٧٧ هـ. شاعر ذائع الصيت، انتشر ديوانه، وتداول الناس مختارات شعره.. وفي دراسة ديوانه ما يبصر بدرجة إحساسه ورقة شعوره... والمهم أنه برز في عصر كانت تغلب عليه العجمة وتسود الفارسية حكومة العراق وتستولي على كافة شؤونها حتى الآداب... والمغول وأخلافهم استخدموا الإيرانيين في مصالحهم... وفي أواخر الحكومة الزائلة، وفي هذا العصر حاولوا أن يعيدوا عصر الفردوسي وجربوا تجارب عديدة في أن ينالوا مكانته، أو يحصلوا على منزلته في الشعر... والحق أن هذا مما أعاد لإيران عهداً أدبياً فقد اتقنوا فروع الآداب وظهر فيهم الشعراء، والكتاب والمؤرخون... وضيقوا الخناق على العربية وآدابها، كما زاحموا العرب في السياسة ومقدرات المملكة فكان الشعراء والأدباء منهم... ولم نعلم شاعراً عربياً نال مكانة تذكر في هذه الحكومة (الجلايرية) وإنما نرى شعراء العجم في درجة رفيعة واتصال وثيق من البلاط الملكي أمثال سلمان الساوجي وعبيد زاكاني وغيرهما.

---

(١) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٩٧.



جامع مرجان - دار الآثار العراقية

وشاعرنا الصفي يعد من مشاهير أدباء العصر وعلمائه وإن كانت أشعاره ليست في الذروة العليا. . . ولم نر له مدحاً أو اتصالاً بملك الجلايرية ولكننا نرى له علاقة مكينة بالأمراء والملوك الذين لا تزال العربية رائجة الأسواق لديهم. . والملحوظ أن العراق ربى جماعات فمالوا إلى الأقطار الأخرى ولجأوا إليها لما رأوا من خذلان وقد قال المترجم في مقدمة ديوانه:

«ثم جرت بالعراق حروب ومحن، وطالت خطوب وإحن، أوجبت بعدي عن عريني، وهجر أهلي وقريني، بعد أن تكمل لي من الأشعار، ما سبقني إلى الأمصار، وحدث به الركبان في الأسفار. . .» الخ.

فحط رحاله في آل أرتق ونعتهم بجابري كسر الإسلام والمسلمين. .

وله (درر النحور في مدائح الملك المنصور)، ومدائح في السلطان شمس الدين أبي المكارم صالح [illegible] ملوكهم. . . ذهب إلى الحج فمال إلى مصر سنة ٧٢٦ هـ ومدح [illegible] وله ديوانه ورتبه ووسمه باسمه وعلى كل توجهت الآداب نحو البلاد العربية الأخرى وقد حمت الأدباء كما أجلت العلماء ومن بين هؤلاء مترجمنا. . .

وقد نعته صاحب روضات الجنات بقوله: «كان عالماً، فاضلاً، منشياً أديباً، من تلامذة المحقق نجم الدين جعفر بن الحسن الحلي[1]، وله القصيدة البديعية، وشرحها، وله ديوان كبير، وديوان صغير. . . وقد كان رحمه الله من كبار شعراء الشيعة، ومسلماً بين الفريقين فضله ونبالته» اهـ[2].

---

(١) المشهور أن المحقق صاحب المختصر النافع توفي سنة ٦٧٦ هـ وصفي الدين الحلي ولد سنة ٦٧٧ هـ فكان من المستبعد عده من تلامذته.

(٢) روضات الجنات ص ٤٤٠.

والرجل شاعر عربي يتحمس لقومه، ويتعصب لهم، ويناضل عنهم، ويبث فيهم روح الطموح والأنفة وهذه من أكبر مزاياه في عصر تغلغل فيه العجم وأحرجوا العرب، وشاركوهم في أرزاقهم. وزاحموهم في حياتهم وأوطانهم.. ذلك منه كبير، يعظمه في عيون العرب فقد نطق حين سكت الكثيرون وأذاع فكرته في مختلف الأقطار وكان الناس مشغولين بأنفسهم...

انقطع مدة إلى ملوك ماردين، ودخل القاهرة، وكان يتعاطى التجارة ويرحل إلى الشام ومصر وغيرها، وثم يرجع إلى بلاده وفي غضون ذلك يمدح الملوك والأعيان.. وفيه ذكر لمشاهير عراقيين ضاعت غالب أخبارهم... توفي سنة ٧٥٠ هـ. ديوانه مطبوع معروف، وترجمته مبسوطة في كتب كثيرة مثل الدرر وفوات الوفيات وغيرهما من كتب التراجم..

٦ - تاج الدين علي بن سنجر البغدادي المعروف بـ (ابن السباك):

تاج الدين بن قطب الدين أبو الحسن بن أبي النجيب (ابن السباك) الحنفي ولد سنة ٦٦١ هـ أو قبلها وسمع الأحكام للمجد بن تيمية منه وإحياء العلوم من محمد بن المبارك المخزومي وأجاز له أبو الفضل بن الزيات وغيره وأخذ القراءات عن مبارك بن عبد الله الموصلي وتفقه على ظهير الدين محمد بن عمر البخاري وعلى مظفر الدين أحمد بن علي الساعاتي صاحب مجمع البحرين وقرأ الفرائض على أبي العلاء الفرضي الكلاباذي والأدب على الحسين بن أبان وشرح أكثر الجامع الكبير ونظم أرجوزة في الفقه وكان يكتب خطاً حسناً جيداً وأخذ عنه أبو الخير الذهلي والعفيف المطري وآخرون. ولما ولي حسام الدين الفوري (الغوري) قضاء بغداد دخل عليه وهو

شيخه فقال له وهو بالخلعة الحمد لله الذي جعل من غلمانك قاضي القضاة.. وكان قد انتهت إليه رئاسة الفقه ببغداد. وكان قيماً بالعلوم الأدبية. مات سنة ٧٥٠ هـ (أو سنة ٧٤١، أو سنة ٧٥٥) قال الذهبي كان فصيحاً بليغاً ذكياً، كبير الشأن[١].

وقد مدحه صفي الدين الحلي بقصيدة فريدة وهو بمصر وأثنى على حكمه ودقة نظره وهي:

تـركـتـنـا لـواحـظ الأتـراك   بين ملقى شاكي السلاح وشاك
حـركـات بـهـا سـكـون فـتـور   تترك الأسد ما بها من حراك

ومنها:

قل لساجي العيون قد سلبت عيـ   ـناك قلبي وأفرطت في انتهاكي
فابق لي خاطراً به أسبك النظـ   ـم وأثني على فتى السباك
حاكم مهد القضاء بقلب   ثاقب الفهم نافذ الإدراك
فكرة تحت منتهى درك الأر   ض وعزم في ذروة الأفلاك
مذ دعته الأيام للدين تاجاً   عضد الدين فيه هام السماك
رتبة جاوزت مقام ذوي العلـ   ـم وفاقت مراتب النساك
ذو يراع راع الحوادث لما   أضحك الطرس سعيه وهو باك
بمعان لو كنّ في سالف العصـ   ـر لسكت مسامع السكاك
زاد قدري بحبه إذ رأى النا   س التزامي بحبه وامتساكي
مذهب ما ذهبت عنه ودين   ما تعرضت فيه للإشراك
أيها الأروع الذي لفظه والـ   ـفضل بين الأنام زاه وزاك
إن تغب عن لحاظ عيني فللقلـ   ـب لحاظ سريعة الإدراك
لم تغب عن سوى عيوني فقلبي   شاكر عن علاك والطرف شاك

وفي هذا ما يعين منزلة المترجم، والمادح عراقي عارف بفضله،

---

(١) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٥٥.

وبصير بعلمه[1]...

٧ ـ ابن الثردة:

علي بن إبراهيم بن علي بن معتوق بن عبد المجيد بن وفاء المعروف بابن الثردة الواعظ الواسطي البغدادي. ولد في ١٢ شعبان سنة ٦٩٧ هـ ذهب إلى دمشق مرات ووعظ بها بالجامع الأموي وساءت حالته فاضطرب عقله في آخر أيامه... وكان ينظم الشعر الجيد في هذه الحالة. وأورد له صاحب فوات الوفيات جملة من شعره وفيه موشحات ومواليا. مات في أوائل سنة ٧٥٠ هـ.

حوادث سنة ٧٥١ هـ ـ ١٣٥٠ م
وفيات

ابن هندوا:

قال المقريزي في حوادث سنة ٧٥١هـ: «قدم الخبر بأن ابن هندوا أخذ الأكراد واستولى على بلاد الموصل وصار في جمع كثير يقطع الطريق والتحق به نجمة التركماني فاستنابه وتقوى به وركب إلى سنجار وتحصن بها وأغار على الموصل ونهب وقتل ومضى إلى الرحبة وأفسد فيها ومشى على بلاد ماردين ونهبها فخرجت إليه عساكر الشام وحصروه بسنجار ومعهم عسكر ماردين ونصبوا عليها المنجنيق مدة شهر حتى طلب ابن هندوا الأمان على أنه يقيم الخطبة للسلطان ويبعث بأخيه ونجمة ورفيقه إلى مصر. فلما نزلا منزلة قانون هرب نجمة (كذا).

ومثله تقريباً في ابن حبيب في درة الأسلاك وفيه أن هندوا تتاري. قال ذلك كله الأستاذ الصديق مصطفى جواد. وأن ابن هندوا هذا هو (حسن بن هند) المذكور في صحيفة ٨٤ وصوابه ابن هندوا كما عليه

---

(١) ديوان صفي الدين الحلي ص ١٢١. «فوات الوفيات ج ٢».

المؤرخان المنقولة نصوصهما أعلاه كما أن محمة المذكور هناك هو الذي جاء بلفظ تجمة.

وفيات

١ ـ شرف الدين أحمد الكازروني:

هو ابن محمد بن علي بن محمد بن محمود الكازروني نزيل دمشق. ولد سنة ٦٧٣ هـ وسمع من الشيخ كمال الدين عبد الرحمن بن عبد اللطيف ابن وريدة. . . وسمع من جده المؤرخ ظهير الدين علي الكازروني[١]. قال أبو العباس البغدادي الناسخ: «نعم الرجل مروءة وديانة وصلاحاً»، وله اعتناء بالرواية وفضيلة ومعرفة. مات سنة ٧٥١هـ[٢].

٢ ـ الحسن بن علي بن محمد البغدادي:

ثم الدمشقي، أبو علي الحنبلي الصوفي النقيب بالسميساطية، سمع من العز الفاروثي، وسمع من جماعة في مصر والشام وغيرهما، وكان خيراً، صالحاً محبوب الصورة له وجاهة. مات في شوال سنة ٧٥١ هـ وله ٨٧ سنة وأشهر. وكان قد ولد سنة ٦٦٧ هـ ببغداد[٣].

حوادث سنة ٧٥٢ هـ ـ ١٣٥١ م

وفيات

١ ـ دلشاد بنت دمشق خولجة: (ملكة العراق)

زوجة الشيخ حسن الجلايري تزوجها بعد عمتها بغداد خاتون في أوائل سنة ٧٣٧ هـ فحظيت عنده ونالت مكانة عظيمة. وقد مر بنا ذكرها

---

(١) مرت ترجمته في المجلد الأول من هذا الكتاب.

(٢) الدرر الكامنة ج ١ ص ٢٨٤.

(٣) الدرر ج ٢ ص ٢٨.

كثيراً في المجلد الأول وفي هذا الكتاب. وكان أمرها نافذاً في الممالك، ولها في كل ما يحكم عليه زوجها نائب... والصحيح أنها كانت الحاكمة في مملكة العراق وترجمتها مذكورة في الدرر الكامنة وغيرها، وقد أثنى دولتشاه في تذكرته على كرمها وأطرى أدبها وجمالها، وبين أن السلطنة كانت في يدها، ولم يكن للسلطان أمر ولا نهي إلا الاسم. وإن سلمان الساوجي الشاعر المشهور كان يقرنها بزوجها في قصائده، وقام بتعليم ابنها أويس الشعر، وله فيها قصائد كثيرة واعتنت هي بتعهد الشعراء، وبعمارة البلد، والأعمال الخيرية والمبرات العديدة.. تميل إلى الغرباء وتحسن إليهم. ماتت في ذي القعدة وما قيل من التردد في تاريخ وفاتها، وبيان بعض الاحتمالات فهو مما لا يعول عليه...

ولها من الأولاد:

١ ـ أويس: وسيأتي التفصيل عنه في محله.

٢ ـ الأمير قاسم وقد ولد في جمادى الأولى سنة ٧٤٨ هـ وتوفي بمرض السل في سنة ٧٦٩ هـ.

٣ ـ الشيخ زاهد وهذا ولد في ١٩ ربيع الآخر سنة ٧٥٠ هـ وسقط في سنة ٧٧٣ هـ من عمارة أوجان في أذربيجان فمات.

٤ ـ دوندي: وهذه مدحها سلمان الساوجي بقصائد عديدة وهي في أيام أويس تضارع دلشاد خاتون في سلطتها وتسلطها... ولفظها ورد في بعض النسخ من المخطوطات دندي، وتندو ومرة دولندي فلحقه تغيرات عديدة[1]...

---

(١) تذكرة الشعراء لدولتشاه ص ١٧٥ وتاريخ مفصل إيران ص ٤٥٦ وسلمان ساوجي لرشيد ياسمي ص ١٩ وفي مواطن عديدة منه..

٢ ـ يحيى بن محمد الحارثي:

وهو يحيى بن محمد بن أحمد بن سعيد الخراز الكوفي النحوي، سبط الشريف شرف الدين عبد الله بن يحيى الابزاري ولد في شعبان سنة ٦٧٨ هـ بالكوفة واشتغل بها وببغداد وصنف في النحو كتاباً سماه (مفتاح الألباب لعلم الإعراب) ذكره في كشف الظنون. قدم دمشق وسمعوا عليه من نظمه. مات بالكوفة سنة ٧٥٢ هـ[1].

حوادث سنة ٧٥٣ هـ ـ ١٣٥٢ م

مرض في الدواب:

في هذه السنة وقع في بغداد موت في الدواب. كذا في الدر المكنون.

حريق في النجف:

في هذه السنة احترقت عمارة المشهد وكانت أول قبة بنيت بأمر من هارون الرشيد الخليفة ومن بعد ذلك أخذ الناس في زيادتها ودفن الموتى هناك حوله إلى أن كان زمن عضد الدولة فناخسرو بن بويه الديلمي فعمره عمارة عظيمة وأخرج عن ذلك أموالاً جزيلة وعين له أوقافاً ولم تزل عمارته باقية إلى سنة ٧٥٣هـ وكان قد ستر الحيطان بخشب الساج المنقوش فاحترقت تلك العمارة وجددت على ما هي عليه الآن وقد بقي من عمارة عضد الدولة قليل وقبور آل بويه هناك ظاهرة مشهورة لم تحترق (عمدة الطالب ص٤٤).

---

(١) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٢٦.

وفيات

١ ـ شهاب الدين أحمد بن الحسن الحسني:

الفرضي الضرير البغدادي. جال البلاد على زمانته فدخل مصر وإفريقية واستمر مغرباً إلى غرناطة. وكان له نظر سديد في مذهب الشافعي وممارسة في الأصول والمنطق، وقيام على القراءات، وكان كثير الملاحاة، شكس الأخلاق، يقبل الصدقة ماناً بقبولها. وأقام بغرناطة إلى أن ارتحل سنة ٧٥٣ هـ[١].

٢ ـ خولجو الكرماني:

شاعر فارسي. هو كمال الدين أبو العطاء محمود بن علي الكرماني الملقب بـ (خواجو) من أكبر شعراء كرمان. ولد في ■ شوال سنة ٦٧٩ هـ في كرمان. ويعد من مداحي آل مظفر، ثم قصد علاء الدولة السمناني[٢] أحد المشاهير في التصوف، وأقام ببغداد مدة، وله قصائد عديدة في السلطان أبي سعيد والخواجة غياث الدين محمد الوزير ابن الخواجه رشيد الدين فضل الله الوزير، وفي آخر أيامه التجأ إلى الشاه الشيخ أبي إسحق اينجو...

ومن أكبر البواعث لشهرته بالعراق واحتكاكه بمحيط أثر على لغته وساعد على نبوغه ومثله كثيرون نالوا حظاً من الآداب ومكانة من الشعر بسبب هذه العلاقة كسعدي الشيرازي وسلمان الساوجي وحمد الله المستوفي ووصاف الحضرة.. وقد حاذى سعدي وقلده في أسلوب غزله وكان يدعى بـ (لص ديوان سعدي) (دزر ديوان سعدي)..

---

(١) الدرر الكامنة ج ١ ص ١٢٣.

(٢) راجع عنه تذكرة الشعرا لدولتشاه السمرقندي ص ١٦٢.

وله ديوان يبلغ نحو عشرين ألف بيت فيه مثنويات جرى فيها على نهج «خمسة نظامي» وله أيضاً:

١ ـ هماي وهمايون: قصة في عشق همايون هماي بنت فغفور الصين وهي من المتقارب نظمها سنة ٧٣٢ هـ في بغداد وفي مقدمتها أثنى على السلطان أبي سعيد ومدح الخواجه غياث الدين الوزير وكأنها روضة أزهار في ملاحتها ولطافتها...

٢ ـ كمال نامه: في العرفان على وزن «هفت پيكر» لنظامي نظمها باسم أبي إسحق اينجو سنة ٧٤٤ هـ.

٣ ـ روضة الأنوار: في العرفان أيضاً نظمها باسم شمس الدين محمود بن صاين وزير الشاه الشيخ أبي إسحق سنة ٧٤٣ هـ. وهذا الوزير كان من رجال الملك الأشرف وفي سنة ٧٤٤ هـ ترك خدمته فجعله الأمير مبارز الدين المظفري من أمرائه فدخل في إدارة الشيخ أبي إسحق وصار وزيره. وفي سنة ٧٤٦ هـ. قتل بأمر الأمير مبارز الدين.

٤ ـ گل ونوروز: قصة الشهزاده نوروز ابن ملك خراسان، وگل هي بنت سلطان الروم نظمها على غرار (خسرو وشيرين) لنظامي باسم تاج الدين العراقي وزير الأمير مبارز الدين المظفري.

٥ ـ گوهرنامه جعلها بوزن خسرو وشيرين أيضاً نظمها سنة ٧٤٦ هـ باسم بهاء الدين محمود بن عز الدين يوسف من أحفاد الخواجه نظام الملك الطوسي وهو وزير الأمير مبارز الدين.

وكل هذه بالنظر لتواريخ نظمها إنما كانت بعد أن تعرف ببغداد وأدبائها وشاهد محيطها فألهمه ما ألهمه من رقة شعور، ومن عذوبة

ألفاظ وردد ذكر بغداد كثيراً في أشعاره... وكان ممن جاراه في غزلياته الخواجه حافظ الشيرازي.

توفي سنة ٧٥٣ هـ. وفي تذكرة الشعرا لدولتشاه السمرقندي أنه توفي سنة ٧٤٢ هـ[١].

حوادث سنة ٧٥٤ هـ - ١٣٥٣ م

المغول في بطون التاريخ:

في كلشن خلفا أن المغول انقرضت حكومتهم سنة ٧٤٤ هـ ولكن سائر المؤرخين مثل صاحب الدر المكنون وتقويم التواريخ قالوا إن دولة المغول (دولة هلاكو وأحفاده) انقرضت في هذه السنة من أذربيجان وخراسان بقتل طغاتيمورخان وتشتت الفتن نوعاً والعراق على كل حال أصابته راحة أكثر، وإن السلطان أخلد للسكينة خصوصاً أنه وجد كنزاً فصرف معظمه على العمارات[٢].

حاكم سنجار والموصل:

هو حسن بن هند، كان يكاتب المسلمين ويترامى إليهم ويظهر المودة والمحبة ولكنه كان يأوي محمة (كذا) التركماني الذي يقطع الطرقات على المسلمين. قتله صاحب ماردين في أواخر سنة ٧٥٤هـ[٣].

(١) تاريخ مفصل إيران ص ٥٤٨ وتذكرة الشعرا لدولتشاه السمرقندي ص ١٦٥.
(٢) تقويم التواريخ والدر المكنون وكلشن خلفا.
(٣) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٤٨.

حوادث سنة ٧٥٥ هـ ـ ١٣٥٣ م

المسكوكات: (النقود)

حاولنا الحصول على مسكوكات أو نقود مضروبة في أيام السلطان الشيخ حسن الجلايري أيام إعلانه سلطنته في بغداد، وضبط تاريخ حكمه، أو ما أشار إليه رسله إلى مصر من أنها ضربت باسم ملكها فلم نظفر بطائل إلا أننا وجدنا له نقوداً مضروبة في بغداد يرجع تاريخها إلى هذه السنة (سنة ٧٥٥ هـ)، ومثلها في عين التاريخ ضربت في البصرة وأخرى في تستر، ومنها ما صنعت في بغداد في السنة التالية وهي سنة وفاته.. وفي الحلة ضربت له نقود إلا أنها لم يقرأ تاريخ ضربها.

والمضروبة في بغداد قد كتب على أحد وجهيها تاريخ ضربها (سنة ٧٥٥ هـ) وكلمة الشهادة (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) وعلى الوجه الآخر محل الضرب (ضرب بغداد) في الوسط وفي الأطراف بخط كوفي وبشكل مربع (محمد رسول الله ﷺ) وفي أضلاع ذلك المربع أبو بكر وعمر وعثمان وعلي. وفي النقود المذكورة نرى الوضع واحداً والشكل كذلك وهي من فضة إلا أن الوزن مختلف[1]..

فواز بن مهنا أمير العرب:

يضاف إلى حوادث سنة ٧٥٥هـ «وفيها قصد المتغلب على البصرة عرب البحرين فالتقاهم بعسكره المغل فعجزوا عنهم فأمدهم صاحب بغداد الشيخ حسن الكبير بالأمير فواز بن مهنا الطائي فالتقاهم وهزمهم وأسر منهم طائفة من الرجال والنساء بعد أن قتل من الفريقين عدد كثير ثم منّ عليهم فواز» اهـ. قاله الصديق الفاضل مصطفى جواد نقلاً عن ابن قاضي شهبة وبين أنه توفي سنة ٧٥٧هـ وكان أحد الشجعان...

---

(١) مسكوكات قديمة إسلامية قسم ثالث ص ١٩١ ـ ١٩٣.

وفيات

١ ـ زين الدين الموصلي (ابن شيخ العوينة):

في هذه السنة توفي زين الدين أبو الحسن علي بن الحسين بن القاسم بن منصور بن علي الموصلي الشافعي المعروف (بابن شيخ العوينة). كان جده الأعلى من الصالحين، واحتفر عيناً في مكان لم يعهد بالماء فقيل له (شيخ العوينة). ولد زين الدين في رجب سنة ٦٨١هـ وقرأ القراءات على الشيخ عبد الله الواسطي الضرير وأخذ الشاطبية عن الشيخ شمس الدين ابن الوراق ورحل إلى بغداد وقرأ على جماعة منهم مهذب الدين النحوي وقدم دمشق وسمع بها من جماعة ثم رجع إلى الموصل وصار من علمائها وله تصانيف منها (شرح المفتاح للسكاكي) وشرح مختصر ابن الحاجب، وشرح التسهيل، وشرح البديع لابن الساعاتي[١] وغير ذلك. قال ابن حبيب: «إمام بحر، علمه محيط، وظل روحه بسيط، وألسنة معارفه ناطقة، وأفنان فنونه باسقة، كان بارعاً في الفقه وأصوله، خبيراً بأبواب كلام العرب وفصوله، نظم كتاب الحاوي، وشنف سمع الناقل والراوي، وبينه وبين صلاح الدين الصفدي مكاتبات..» اهـ. توفي بالموصل في شهر رمضان. وأطنب صاحب الدرر في ترجمته وذكر شيوخه، وشروحه على مؤلفاتهم كما أن البدر العيني بسط القول في ترجمته[٢]...

---

(١) البديع في أصول الفقه وقد فاتنا أن نذكره بين مؤلفات ابن الساعاتي والمؤلف جمع فيه بين أصول البزدوي وأحكام الآمدي وسماه «بديع النظام الجامع بين كتاب البزدوي والأحكام» وقد ذكر صاحب كشف الظنون الأصل والشرح... ووصفه صاحب روضات الجنات في صحيفة ٨٩.

(٢) عقد الجمان ج ٢٣ والدرر ج ٣ ص ٤٤ وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ص ٣٥٣.

٢ ـ فخر الدين ابن الفصيح:

هو أبو طالب فخر الدين أحمد بن علي بن أحمد الهمداني الكوفي ثم البغدادي المعروف، بابن الفصيح والد جلال الدين عبد الله. كان إماماً علامة، جامعاً للعلوم العقلية والنقلية انتهت إليه رئاسة المذهب في زمانه وكان كثير التودد، لطيف المحاضرة، سمع مع ابن الدواليبي وصالح بن الصباغ وأجاز له إسماعيل بن الطبال. وكان مدرساً بمشهد أبي حنيفة، أخذ عن الحسن السغناقي صاحب النهاية، ودرس ببغداد في المستنصرية، اقرأ العربية بها وكان له صيت في العراق ودمشق، وأفتى، وصنف نظم الكنز، ونظم النافع، ونظم السراجية في الفرائض، ونظم المنار في أصول الفقه. وكانت وفاته بدمشق سنة ٧٥٥ هـ ومولده سنة ٦٨٠ هـ ولما قدم دمشق أكرمه نائبها.. وفي الذهبي أنه ولد سنة ٦٧٩ هـ كما أنه ذكر وفاة ابنه في سنة ٧٣٧ هـ[1].

حوادث سنة ٧٥٦ هـ ـ ١٣٥٤ م

وفيات

١ ـ أحمد بن محمد بن سلمان الشيرجي (ابن الشيرجان)

بغدادي حنبلي. ولد سنة ٦٩١ هـ وسمع من الدواليبي، وقرأ بالروايات وأعاد بالمستنصرية وكان ديناً خيراً، وله مدائح نبوية وكان يقال له ابن الشيرجاني. قدم دمشق وحدث بها وكتب عن مشايخها، مات سنة ٧٥٦ هـ[2].

---

(١) الفوائد البهية في تراجم الحنفية ص ٢٦ وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ص ١٤٧.

(٢) الدرر الكامنة ج١، ص ٢٦٥.

حوادث سنة ٧٥٧ هـ ـ ١٣٥٦ م

وفاة السلطان الشيخ حسن الجلايري:

في شهر رجب هذه السنة توفي الشيخ حسن. وقد رثاه الخواجه سلمان الساوجي بقصيدة تتضمن التوجع للمصاب وبيان صفات الراحل في عدله وسائر مزاياه وهي فارسية لا نرى محلاً لإيرادها..

ترجمته: (بيان عن العصر)

إن حياة هذا الرجل إنما تظهر أكثر ببيان حالة العصر الذي كان يعد من رجاله وقد أسس حكومة كان لها شأنها مدة. وذلك أنه في ١٣ ربيع الثاني لسنة ٧٣٦ هـ كان قد توفي السلطان أبو سعيد بهادرخان وبوفاته قامت الزعازع وثارت الفتن من كل صوب بعد أن كانت قد هدأت الحالة مدة، ونال الأهلين طمأنينة فركنوا إلى الراحة والتبسط في العلوم ومراعاة أسباب الزينة وترقية الفنون والصناعات... فبرزت المواهب وكاد يعود ما كان قد فقد أيام هلاكو، أو أهمل... لولا أن السلطة كانت أجنبية، والإدارة ليست بعربية..

حكينا ذلك كله فكان لقانون جنكيز (الياسا) قيمته في ردع النفوس، وإيقافها عند حدودها... ولكن هذه السلطة لم تكن إلا عن خشية وخوف وليست ناشئة عن قبول نفسي ولا رادع باطني... مما جعلها أن تكون ملازمة دائماً للقوة، والتيقظ دون تهاون أو تراخ...

مات أبو سعيد وكأن القوم كانوا ينتظرون وفاته، والخلافات التي ولدها الأمراء في حينها كانت تصرف إلى الحزبية وتسنم كراسي الإدارة، وتعهد السلطنة مع الاحتفاظ ببيتها ولما توفي السلطان تغيرت الفكرة، وحدث التغلب من كل صوب، وصار كل أمير، أو متنفذ يدعو لنفسه،

أو يتخذ أحد أفراد الأسرة المالكة سنداً له في دعوته... وقد بسطنا القول في ذلك...

لم يكتف هؤلاء المتغلبة أن يعلن كل واحد منهم حكومته في المواطن التي هو فيها ويتقاسموا الميراث بتوزيع هادىء ساكن فيقنع الواحد بما في يده... وإنما حاول أن يقوي إدارته ويمكنها من جهة ويهاجم الأخرى المجاورة له ليبتلعها، أو التي يخشى أن يستفحل أمرها فيوقفها عند حدها... وهكذا دامت القلاقل وزالت الراحة وشغل الناس بأنفسهم وبمتغلبتهم فكانوا من أقوى الوسائل الفتاكة، وأشد البلايا على الحضارة والمدنية، والعلوم والصناعات، وفيها من التخريب والتدمير ما لا يوصف...

وإن المترجم أحد هؤلاء جرب تجارب عديدة، وحاول محاولات كثيرة أن يكون نصيبه أكثر مما في يده، وغنيمته أوفر... ولكنه لم ينل مرغوبه فاكتفى (بالعراق) واحتفظ به، وتسلط على سائر أنحائه... وفي هذه المرة كاد العرب أن يستفيدوا من هذا الانحلال ومن تلك المحاولات بسبب تفرق الكلمة وأن ينالوا المكانة اللائقة في العراق... إلا أن أمراء المغول كانوا متمرنين في الإدارة والحرب فلم يستطع العرب أن يتمكنوا منهم فقضي على إدارتهم في الحلة بعد أن كانت قد تمكنت مدة... فقويت قدم المغول مرة ثانية وتكونت منهم حكومة الجلايرية...

وهذه لم تقاوم البقية الباقية من العلماء، ولما كانت إسلامية لم تتخذ مشروعاً من شأنه إفساد المدارس، والقضاء على حياتها... وإنما كانت هذه الغفلة عنها، أو الإهمال لها... مما دعا أن تعود ثانية ويظهر نورها متلألئاً بعد مدة قليلة... وكان هذا السلطان (الشيخ حسن) قد أخلد إلى السكينة وتنظيم المملكة، وراعى لوازم الراحة... فقويت

الروح العلمية، وثبتت.. ومع هذا مال كثيرون إلى الممالك الإسلامية الأخرى المجاورة لقلة المناصرة... وظهر جماعة في علوم مختلفة إلا أن التربية الفارسية كانت سائدة، وهي صاحبة القول الفصل فنفق سوق هذه أكثر وإن كان الاهتمام بعلماء المدارس والنظر إليهم لم يهمل...

ـ نعم إن أكثر الشعراء في الديوان الملكي عجم، ولا يلتفت إلى غير مدحهم ولا يقرب سواهم ومجرى المدارس سائر إلى ناحية، والرغبة إلى أخرى... والعلماء والشعراء كلما برزت مواهبهم مالوا إلى الأقطار العربية الأخرى...

ولا نُطيل القول، فهذا السلطان سمي بالشيخ حسن لعدله، ومحافظته على النظام ولا يريد الأهلون أكثر... في حين أن المتغلبين الآخرين لا يزالون على أطماعهم، وشدة تغلبهم لم يركدوا؛ ولا سكنوا حتى قضي على أكثرهم، وانحصرت الإمارات في عدد محدود... ولكنها لم تخل حتى هذه الأيام من مناوشات، أو محاربات... وهكذا، وقد مضى من حوادث المترجم ما تيسر تدوينه وكله ذو علاقة بالعراق، أو الدفاع عن حوزته وصد الغوائل عنه لتأمين سلطة...

وفي هذه المرة عادت بغداد عاصمة الملك، وصار يبذل لزينتها وتحسينها جهوداً عظيمة وبرز فيها علماء فحول... إلا أنها مشوبة بتلك الغوائل المارة... ومع هذه نجد السلطان في أيامه الأخيرة قد صرف أموالاً طائلة في سبيل العمارة... ولا ينسى أن لزوجته النفوذ العظيم في هذا الإعمار؛ وفي حسن الإدارة... وقد استنطقنا مؤرخين عديدين والكل يثني عليه وقد جاء في عقد الجمان عنه:

«توفي الشيخ حسن بن حسين بن اقبغا بن اليكان (كذا وصوابه ايلكا) في هذه السنة (سنة ٧٥٧ هـ) وهو سبط أرغون بن ابغا بن هلاوون

(هلاكو) ولم يستقم أمره إلا بعد وفاة أبي سعيد ملك التتار. وكانت دولته مدة سبع عشرة سنة، وتولى عوضه ابنه الشيخ أويس» اهـ.

وهذا المؤرخ عد سلطنته سنة ٧٤٠ هـ وعلى مثل هذا جرى صاحب (تاريخ مفصل إيران)، وغيره...

وجاء في الشذرات عنه:

«توفي سلطان بغداد حسن ويعرف بالكبير... وكان ذا سياسة حسنة وقيام بالملك أحسن قيام، وفي أيام ولايته وقع ببغداد الغلاء المفرط حتى بيع الخبز بصنج الدراهم ونزح الناس عن بغداد، ثم نشر العدل إلى أن تراجع الناس إليها. وكانوا يسمونه الشيخ حسن لعدله...» اهـ.

ومثله في الدرر الكامنة... وقد مرت باقي النقول عنه. وزاد في كلشن خلفا أنه أقام عمارات نفيسة وجميلة في بغداد والنجف الأشرف... وفي دستور الوزراء أن وزيره الخواجة شمس الدين زكريا ابن أخت الخواجة غياث الدين محمد بن رشيد الدين وصهره. وهذا الوزير قد لازم السلطان الشيخ حسناً في جميع أيامه من سنة ٧٣٧ هـ فقد أسند إليه الوزارة مراعاة لحقوق الخواجة غياث الدين، واستمر في أيام أولاده بعده إلى أيام السلطان حسين وكان عدلاً صاحب إنصاف وعلم... وللخواجة سلمان الساوجي مدائح فيه... وقد روعي جانبه كثيراً إلى سنة ٧٧٧ هـ وبسبب ذلك عين أخوه نجيب الدين للوزارة وابنه إسماعيل لولاية بغداد[١]...

وللسلطان من الأولاد ما مر ذكرهم في ترجمة دلشاد خاتون. وله ابن آخر وهو (ايلكا) توفي في حياة دلشاد وذكره سلمان الساجي في

---

(١) دستور الوزراء مخطوط ص ٣١٨ وسلمان ساوجي لرشيد ياسمي. ص ٣٣.

شعره ولهذا ولد يسمى (آقبوغا) وآخر يدعى (أبا إسحق). وهذا كان قد رشحه السلطان أويس لمحاربة أمير ولي ولكنه انهزم إلى البصرة لخاطر عرض له وبأمر من أويس قد سُمّ[1]...

ومن هذا كله ومن الوقائع المارة في أيامه اعتقد أن تعينت ترجمته وإن كنا نرى المؤرخين لم يتعرضوا إلا إلى نواحٍ من حياته العامة دون وقائعه المطردة وهذه نتف مفرقة... لا تكاد تفي بالغرض. والملحوظ أن هذا القطر يدعو ضرورة إلى النظام، وأن الاضطرابات لا تدوم... ومن ثم يخلد الأهلون للسكينة والعمل والمترجم كان من العوامل الفعالة لتهدئته وتثبيت نظامه...



(١) روضة الصفا ص ١٥٦.

الكتابة فوق طارمة المصلى من جامع مرجان - دار الآثار العراقية

سلطنة أويس

السلطان معز الدين أويس:

في هذه السنة في شهر رجب ولي السلطان أويس بعد والده وقد مدحه الشاعر الخواجة سلمان الساوجي بقصيدة فارسية وبين في شعره تاريخ سلطنته.. وعلى هذا اتفقت كلمة المؤرخين مثل صاحب روضة الصفا وكلشن خلفا والشذرات وحبيب السير وأيدها سلمان الساوجي في شعره إلا أن التاريخ الغياثي قال:

«السلطان حسين ولي بعد أبيه سنة ٦٥٧ هـ ومات سنة ٧٦٠ هـ فكانت مدة حكمه ثلاث سنين» اهـ. ثم ذكر سلطنة أويس وبين أنه ولي السلطنة ببغداد بعد أخيه في التاريخ المذكور... وفي هذا مخالفة صريحة للنصوص الأخرى ولما جاء في شعر سلمان الساوجي الذي يعين التاريخ في متن الشعر، وهو خير وثيقة تاريخية وكذا ما جاء في وقفية الخواجة مرجان فلا أصل لما ذكره الغياثي وقد عقد رشيد ياسمي فصلاً في حياة سلمان وأويس في رسالته «سلمان ساوجي» يؤيد ما ذكرناه[1].

---

(١) راجع ص ٢٦ من كتابه سلمان ساوجي. وهذا الكتاب نقد وتحليل لحياة سلمان المذكور وفيه بيان واف عن الشيخ حسن والسلطان أويس... ومؤلفه من الأدباء المعروفين الآن في إيران بحسن بحوثهم وتتبعاتهم التاريخية.

وحياته الأولى أنه ولد من دلشاد خاتون بعد أن تزوجها والده بسنة واحدة وكان قد تزوجها سنة ٧٣٧ هـ فسمي معز الدين أويس. وكان الشاعر سلمان يدعوه في بعض الأحيان بغياث الدين وقد اختص هذا الشاعر بمدحه من حين ولي السلطنة ولازمه ملازمة شديدة... وكان يصف بعض فتوحه. والسلطان حينما ولي كان شاباً جميلاً. وأهل بغداد يرغبون في مشاهدته حينما يخرج راكباً فرسه، يراقبون ذلك فيهرعون للنظر إلى محياه وصورته الجميلة... كما أنه كان صاحب ذوق، ونقاشاً ماهراً، ومبدعاً في الموسيقى، وخطه الواسطي يحير بجماله الباهر واتقانه، ويعجز المصورين والخطاطين الحذاق أن يماثلوه.. وتعلم الشعر على يد مربيه الخواجة سلمان فكان له نصيب منه وربما فاق أستاذه.. وله مراسلات في الشعر مع السلاطين المعاصرين له.. ولا تخلو وقعة إلا ويمدحه الخواجة المذكور من أجلها وديوانه مشحون بمدائحه الكثيرة وللسلطان إنعامات عليه ليست بالقليلة بل هي وافرة جداً وقد قيل (اللهى تفتح اللها)[1].

وسيأتي من الحوادث ما يتصل بحياته السياسية وسلطته..

غرق بغداد:

كانت بغداد خلال المدة بين وقعة هلاكو وهذا التاريخ قد اكتسبت وضعاً جديداً، ونالت عمارة، ورونقاً.. وكان قد رآها ابن بطوطة فوصفها في رحلته كما أن الخواجة سلمان الساوجي شاهدها أيام السلطان أبي سعيد وفي عهد الجلايرية خصوصاً وقد اتخذوها عاصمة فنالت من الأبهة والمكانة ما يجلب الأنظار وكانت الراحة والطمأنينة ولو لمدة قليلة تعيد لها جدتها.

قضى فيها سلمان الساوجي مدة في عهد تلك الراحة والأبهة فخلبه

(١) تذكرة الشعرا لدولتشاه ص ١٧٥ وغيرها.

ما رآه من مناظرها، وأوضاع مياهها وشواطئها، والفلك التي تجري، وبساتينها وأزهارها فكان لها وقع كبير في نفسه. ناهيك بصفاء سمائها ولياليها المقمرة إلى غير ذلك مما يعجز القلم عن تبيانه وشرحه.. وكله يبعث في الشاعر روحاً ونشاطاً وينعش الأمل فيه فيقول:

قطر فسيح وماء ما به كدر حفت بشطيه الفاف البساتين

ولما أصابها الغرق في هذه السنة وتبدلت أوضاعها الزاهية الجميلة فعادت خراباً، ورآها الشاعر سلمان بصورتها المؤلمة تأثر تأثراً عظيماً، فوصف دجلة بفيضانه وعربدته ونعته بمجنون مكبل بسلاسل حديدية.. كسر قيوده واستولى بمياهه على المدينة فخرب عماراتها العالية. وأغرق نحو أربعين ألفاً من أهليها وكان هذا الحادث سنة جلوس السلطان أويس... فناح الشاعر على مصاب بغداد لما رآه فيها من دعة، وكان حصل في بغداد على نعيم وشهرة ذائعة في الأقطار...

قال الخواجة سلمان:

بسال هفصد وپنجاه وهفت گشت خراب
باب شهر معظم كه خاك بر سراب
دريغ روضه بغداد آن بهشت آباد
كه كرده است خرابش سپهر خانه خراب[1]

وفي هذا ما يشير إلى ما كانت عليه بغداد وما نالها من دمار...

وفيات

١ ـ جمال الدين أبو محمد البغدادي:

هو ابن عبد الرحمن بن أحمد بن ماجد، سمع من ست الملوك

(١) حبيب السير وسلمان ساوجي لرشيد ياسمي ص ١٥ وگلشن خلفا ص ٤٩.

بنت أبي نصر بن أبي البدر الكاتب، وسمع منه المقرىء شهاب الدين ابن رجب وأثنى عليه. قال: اقرأ بالمستنصرية، وكان حريصاً على الخير، انتفع به خلق كثير. مات في المحرم سنة ٧٥٧ هـ[١].

حوادث سنة ٧٥٨ هـ ـ ١٣٥٧ م

جامع مرجان ودار الشفاء

أوقاف الخولجة مرجان:

لم ينقطع أهل الخير والبر في مختلف العصور والأزمان. ومن أعظم الأعمال ما خدم الثقافة وساعد على حسن السلوك، أو نفع الجماعة مما يودي بهم من الأمراض الفتاكة، ولعل الخواجة مرجان أراد أن يجمع بين الحسنيين الثقافة الفكرية والصحة البدنية للجماعة فوقف موقوفاته وهي:

١ ـ مدرسة مرجان:

والخواجة مرجان من ولاة بغداد، ومن أعظم آثاره الباقية مدرسته وتعرف اليوم بـ (جامع مرجان) وفيها ما يشعر بإتقان البناء، وصناعة النقش، وحسن الخط ما يبهر المتفرج المشاهد، ويعين درجة مراعاة الإحكام في العمل، والقدرة سواء من ناحية مادة البناء وبقائها على الدهر. أو من جهة الدقة في الصنع والزينة...

قيمة هذه المؤسسة لا تقدر. وأوقافها لا تكاد تحصى.. ولا تزال بقاياها إلى اليوم، وغلتها ليست بالقليلة.. كانت جامعة تدرس فيها أنواع العلوم وضروب الفنون.. زادت في الثقافة، ورقت في المدارك،

---

(١) الدرر الكامنة ج ١ ص ١٦٥.

وجدت سوق العلم وولدت نشاطاً كافياً... وسيأتي التعريف بواقفها الخواجة مرجان رحمه الله الذي بقي اسمه خالداً وإن كان قد اندثرت أعمال السلطان أويس الذي هو أحد ولاته فلا تزال هذه المدرسة قائمة وشاهدة بعظم العمل وتاريخ وقفها كان سنة ٧٥٨ هـ قال الغياثي:

«كان مرجان رجلاً خيراً، استأنف عمارات، وجدد أخرى، وقف العقار والضياع، وعمر المدرسة المرجانية، ودار الشفاء، وأسواقاً وخانات لم يتفق في دور أحد من السلاطين مثلها كما نطقت وقفيته ونقر ذلك على جدران العمارات وكان له خيرات على الفقراء، والمساكين حتى السنانير وسمك الشط والطيور من اللحم والخبز والشيلم في صحن دار الشفاء، وصحنها، على جانب دجلة. وكان ثلثا الوقف لدار الشفاء وثلث للمدرسة. اهـ» ملخصاً.

اشتهر جماعة من العلماء في التدريس بها وأول من وصل إلينا اسمه بدر الدين محمد الأربلي[1]. وفي العصر الأخير عرف من الآلوسيين السيد محمود شهاب الدين وقد عطلت بعد وفاته فذهب ابنه السيد نعمان خير الدين إلى استانبول في أواخر جمادى الأولى سنة ١٣٠٠ هـ فعين مدرساً لمدرسة مرجان ورجع إلى بغداد في ٥ رمضان ١٣٠٢ وبعد وفاته في ٧ المحرم سنة ١٣١٧ هـ خلفه في التدريس ابنه السيد علي علاء الدين قاضي بغداد الأسبق المتوفى في جمادى الأولى سنة ١٣٤٠ هـ فالسيد محمود شكري الآلوسي وآخرهم اليوم السيد إبراهيم ابن السيد ثابت ابن السيد نعمان خير الدين الآلوسي، ولا يزال مدرساً فيها وكان يتولى التدريس فيها مفتي بغداد، وله فضلة ريعها، ثم ضبطتها دائرة الأوقاف في العهد التركي وجعلت للمدرس راتباً مقرراً...

---

(١) راجع عنه وفيات سنة ٧٧٥ هـ من هذا الكتاب.

وهذا ما قاله المرحوم الأستاذ السيد محمود شكري الآلوسي عن هذه المدرسة:

«مسجد محكم البناء، راسخ القواعد، مشيد الأرجاء، مبني بالحجارة المهندمة، ذو طبقتين سفلي وعليا، وفيه مصلى واسع، وحجر في الطبقة السفلى والعليا، وقد جعله بانيه مدرسة حاكى بها المدرسة النظامية، وجعل الحجر مسكناً لطلبة العلم، وأجرى عليها الجرايات الوافرة، ورتب لهم المدرسين على مذهبي الإمام الشافعي والإمام أبي حنيفة (رض)، ووقف الأوقاف الكثيرة وكان المصلى محل تدريسهم كما كان محل عبادتهم» اهـ[1].

الوقفية وشروطها: (نصها)

كان المرحوم جميل صدقي الزهاوي ذكر أن لديه «كتاب الوقفية والموقوفات» للخواجة مرجان فلم أتمكن من مشاهدته... والوقفية محفورة على جدران الجامع، وكذا الموقوفات الأخرى كتبت بخط أحمد شاه النقاش التبريزي المعروف بـ (زرين قلم) وهو من الخطاطين المشاهير[2]... ذكر اسمه على ما كتب. وهذا نص الوقفية:

«بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي وفق المطيعين لعمارة أبنية بيوت العبادات، وألهم المخلصين إشادة أعمدة دور الطاعات، ورفع ذكر الولاة، بتأسيس قواعد معالم المكرمات، ودل أرباب السعادات على سلوك سبل الخيرات[3] ومنح المحسنين بتشريف ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾، وحباهم بآية ﴿إن المتصدقين

---

(١) «تاريخ مساجد بغداد وآثارها» ص ٦٥.

(٢) خطه يشعر بأنه أستاذ من أساتذة الخط.

(٣) في نسخ: «على علم الخيرات».

والمتصدقات﴾، والصلاة والسلام على نبي الرحمة محمد المصطفى خير الأنام وأصحابه مصابيح الدجى وبدور الظلام.

أما بعد فيقول المفتقر إلى عفو الملك المنان، مرجان بن عبد الله ابن عبد الرحمن، بدل الله سيئاته حسنات: إني هاجرت في الأرض مدة، وجاهدت سنين في الطول والعرض، ذات شمال ويمين، متورطاً في مخاوف البر والبحر، متورداً في متالف البرد والحر، حتى أداني[1] الجد الصاعد، وأدناني التوفيق المساعد فعلمت أن الدنيا دار الفرار، وأن الآخرة هي دار القرار، وأيقنت أن أولى ما أنفقت فيه الأموال، وأحرى ما توجهت إليه همم الرجال ما كان وسيلة إلى أبواب رحمته محط الرحال، وذخيرة ليوم المحاسبة والسؤال، قال النبي عليه الصلاة والسلام «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا عن ثلاث صدقة جارية، وعلم ينتفع به. وولد صالح يدعو له» والصدقة الجارية هي الوقف فشمرت عن نية صادقة صافية، وسريرة للخير وافية، وشرعت في عمارة هذه المدرسة المسماة بالمرجانية وتوابعها المتصلات بعضها ببعض في زمن المخدوم الأعظم الدارج إلى جوار الله وجنانه، المستريح على أعلى غرفات جنانه، الشيخ حسن نويان، أنار الله برهانه، وتممت في أيام دولة نوّر حدقته، ونور حديقته، المخدوم الأعظم، الأعدل، رافع رايات السلطنة على الأفلاك، ناصب غايات المملكة إلى السماك؛ ساحب ذيل الرحمة على الأعراب والأتراك، محيي مراسم الملة المصطفوية، ومزين شعار الدولة الجنكيزخانية شاه أويس خلد الله ملكه؛ ووقفت على الفقهاء وطلاب العلم والتفسير والحديث والفقه على مذهب الإمام الأعظم محمد بن إدريس الشافعي المطلبي والإمام الأقدم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رضي الله تعالى عنهما وقفاً على

---

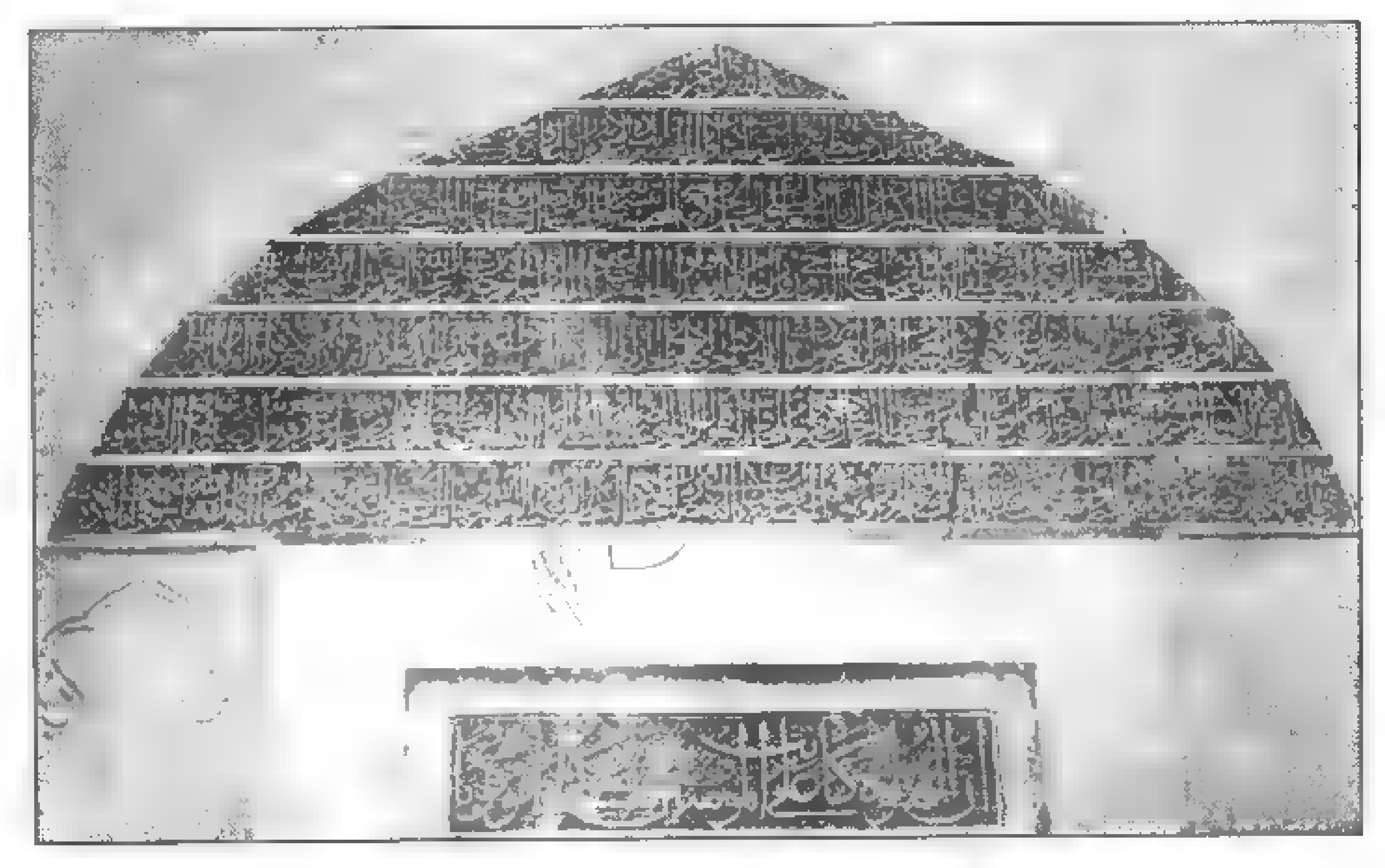
(١) حين أراني.

مصالحها، كما شرح في الوقفية الموقعة بتوقيع قضاة الإسلام، الموشحة بشهادة الأمراء والوزراء العظام بالريحانيين[١] أربعة وأربعين دكاناً، واثنتي عشرة عصارة في السوق الجديد المجاور للمدرسة والصاغة، وتسعة وعشرين دكاناً أخرى، وثلاث خانات ونصف خان إحداهن إنشاء الواقف، ومواضع بالبدرية والامشاطيين ثلاثة داكين؛ وبالمشرعة أربعة عشر دكاناً وخاناً جديداً من إنشاء الواقف تقبل الله منه صالح الأعمال، وبالحلبة ثلاثة عشر دكاناً وعصارة وخاناً فيه اثنتان وخمسون حجرة، وفي الجانب الغربي من محلة القصر داراً ومداراً وخاناً يعرف بالجواري؛ وفي الخليلات خان الزاوية ومداراً هي الآن من حقوق الخان المذكور. وبالحريم دكان الكاغد. وبنهر عيسى ناحية عقرقوف ونصف القائمية، وتل دحيم[٢] وبساتين بالمخرمية وبساتين بقرية البرك، والجوبة، وقراح الجاموس، وبالحرباء مزرعة، وبالقاطون ناحية زادمان، وبجلولا من خان آباد النصف، ومن بساتين ببعقوبة وببوهريز النصف وبخانقين دوري ونصف دور جوري وارحية الماء وبغمايا، ودولتاباد وبساتين في البندنيجين، وبستان جديد في بوهريز إنشاء الواقف، ونهر خرتاباد وسائر أراضيها ومزارعها المدعو هرارشته وذلك بين جبل حمرين وخانقين وقفاً صحيحاً شرعياً مؤبداً مخلداً، محرماً بجميع ما حرم الله مكة والبيت الحرام والركن والمقام لا زال ذلك كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، لا يندرس بكرور الأعصار، ولا ينطمس بمرور الأدوار، لا يؤجر من متغلب ومتعزز وجندي ومن يخاف غائلته بل يؤجر من رجل مسلم، معامل بتمكين الوالي على هذا الوقف

---

(١) هو سوق العطارين. كذا قال المرحوم السيد نعمان خير الدين الآلوسي.

(٢) دحيم بالدال المضمومة من قرى نهر ملك وهي من نهر عيسى قال في مراصد الاطلاع. أقول ونهر عيسى يسمى الآن المسعودي وهو قرب قبر الجنيد نقلاً عن المرحوم السيد نعمان الآلوسي.



ما فوق المحراب من جامع مرجان - دار الآثار العراقية

من مرافعته بين يدي الحكام، وقضاة الإسلام، قادراً على أداء ما يتوجب عليه من ضمان الوقف، ومن فعل ذلك فتلك الإجارة باطلة، وتصرفه حرام سحت، ووصيتي إلى حكام كل زمان وعصر وأوان، وإلى قاضي القضاة ببغداد أن يساعد الوالي على هذا الوقف واستخلاص الحقوق الواجبة، لوقف هذه المدرسة، وأن ينظروا إليهم بنظر الرحمة والرأفة، فإن الحاكم العادل في رعيته كالوالد الشفيق على ولده ألا وإن كل من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من يعمل بها إلى يوم القيامة، وأن لا يتعرضوا بمتولي هذا الوقف ومستوفيه ومشرفه من استرفاع حساب أو نصب أو ترتيب ولا يداخلوهم في ذلك بشبهة من الشبه ولا يعقد بهذه المدرسة ديواناً لفصل القضايا الشرعية، أو ينازعوا فيه. فإن هذا الموضع موطن العلماء ومنزل الصلحاء فطوبى ثم طوبى لمن استجلب ترحماً لنفسه؛ وويل ثم ويل لمن صاحبه اللعنة في رمسه، فبمثل ما تعاملون في حياتكم تعاملون في مماتكم بعد مماتكم فإن المكافأة من الطبيعة واجبة، كما تدين تدان وكما تزرع تحصد، فإن الدنيا غدارة غرارة وإن طالت مدتها فما طالت، وإن نالت لصاحبها فما نالت. ومن غير شروط هذه الأوقاف، أو تصرف فيها خلاف ما شرطت في الوقفية فهو ظالم عند الله ألا لعنة الله على الظالمين؛ وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين؛ ومأواه جهنم وبئس المصير والحق بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً وما ذلك على الله بعزيز؛ وشرط الواقف تقبل الله منه الحسنات ولا واخذه ما كسبت يداه من السيئات أن لا يسلم من الأراضي الموقوفة من النواحي والبساتين والبسوط بالقرار الشمسي شيئاً أصلاً؛ ولا من المسقفات من الدكاكين والخانات والطواحين بالعرضة أبداً، ومن فعل ذلك فحكمه باطل؛ وشرطه مفسوخ؛ وتصرف من تصرف فيها بهذه

الشبهة حرام سحت وفاعله مأثوم، ملوم الخالق والخلق **﴿فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم﴾** وكتب في شهور سنة ثمان وخمسين وسبعمائة والحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبي الرحمة وشفيع الأمة؛ وكاشف الغمة النبي الأمي العربي الهاشمي القرشي المكي المدني سيد المرسلين ورسول رب العالمين وخاتم النبيين وعلى آله الطاهرين الكرام وصحبه المنتخبين البررة وسلم تسليماً كثيراً. اهـ.

الكتابات المنقورة على الجدران:

وفي المدرسة كتابات أخرى في مواطن متعددة تتعلق بالموقوفات نقلها بوقتها المرحوم السيد نعمان خير الدين الآلوسي وعليه اعتمدت في ذكر نص الوقفية والكتابات الأخرى في المدرسة. وهذا نص المكتوب في إيوان المزملات: «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على نبي الهدى محمد وآله وصحبه من بعده. يقول الواقف مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن السلطاني الأولجايتي[1] من غير شروط أوقافي، أو تصرف فيها خلاف ما شرطت لعن في الدنيا والآخرة، وألحق **﴿بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾** وشرطت[2] أن لا يؤجر أكثر من سنة واحدة: ولا يعقد عقد إجارة قبل انقضاء العقد الأول، ولا يوفر من الموقوفات شيء بوجه المرسومات بعد المرتزقة بها مما ذكر فهو ظالم عند الله. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي. وعلى آله

---

(١) نسبة إلى أولجايتو خان وهو محمد خدابنده المعروف بخربنده أحد ملوك المغول من ذرية هلاكو وهو من مواليه.

(٢) وردت بلفظ «وشرط».

الطيبين الطاهرين وصحبه وسلم. وذلك في شهور سنة ثمان وخمسين وسبعمائة. كتبه أضعف عباد الله تعالى أحمد شاه النقاش التبريزي أحسن الله إليه في الدنيا والآخرة». اهـ.

وهذه الكتابة سقطت من مدة وقد احتفظ بأحجارها... ولكنها لم تعد إلى موطنها...

وهذا نص الكتابة المحفورة على ظاهر جدار المصلى والموجودة فوق سطح الطارمة:

«بسم الله الرحمن الرحيم. في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله. أنشأه المفتقر لمغفرة الملك المنان مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن السلطاني الأولجايتي. تقبل الله منه في الدارين طاعاته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم». اهـ.

والمكتوب على باب الجامع: (المدرسة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم. إنما يخشى الله من عباده العلماء وإن الله عزيز غفور﴾. هذه مدرسة رصينة البناء؛ مشيدة الأرجاء، أنشأها المفتقر إلى عفو ربه الملك المنان مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن. ابتدأ بها في أيام دولة المخدوم المكرم؛ والنويان[1] الأعظم؛ السلطان حسن أنار الله برهانه، وكملت في أيام ايالة ولده النويان الأعظم[2]، سر العدالة في العالم؛ سلطان السلاطين، غياث الدنيا والدين[3] ومغيث

(١) مر تفسيره وهو آمر الفرقة أو قائد الجيش ويطلق أيضاً على الأمير «الشهزاده» راجع المجلد الأول من هذا الكتاب.

(٢) لعلها كما قال الفاضل بهجة الأثري «ناشر» لا «سر» راجع مساجد بغداد ص ٧٠.

(٣) ورد بلفظ «غاية الدنيا والدين» والصحيح أن لقب السلطان أويس غياث الدين وهو الصحيح كما علق الفاضل الأثري.

الإسلام والمسلمين، الشيخ أويس، لا زال هذا الملك الأعظم ملجأ وملاذاً للأمم؛ على أن يدرس فيها مذهبا الإمامين الهمامين، والمجتهدين الأعظمين الإمام أبي حنيفة والإمام محمد بن إدريس الشافعي عليهما الرحمة والرضوان. وذلك في سنة ثمان وخمسين وسبعمائة. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين. بقلم الفقير إليه تعالى أحمد شاه النقاش التبريزي عفا الله عن تقصيره» اهـ.

هذا ما نقله صاحب مساجد بغداد وقال نعمان الآلوسي بعد أن ذكر الآية إلى آخرها وأنه أتمها في زمن أويس أن بعد ذلك أسطراً قد محيت واندرست ومسح عليها بالجص أيضاً ككثير مما كتب على جدران أوقافه.. وفي لغة العرب ذكر الأديب الفاضل مصطفى جواد نص ما تمكن من قراءته[1]...

وقد رمم باب الجامع واحتفظ بوضعه القديم وأعيد المنهدم إلى مثل ما كان عليه كما أصلح مصلاه وعليت أرضه في أيام تولية المرحوم الشيخ أمين عالي آل باش أعيان العباسي ووزارة الأوقاف سنة ١٣٤٥ هـ فاحتفظ بهذا الأثر الجليل[2].

وهذه المدرسة قويت على الأيام ولا تزال قائمة وكان قد أمر سليمان باشا الكبير والي بغداد أن يوسع المصلى بهدم بعض الحجر المبنية وإدخالها فيه، وجعل فيها عبد الله الراوي أو عبد الرحمن الراوي مدرساً فأرخ ذلك بهذه الأبيات:

تبارك من أنشا الأنام وأوجدا ... وقيض منهم من يقام به الهدى
ففي كل قرن يبدو منه مجدد ... حديث أتى عن سيد الرسل مسندا

---

(١) لغة العرب ج ٩ سنة ٧ ص ٦٩٠.

(٢) تاريخ مساجد بغداد تعليق الفاضل الأثري.

فكان بهذا القرن حقاً مجدداً … وزير محا رجس الضلالة والردى
فأحيا ربوع العلم بعد دروسها … وكم جامع أحيا وجدد مسجدا
ومذ بان في هذا المكان تخلخل … تداركه فوراً فأضحى مشيدا
هنيئاً له حاز الثواب لأنه … نوى عملاً لله صرفاً مجردا
وفيه روى الراوي الحديث مؤرخاً … سليمان أضحى عادلاً بل مجددا

١٢٠٠ هـ

هذا ما ذكره السيد نعمان الآلوسي ومن دفتره نقلت ويقاربه ما جاء في مساجد بغداد. والملحوظ أن باب المصلى قد كتبت عليه هذه الأبيات منقوشة على الكاشي في التاريخ المذكور أعلاه بخط الخطاط العراقي الشهير نعمان الذكائي[١].

٢ ـ دار الشفاء:

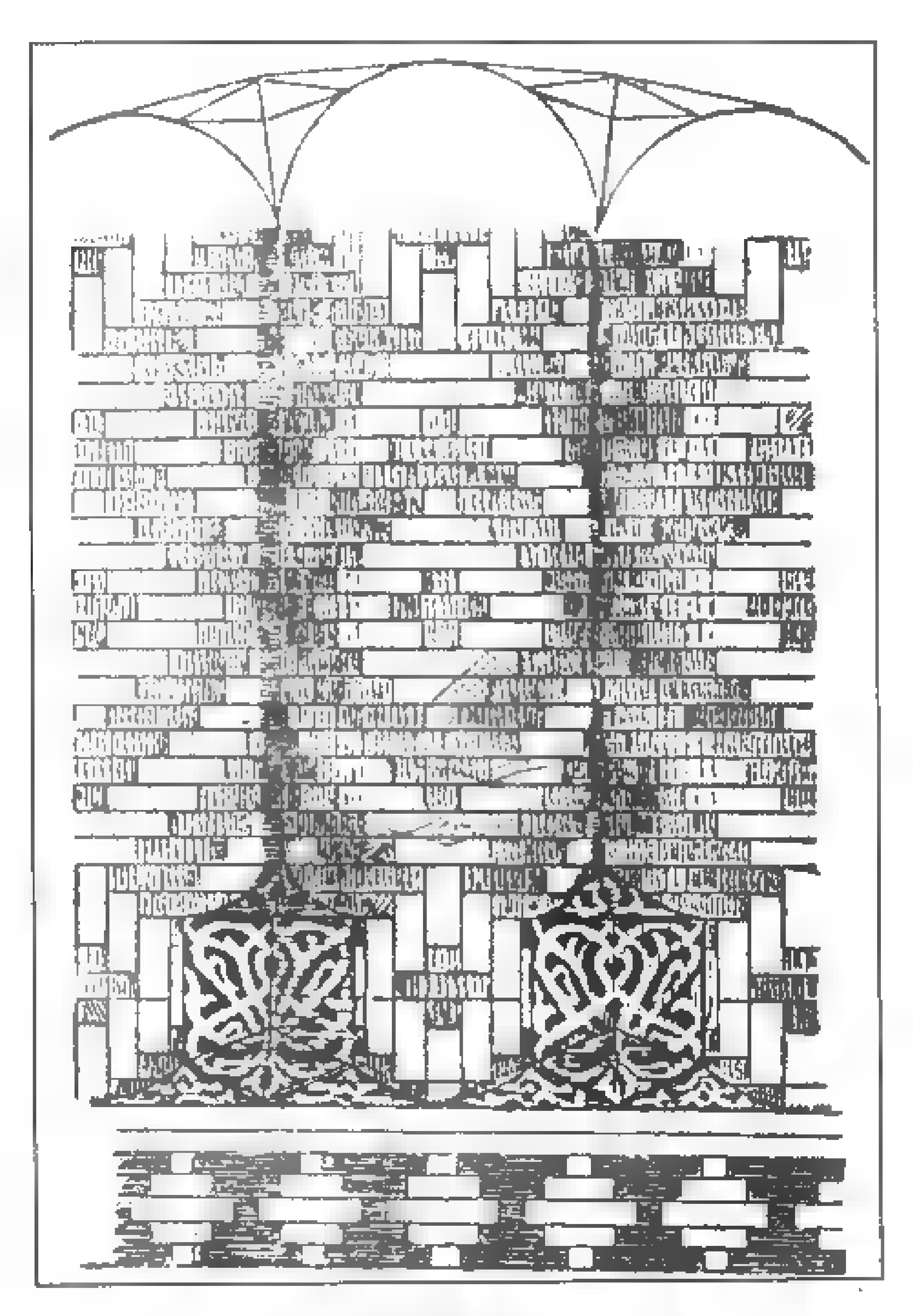
من آثار الخواجة مرجان دار الشفاء. وهذه عادت اليوم قهوة تحتانية وأخرى فوقانية وتعرف بـ(قهوة الشط). ثم صارت التحتانية محلاً معداً للأعمال التجارية والأخرى قهوة. وكانت تؤدى (إجارة عرصة) للأوقاف، وهي الآن من أوقاف (مدرسة اليانس) اليهودية وكذا الأملاك المتصلة بها.. وقد نبه على ذلك المرحوم السيد نعمان خير الدين وعينها في هامش دائرة المعارف للبستاني الموقوفة بين كتب مكتبته التي انضمت إلى دار كتب الأوقاف العامة. وأيد ذلك الأستاذ السيد محمود شكري الآلوسي في تاريخ مساجد بغداد[٢]..

ومن الموقوفات على المدرسة وعلى دار الشفاء (خان الأورتمة) وسيأتي الكلام عليه في حينه. وقد اندرس غالب الموقوفات لهما، فلا

---

(١) هو من تلامذة محمد أمين الأنسي كما يستفاد من إجازة الخطاط سفيان لمحمود الثاني.

(٢) تاريخ مساجد بغداد ص ٧١.



زينة الطابوق في جامع مرجان ـ هرتسفيلد

يفيد مع النفوس الشريرة اللعن والتهديد بغضب الله... مما ذكره الواقف رحمه الله تعالى في متن وقفيته وسائر ما حفره على الأحجار[1]..

والواقف أول من التفت إلى عمل مثل هذا الأثر الجليل من عهد انقراض الحكومة العباسية فلم تهتم هذه الحكومة بمثل هذه الأمور... والأهلون مهملون من ناحية الصحة والثقافة لولا أن أهل الخير شخصياً، والواقفين السابقين أسسوا هذه المؤسسات النافعة.. فالحكومة لا هم لها إلا الجباية وسلب الأموال... ولم تقلل من جشعها حتى في أيام اتخذت فيها بغداد عاصمة وزاد الاعتناء بها... وإنما قام بالأعمال الخيرية أفراد حباً في الثواب...

الملك الأشرف ـ انقراض الحكومة الجوبانية:

كان قد ولي الملك الأشرف بعد أخيه الشيخ حسن الصغير كما

---

(١) قال ابن فضل الله العمري في المسالك: «وسألت الفاضل نظام الدين أبا الفضائل يحيى بن الحكيم إن كانت الأوقاف باقية في متولي هذه المملكة (مملكة بني هلاكو) كما هي عليها الآن؟ أم تناولتها أيدي العدوان؟ فأخبرني بأنها جميعها جارية في مجاريها لم يتعرض إليها متعرض لا في دولة هولاكو ولا في ما بعدها بل كل وقف بيد متوليه ومن له الولاية عليه. وكل ما يقال من نقص أحوال الأوقاف بإيران جميعاً هو من سوء ولاة أمورها أكثر من سواهم» اهـ ذكره الأستاذ الفاضل مصطفى جواد وقال: أما أوقاف المدرسة المرجانية فقد كانت ثابتة إلى ما بعد القرن الحادي عشر للهجرة. قال أحمد بن عبد الله البغدادي(*) في تاريخه «عيون أخبار الأعيان» في ترجمة مرجان عرضاً مع الحوادث «وهو المعروف بالصاحب الأعظم أمين الدين مرجان... صاحب الخيرات العظام في بلدة بغداد آثار خيراته إلى الآن موجودة تنتفع منها الفقراء والفقهاء وكل وقف كان لمن سلف من الملوك اندرس وذهب سوى وقفه فإنه بقي منه ما يوجب تذكره وطلب الرحمة له ـ رحمه الله ـ» اهـ.

(*) المتوفى سنة ١١٠٢هـ بالطاعون. ذكره صديقه وناشر كتابه بعد موته فتح الله بن عبد القادر لقمان. للفاضل الأستاذ مصطفى جواد.

مر سابقاً وهذا نصب (نوشيروان العادل) من ذرية هلاكو ملكاً، ثم عزله وأعلن حكومته مستقلاً فضربت باسمه النقود، وقرئت له الخطب وكان سيئ السيرة جداً. وفي أيامه ترك غالب المسلمين أوطانهم وهاجروا إلى الأنحاء الأخرى، فلم يطيقوا الصبر على شراسته وقسوته. وكان بين هؤلاء النازحين القاضي محيي الدين البردعي فقد هرب من وجهه، وترك تبريز فالتجأ إلى جاني بيك[1] ملك القفجاق؛ وكان قد ولي هذا بعد والده أوزبك[2] أما القاضي المزبور فإنه عدد مساوي الملك الأشرف وقصها على جاني بيك وحضار ديوانه فلم يتمالكوا استماع ما ذكره فأجهشوا بالبكاء... ذلك ما دعا أن يجهز الملك عليه في مدة قليلة جيشاً لجباً، ويحضر الحرب بنفسه فدخل آذربيجان سنة ٧٥٨ هـ وتصادم مع جيش الملك الأشرف في خوي. وفي هذه المعركة تغلب القفجاق على الملك الأشرف السلدوزي فقتل واستولى السلطان على خزائنه...

وكان الأشرف قد ظلم الخلق واكتنز الخزائن فاستفاد غيره منها وقد قيل في ذلك:

ديدي كه چه كرد أشرف خر　　　أو مظلمه برد وديكري زر

فانقرضت بهذا الحكومة الجوبانية وهي من متغلبة المغول وقد بسطنا القول في غالب حوادثها مع العراق فصارت في خبر كان. أما جاني بيك ملك القفجاق فإنه أسر تيمورتاش ابن الملك الأشرف وسلطان بخت بنته وعاد إلى عاصمته (السراي)، وأبقى ابنه بردي بيك[3]

---

(١) ورد بلفظ جان بيك أيضاً.

(٢) مر ذكره في المجلد الأول توفي في شوال سنة ٧٤٢ هـ وهذا هو محمد أوزبك بن طغرلجا بن منكو تيمر بن طغان بن باتو بن دوشي خان بن جنكيز خان. وكان قد ولي بعد عمه الملك طقطاي في أواخر رمضان سنة ٧١٢ هـ.

(٣) ورد بلفظ بري بيك كما في حبيب السير والصحيح بردي بيك.

بخمسين ألفاً في آذربيجان ولكن ابنه لم يلبث إلا قليلاً فعاد إلى مملكته (القفجاق) لمرض أصاب والده جاني بيك فجعل بردي بيك عوضه الأمير أخي جوق نائباً عنه في تبريز[1].

وقد بسط صاحب (تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار) القول في هذه الوقعة ونقل عن مؤرخين كثيرين وبحث عن ملوكهم مفصلاً وذكر أن محمود جاني بيك مرض في الطريق أثناء عودته إلى مملكته فأرسل أمراؤه وراء ابنه بردي بيك يعلمونه بالخبر ويطلبونه للحضور سريعاً وحينئذ ولى على تبريز أميراً قيل هو وزيره سراي تيمر، وقيل أخي جوق وزير الملك الأشرف ووصل بردي بيك إلى (سراي) وقد توفي أبوه السلطان في هذه السنة (٧٥٨ هـ).. فنصب الابن بردي بيك ملكاً مكانه في تلك السنة. قال أبو الغازي صاحب شجرة الترك: «إن بردي بيك كان ظالماً غشوماً فاسقاً قاسي القلب ما ترك أحداً من إخوانه وأقاربه بل قتل الكل، وظن أن الملك يدوم له ولم يدر أن الدنيا فانية سريعة الزوال فلم يدم له الملك إلا مقدار سنتين فمات في سنة ٧٦٢ هـ، وانقطع بموته نسب صاين خان يعني الملك باتو..» اهـ. وقال ابن خلدون: «استقل بالدولة لثلاث سنين من ملكه» اهـ، فيكون جلوسه سنة ٧٥٩ هـ، وبموته وقع الاختلال في دولتهم وكثر الهرج والمرج فتفرقوا إلى دويلات صغيرة[2]...

حوادث سنة ٧٥٩ هـ - ١٣٥٨ م

السلطان - فتح آذربيجان:

في هذه السنة أيام الربيع علم السلطان أويس أن بردي بيك خان رجع إلى مملكة الدشت (القفجاق) وإن أخي جوق بالنيابة عنه استولى

---

(١) شجرة الترك ص ١٧٤ وحبيب السير ج ٣ ص ٨١، وتقويم التواريخ ص ٩٤.

(٢) تلفيق الأخبار ج ١ ص ٥٥٦.

على آذربيجان بالوجه المذكور أعلاه، أو أنه تغلب على الأمير المنصوب.. فجهز السلطان جيشاً عرمرماً من بغداد وتوجه تلقاء تبريز. أما أخي جوق فقد تأهب للنضال وسارع لقتاله وصار ينتظره بجيشه عازماً على حربه فكانت المعركة بينهما شديدة والصدام قوياً إلا أن الحرب لم تسفر في اليوم الأول عن نتيجة، ولم يظهر الغالب من المغلوب وهكذا استمرت إلى اليوم الثاني فأصابت أخي جوق الهزيمة فمال إلى أنحاء تبريز فاراً ولكن السلطان أويس لم يمهله وتعقب أثره فقطع أخي جوق أن السلطان لاحق به فهرب إلى جهات نخجوان وحينئذ ورد السلطان تبريز ونزل (الربع الرشيدي) في رمضان سنة ٧٥٩ هـ. ومن ثم وافى أمراء الشرق لعرض الطاعة له وتقديم الإخلاص... إلا أنه لم تمض عليهم بضعة أيام حتى نووا الغدر بالسلطان وعلى هذا طبق عليهم «الياسا» أي أنه قتل منهم في رمضان هذه السنة ما يقرب من ٤٧ أميراً. والباقون ذهبوا إلى أخي جوق ولحقوا به، وهذا سار من نخجوان إلى قراباغ اران، وعند ذلك رشح السلطان الأمير علي بيلي لحرب هؤلاء المخالفين فتوجه نحو أخي جوق ولكنه تهاون كثيراً وتكاسل، ولم يبال بالأمر فأصابته الكسرة وانتصر عليه أعداؤه فقدر لهذه البلاد أن يستولي عليها هذا الأمير ثانية. فاضطر السلطان أن يعود إلى بغداد ويعد للأمر عدته.. وتمكن أخي جوق من التغلب عليها مرة أخرى. وقد أصاب هذه الأنحاء من الأضرار في النفوس والأموال ما لا يدخله إحصاء[1]...

حوادث سنة ٧٦٠ هـ - ١٣٥٩ م

عود إلى وقائع آذربيجان:

مرت حوادث تبريز في السنة الماضية. وفي فصل الربيع من هذه السنة جرد الأمير مبارز الدين محمد مظفر جيشاً من شيراز وساقه إلى

(١) تاريخ مفصل إيران ص ٤٥٣، وحبيب السير ج ٣ ص ٨١.

تبريز فلم يطق الأمير أخي جوق الصبر على مقارعته ففر من وجهه. . .
وفي ذلك الحين فاجأت الأخبار بمسير السلطان أويس وتوجهه تلقاء
تبريز فلم ير الأمير مبارز الدين بدأ من العودة إلى مملكته بخفي حنين
وترك البلاد فدخل السلطان تبريز ونزل دار الخواجة الشيخ كج[1] من
مشايخ وعلماء تبريز. . .

وفي هذه الأثناء التجأ الأمير أخي جوق إلى صدر الدين الخاقاني
ومن ثم دارت المفاوضات في الصلح وطلب العفو للأمير أخي جوق
فنال عطف السلطان إلا أنه بعد أن اطمأن واستراح مدة أنبأ الخواجة
الشيخ السلطان أويس دخيلة الأمير وما عزم كل من علي بيلتن وجلال
الدين على الغدر به فأمر السلطان أن يقتل هؤلاء الثلاثة فقتلوا ونجا
الناس من فتنهم وغوائلهم. . .

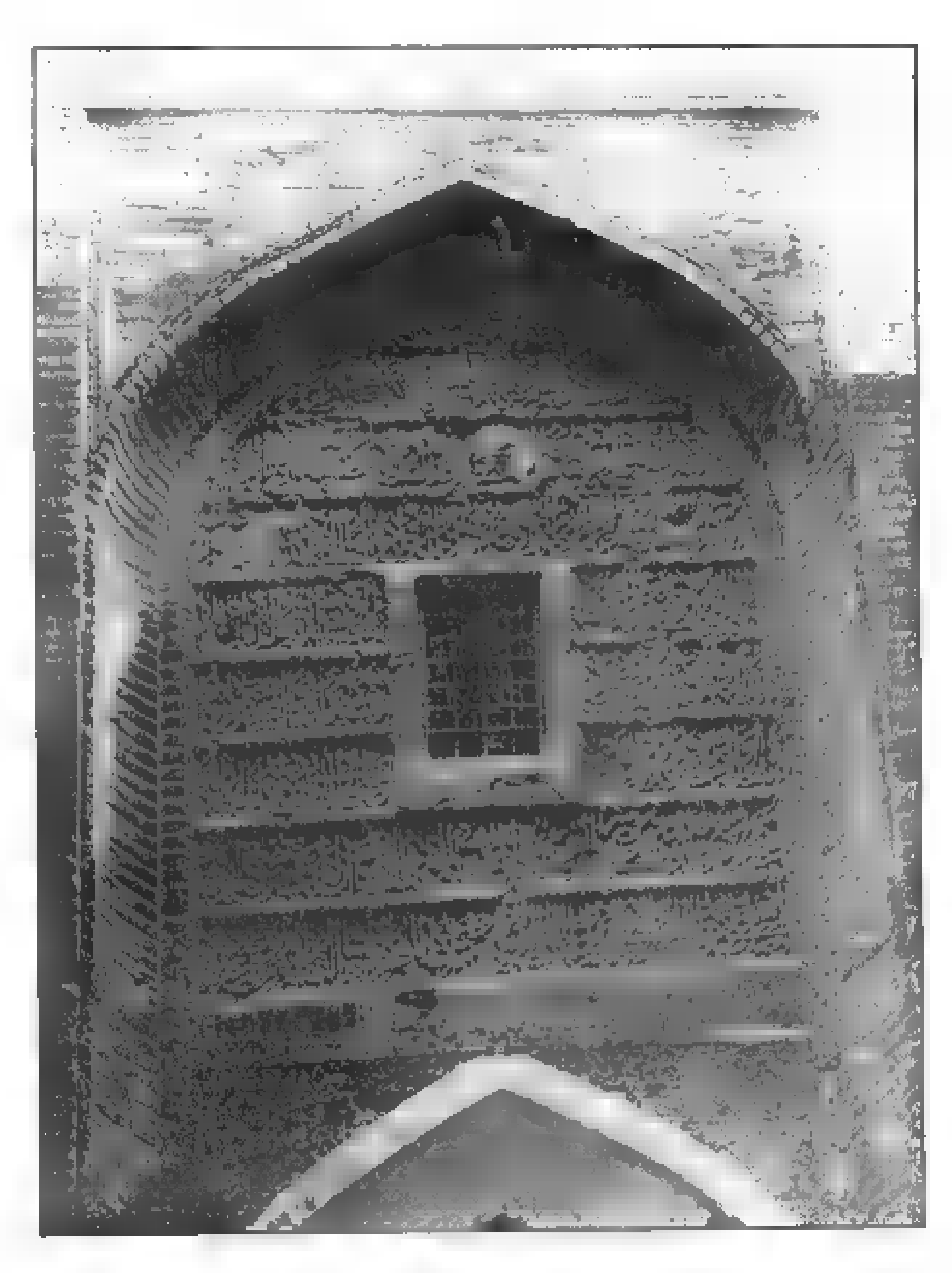
ومن ثم دخلت تبريز في حوزة السلطان وكذا آذربيجان واران
وموقان والأنحاء المجاورة الأخرى حتى سواحل بحر الخزر فوسعت
مملكة الجلايرية توسعاً كبيراً وصارت آذربيجان مصيفاً، والعراق مشتى
لها كما كانت على عهد المغول[2].

خان الاورتمة: (أثر تاريخي)

في هذه السنة بني هذا الخان. ولا يزال قائماً إلا أنه تداعت بعض
أركانه فرممته دائرة الآثار وأصلحت بعض نواحيه في هذه السنة (سنة
١٣٥٥ هـ)، وهو شاهد الاعتناء في اتقان العمارة وإحكامها. . . وهذا نص
ما جاء مكتوباً على بابه نقلاً عن السيد نعمان خير الدين الآلوسي قال:

---

(١) وجاء بلفظ كجيج. والكججاني أو الكجحاني كما في ساوجي ص ٤٠.
(٢) حبيب السير ج ٣ ص ٨١، وتاريخ مفصل إيران ص ٤٥٦.



الكتابة على باب خان الاورتمة ـ دار الآثار العراقية

صورة ما حرر في الحجر في باب الخان المعروف بخان الأورتمة أي المسقف بالأحجار، وقد ذهب بعض الأسطر من أعلى المكتوب والذي بقي هو هذا:

«... الاولجايتي وقفها على المدرسة المرجانية ودار الشفاء بباب الغربة (كذلك عقرقوف)، والنصف للقائمة (من القائمية)، وتل دحيم، ومزرعة بالصراة، وبساتين بالمخرمية[1] وبساتين بقرية البزل (الترك)، والرادماز، وخرم آباد ورباط جلولا المعروف بقزلرباط، وزرين جوي، ونصف دوري، وبساتين ببعقوبة وبوهريز وبالبدنيجين، وخان ودكاكين بالحلبة[2]، وأربع خانات ودكاكين بالجوهريين، وخان بالجانب الغربي، ودكان كاغد بالحريم كما هو محدود مشروح في الوقفية وقفاً صحيحاً شرعياً، تقبل الله تعالى منه الطاعات في الدارين و (بلغه) نهاية المراد، وكان الفراغ منه سنة ستين وسبعمائة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي العربي الصادق، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه وسلم.

كتبه الفقير إلى رحمة ربه أحمد شاه النقاش المعروف بزرين قلم. غفر الله ذنوبه» اهـ.

هذا ما وجد بخطه.

وجاء في لغة العرب نص المكتوب بقراءة الأديب الفاضل مصطفى جواد:

«بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بإنشاء هذا النيم والمنازل

---

(١) محلة بين الرصافة ونهر المعلى وتسمى الآن رأس القرية. قاله السيد نعمان خير الدين الآلوسي.

(٢) الحلبة محلة فيها قبر عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر الجيلي. عن المرحوم السيد نعمان خير الدين الآلوسي.

والدكاكين المولى المخدوم الأمر الصاحب الأعظم الأعدل ملك ملوك الأمر في العالم. صاحب العدل الموفور. عضد السلطنة والإمارة، حاوي مرتبة الإمارة والوزارة، افتخار شهد الأوان، المخصوص بعناية الرحمن، أمين الدين مرجان الأولجايتي[1] وقفها على المدرسة. الخ» اهـ[2].

والباقي لا يختلف عن النص السابق إلا في بعض الألفاظ، ذكرتها بين قوسين في النص المنقول عن الآلوسي والنص في تاريخ مساجد بغداد غير صحيح..

وكتب على صخرة في مدخل باب الخان ما نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. في أيام حضرة السلطان الوالي الدال على المذهب الإمامي شاه إسماعيل بن حيدر الصفوي الحسني. أيدت دولته ووقف عالي جناب الأمير الكبير، المخصوص من الله بالعناية والإحسان، الأمير العادل (قنغرار) سلطان على قول الله تعالى: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ واعلم أن عواقب الظلم ذميمة، وموارده وخيمة، فصدر الأمر العالي بألا يؤخذ من دلالي الإبريسم ومن غرة (الظاهر غير) الأقمشة شيء بعلة التمغا ومن غير ذلك أو شيئاً منه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وكتبه في ذي الحجة سنة ٩٢١ والحمد لله وحده» اهـ.

ذكره الأديب الفاضل مصطفى جواد[3].

---

(١) ورد الأولافايتي والصحيح ما ذكر في الأصل كما تبين من مشاهدته وقد التبست اللفظة بسبب تركيب الحروف.

(٢) لغة العرب ج ٨ من السنة ٧ ص ٦١٥.

(٣) لغة العرب ج ٨ سنة ٧ ص ٦١٧.

وفيات

١ ـ الأمير سيف بن فضل:

مرت حوادثه سنة ٧٤٨ هـ وقد دامت الحروب مع سائر الأمراء إلى أن قتل في هذه السنة أو التي قبلها. وجاء في عقد الجمان أنه توفي سنة ٧٦٠ هـ مقتولاً، والتفصيل عنه في الدرر الكامنة[١].

٢ ـ محمد بن علي بن أحمد السهروردي:

مات ببغداد سنة ٧٦٠ هـ، وكان مولده في رجب سنة ٦٨٦ هـ سمع من الرشيد بن أبي القاسم العوارف للسهروردي، ومنه أخذ مشيخة السهروردي ولبس الخرقة؛ وأجاز له جماعة[٢].

حوادث سنة ٧٦١ هـ ـ ١٣٦٠ م

بيرام بيك ابن سلطان شاه ـ السلطان أويس:

إن هذا الأمير كان محبوب السلطان أويس، ونديمه الملازم له، أحبه حباً جماً.. وفي بعض مجالس الشراب تعارك مرة مع أحد الندماء فغضب مما ناله وذهب إلى بغداد، وترك السلطان في تبريز، وإن الخواجة سلمان الساوجي نظم للسلطان «فراقنامه» ولكن السلطان لم يطق فراقه وعظم عليه الأمر فأرسل إليه بعض رجاله فطلبه إلى تبريز واستعاده إليه. كذا في حبيب السير[٣].

وفراقنامه هذه مثنوي فارسي يحتوي ما يقرب من ألف بيت وهو

---

(١) عقد الجمان ج ٢٣ والدرر ج ٢ ص ١٨٣.

(٢) الدرر ج ٤ ص ٥٥.

(٣) ج ٢ ص ٨١.

مبتن على أن بيرام شاه (بيرام بيك) كان معشوق السلطان بحيث لا يستطيع أن يفارقه لحظة. إلا أن هذا المثنوي نظمه الخواجه سلمان الساوجي في حادث وفاته سنة ٧٦٩ هـ لا في هذه الأيام، وكان تاريخ نظمه عام ٧٧٠ هـ بعد أن رأى أن قد نفدت الحيل والوسائل في صرف السلطان وتسليته إلى ناحية أخرى بسبب وفاة بيرام شاه فقد كان يورد له قصصاً أدبية لمشاهير الشعراء مثل (فراق شمس وقمر) و (روز وشب)، و (گل وبلبل)، و (شيرين وفرهاد)، و (ليلى ومجنون)، و (وامق وعذراء)... فلم يجد فيها ما يسكن ملتهب شوقه وعلى هذا الحادث نظم الشاعر له فراقنامه هذه فكانت تعد من الآثار المهمة ذات المكانة الأدبية الممتازة. قال الجامي عنها إنها «كتاب بديع ونظم لطيف» وهذه شهادة كافية للتعريف بقيمتها الأدبية[١]...

وكان السلطان أويس أمره بنظم حكاية تناسب الحالة ولكنه فضح بها السلطان وأذاع حادث حبه وولهه... لبس عليه السواد، حزن حزناً عظيماً فحكى الخواجة سلمان قصة عشقه هذه، وما ناله من نصب الفراق وعودته له ثم وفاته بما كشف أمره بهذه القصيدة، ودعت إلى التقول عليه..

وفيات

١ ـ فياض بن مهنا بن عيسى:

من آل فضل، أمير العرب. ولي الإمرة من الناصر، ثم وليها بعد أخيه أحمد وبعدها عزل... وهكذا حتى جاء العراق فتوفي سنة ٧٦١ هـ وكان سيئ السيرة[٢].

---

(١) ساوجي ص ١٢٠.

(٢) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢٣٤.

حوادث سنة ٧٦٢ هـ ـ ١٣٦١ م

مخدوم شاه داية السلطان:

في هذه السنة تزوج سلمان بك داية السلطان (مرضعته) وتسمى مخدوم شاه وتلقب ايكجي. وكانت تعد من الأميرات، وهي عظيمة الشأن، صائبة الرأي وكان يهرع إليها في حل القضايا المهمة والخطوب المدلهمة.. وبهذا نال زوجها منصب الإمارة... فإن هذا الزواج كان بأمر من السلطان ورغبته، وكان السلطان لا يزال في تبريز[1]...

ومن ثم صار يدعى هذا الأمير (سليمان أتابك)، وهو أمير الأمراء كما أن الوزارة نالها الخواجة نجيب الدين وقد نظم المولى الياس قلندر أبياتاً فارسية في ذلك ذكرها صاحب روضة الصفا (ج ٥ ص١٧٠).

حوادث سنة ٧٦٣ هـ ـ ١٣٦٢ م



آثار مخدوم شاه:

في هذه السنة ذهبت مخدوم شاه إلى الحج وقامت بالعمارات التالية:

١ ـ عمارة الايكجية:

لقبت مخدوم شاه المذكورة باسم عمارتها هذه. فقيل لها ايكجية، أو أن لقبها هذا انتقل إلى عمارتها[2] والظاهر أنها عمارة سوق الغزل. ولفظ إيكجية يعني أصحاب المغازل وهو سوق المغازل ولا يزال إلى

---

(١) حبيب السير ج ٣ ص ٨١، وتاريخ الغياثي ص ١٨٣.

(٢) تاريخ الغياثي ص ١٨٣.

اليوم معروفاً بسوق الغزل وتباع فيه المغازل وبعد أن خرب الجامع واندثرت موقوفاته عمرتها مجدداً... وأحيت (جامع الخلفاء) الذي لا يزال يسمى جامع سوق الغزل أيضاً. وقد ضاعت عنا تفاصيل أخبارها.

٢ ـ المدرسة:

وهذه لا يعرف مكانها بالتحقيق وإنما جاء في الغياثي «لها مدرسة عظيمة» ولم يعين موقعها[١]... والصلة قد انقطعت فلم تعد تعرف ما كانت عليه... وإلى أين صارت...

٣ ـ دار الشفاء:

وهذه أيضاً من آثارها، وعلى ما جاء في تاريخ الغياثي كانت دار الشفاء على جانب دجلة. فبنى السلطان أحمد في وجهها القلندرخانة.

المولى خانة أو جامع الآصفية

والقلندرخانة هذه [illegible] ذلك بـ (المولى خانة) أو (المولوي خانة) بناها محمد چلبي كاتب الديوان وكاتم السر في عهد أحد المتغلبة على بغداد أحمد الطويل سنة ١٠١٧ هـ، وجعلها تكية لدراويش المولوية[٢]. وحافظت على اسمها إلى أيام داود باشا فجدد عمارتها ومن ثم صارت تسمى بـ «جامع الآصفية» نسبة إلى داود باشا المنعوت بآصف زمانه.. وقد جاء في الوقفية المؤرخة في غرة رجب سنة ١٢٤٣ هـ أن القاضي بمدينة بغداد إبراهيم أفندي بن محمد أفندي قد ثبت عنه أنه في ٢ رجب سنة ١٢٤١ هـ جاء جماعة من العلماء إلى قاضي بغداد يومئذ محمد راشد أفندي بن فخر الدين فأخبروه بأن طريق

---

(١) ص ١٨٣.

(٢) كلشن خلفا ص ٦٦ ـ ١.

الجسر النافذ إلى الجانب الشرقي من البلد الممتد من مسناة الجسر إلى القهوة الشهيرة بقهوة زنبور فيه ضيق على المجتازين بسببه يحصل ازدحام ومشقة للمارين خصوصاً من ضعف منهم كالصبيان والشيوخ والزمنين، وسبب ذلك أنه جادة واحدة ليس لها ثانية، ويقابله من طرف الجسر الآخر الغربي ثلاث طرق متحاذية متباينة، فطلبوا منه أن يعرض هذا الحال لحضرة الوزير. . . داود. . . ويرجو منه أن يفتح باباً للجسر آخر، ويجعل داخل الباب طريقاً عاماً يسلك منه الصغير والكبير فيكون في ذلك تيسير للسالكين وأن يفتح الباب من مكان في حذاء الجسر هدمت عمارته وهو الآن خراب ليس فيه منفعة دنيوية ولا مصلحة أخروية، ومع ذلك فهو مأوى المفسدين والزناة والفسقة. وبعد الإلحاح على القاضي أجابهم معتذراً بأنه لقرب عهده لم يميز أمور البلد الخيرية عن الشرية. وفي اليوم الثاني جاءه أعيان العلماء بأجمعهم وبينهم مفتي الحنفية محمد أسعد أفندي، ومفتي الشافعية عبيد الله أفندي، والسيد محمود أفندي نقيب الأشراف فالتمسوا منه أن يعرض الحال على الوزير الذي منذ جلس على تخت المملكة باشر بتعمير الجوامع والقناطر والجسور. فذهبوا جميعاً إلى المكان لرؤيته، ومشاهدة الازدحام وما فيه من الأذى. . . ومن ثم تحققت له المنفعة فعرض حينئذ الحالة على حضرة الوزير. . . فلما اطلع الوزير على إعلام حاكم الشرع الشريف وعلم أن في ذلك مصلحة شرع في عمارة الباب والطريق العام. وعمر عمارات في رأس الطريق فجعل قهوة مشرفة على الدجلة العظمى وخاناً للتجار و ٢٦ دكاناً، ودكة صراف وكرخانة يحمس فيها قهوة البن تسمى بالتحميس، وكرخانة أخرى يعمل فيها الخبز وبنى بحذاء الطريق (جامعاً) حسناً في داخله مدرستان وحجر كثيرة لسكنى طلبة العلم. . وفي طرفيه مأذنتان. ثم إن حضرة الوزير. . لما فرغ من هذه العمارات وقفها على (جامع الآصفية) الذي أنشأه وعدد شروط الوقف ومصارف الجامع والمدرستين.

وعلى كل لا يزال يسمى الجامع بـ (الآصفية) وبـ (المولى خانة) وقد ذكر في تاريخ مساجد بغداد ما قيل من الشعر في تاريخ تجديده وفصلت أمور أخرى مهمة لا نرى حاجة في تكرارها.. والأصل من مؤسسات مخدوم شاه المذكورة. ولا يعرف بالتحقيق ما كان قبل ذلك.

وفيات

١ ـ ابن الدريهم الموصلي:

هو تاج الدين علي بن محمد بن عبد العزيز الثعلبي المعروف بابن الدريهم، وهو لقب أحد أجداده سعيد ولد في شعبان سنة ٧١٢ هـ؛ وقرأ القرآن بالروايات على أبي بكر بن العلم سنجر الموصلي، وتفقه على الشيخ نور الدين علي ابن شيخ العوينة، وأخذ عن علاء الدين بن التركماني، وشمس الدين الأصفهاني.. وسافر إلى دمشق ثم القاهرة فأثرى وتمول، وله حوادث في مصر وسورية؛ ثم رتب مدرساً بالجامع الأموي، ثم في صحابة ديوان الجامع ثم رتب في ديوان الأسرى.

دخل مصر فبعثه الناصر حسن رسولاً إلى الحبشة وهو مكره على ذلك فوصل إلى قوص فمات في صفر هذه السنة (٧٦٢ هـ).

وكان ماهراً في الأحاجي والألغاز وحل المترجم والأوفاق والكلام على الحروف وخواصها.

وفي كشف الظنون توفي سنة ٧٦٣ هـ وله منظومة في المعمى شرحها في كتاب سماه مفتاح (الكنوز في حل الرموز)[1]..

٢ ـ شمس الدين محمد بن عيسى بن كر:

ويروى كثير عوض (كر) وهو مرواني بغدادي ثم مصري حنبلي.

---

(١) الدرر الكامنة ج ٣ ص ١٠٧ وكشف الظنون ج ٢ ص ٤٨٦.

ولد سنة ٦٨١ هـ وكان قدم أبوه من بغداد إلى القاهرة حين غلب عليها هلاكو. ولي مشيخة الزاوية التي بجوار المشهد الحسيني، وأخرى بالقرب من الدكة... كان موسيقياً، أخذها عن غير واحد ففاق الأقران وصنف فيها تصنيفاً بديعاً في فنه فهو فرد لا يلحق، فقد نقل مذاهب القدماء وحررها، وأخذ على نفسه بأن لا يمر به صوت مما ذكره الأصبهاني إلا ويجيء به على وجهه، ولم يتكسب ببضاعة الموسقى، ذكر ذلك ابن فضل الله وقال لقد رأيته يوماً غنى فأضحك، ثم غنى فأبكى، ثم غنى فنوم فرأيت بعيني ما كنت سمعت بأذني عن الفارابي. مات سنة ٧٦٣ هـ[1].

حوادث سنة ٧٦٤ هـ - ١٣٦٣ م

وفيات

محمد بن الحسين الربعي (ابن الكويك):

هو شرف الدين محمد بن محمد بن الحسين بن محمود بن أبي الفتح المعروف بابن الكويك الربعي التكريتي ثم المصري كان من أعيان التجار الكارمية، وهو صاحب المدرسة الكبيرة بمصر، جعلها دار الحديث، ورصد لها أوقافاً كثيرة. مات بمكة مجاوراً سنة ٧٦٤ هـ وترك مالاً كثيراً جداً فأفسده ولده محمد في سنة واحدة فيقال إنه أتلف فيها سبعين ألف مثقال ذهباً[2].

---

(١) الدرر الكامنة ج ٤ ص ١٢٨.
(٢) الدرر الكامنة ص ٤٢٩.

حوادث سنة ٧٦٥ هـ ـ ١٣٦٤ م

عصيان والي بغداد الخولجة مرجان:

كان السلطان قد بقي في تبريز إلى هذه الأيام، وفيها عصى الوالي الذي كان قد نصبه على بغداد من حين ذهب، وحاول أن يستقل في بغداد، وأعلن حكومته، وجاهر بمخالفة السلطان.. وهذا هو صاحب الأوقاف المذكورة سابقاً فسار السلطان إليه من حين سمع؛ وعزم على دفع غائلته، فتأهب الفريقان للقتال. وفي أثناء تقابل الجيوش قام الأمير زكريا وزير السلطان أويس ونادى الأمراء الذين مع الخواجة مرجان كلاً باسمه (يا فلان) فقالوا نعم: فقال إننا إذا جاء أمر ربنا وبذلنا نفوسنا في سبيل السلطان فلنا العذر، وأما أنتم فتبذلون أنفسكم لطواشي قليل القيمة والقدر. فلما سمعوا هذا الكلام انحازوا إلى عسكر السلطان، وبقي مرجان وحده فريداً ففر إلى المدينة وخرب جسر دجلة. وفي اليوم التالي طلب رحمة السلطان ولطفه ورأفته وفتح له أبواب بغداد، وإن العلماء والسادة والمشايخ والعارفين قد استقبلوا موكب السلطان؛ كما أوصاهم الخواجة مرجان وشفعوا في العفو عنه فدخل بغداد. وحينئذ عفا عن الخواجة مرجان إذ تبين له أن الأمراء كانوا قد شوشوا عليه أمره؛ وأشاروا إليه أن يعصي فلم يستطع أن يخالفهم خوفاً على نفسه فقبلت معذرته[١].

وما جاء في الدرر من أن سبب عصيانه كان أحمد بن حسين أخي السلطان أويس وأن السلطان قتل أخاه حسيناً المذكور فلا أثر له في التواريخ الأخرى كما أن الوقعة لم تكن سنة ٧٦٧ هـ.

هذا وكان الخواجة مرجان قد فتح سدود دجلة فأغرق أطراف

---

(١) حبيب السير ج ٣ ص ٨١ وسمي الوالي بـ «أمير جان».

بغداد لمسافة أربع ساعات فقد كسر سد (قورج) وقطع الطريق فلم يتمكن السلطان من الاستيلاء على البلد ومضت أيام والوضع في توقف ولم يتيسر الأمر ومن ثم أمر السلطان جماعة من أمرائه أن يذهبوا إلى النعمانية ويحصلوا على سفن. وفي هذه الأيام وافى لخدمة الملك قرا محمد حاكم واسط وسارع بإمداد السلطان وقدم له سفناً كثيرة فتمكن من العبور والاستيلاء على بغداد وألقى القبض على الخواجة مرجان بالوجه المذكور.

والخواجة مرجان كان طواشاً[1]، رومي الأصل ويلقب بأمين الدين ابن عبد الله بن عبد الرحمن الأولجايتي نسبة إلى السلطان أولجايتو (محمد خدابنده) أحد سلاطين المغول وكان من مماليكه... ومن المقطوع به أنه لم يرجع إلى ولاية بغداد ثانية إلا بعد مدة. وبيانه في نص الوقفية يشعر بمجمل حياته... والأمراء أساس الفتن ومنبع الغوائل، وهم الذين اضطروه على القيام فلم يرَ صالحاً للحكم إذ تحقق ضعف نفسه. وفي هذه الوقعة قتل السلطان من أمرائه كيخسرو، وشيخ علي، ومحمد بيلتن، وعلي خواجة وجماعة آخرين كان قد ارتاب فيهم... ولهذه دخل على ما يظهر في أصل الحادث[2].

وللخواجة سلمان الساوجي قصيدة في هذه الوقعة ذكرها صاحب روضة الصفا ومثبتة في ديوانه وفي كتاب سلمان الساوجي لرشيد ياسمي[3].

---

(١) في لغة جغتاي «تواشي» يطلق على رئيس الخدم، أو رئيس خدم البلاط الداخلي، أو آغا الحرم، ومخرج التاء قريب من مخرج الطاء فعرب إلى «طواشي».

(٢) تاريخ مفصل إيران ص ٤٥٧ وروضة الصفا ج ٥ ص ١٧١، وكلشن خلفا ص ٤٩ ـ ١، والغياثي ص ١٨٢.

(٣) سلمان ساوجي ص ١١٣.

فتح فارس:

في هذه السنة أشار الخواجة سلمان في قصيدة له إلى استيلاء السلطان على فارس ولكن هذه مساعدة من السلطان أويس لشاه محمود المظفري، وفيها تسلطت الجيوش على شاه شجاع وجعلت هذه الرقعة نفوذاً للجلايرية وصيتاً ذائعاً إلى حدود كرمان وهرمز وخليج فارس... وصار يخطب ود هذه الحكومة كل من شاه شجاع وأخيه شاه محمود ويريد أن يكون له حماية وصلة بها.

وفيات

١ ـ مدرس البشيرية:

القاضي جمال الدين عبد الصمد بن إبراهيم بن خليل ويعرف بابن الخضري (الحصري) الحنبلي، محدث بغداد؛ المدرس في البشيرية، اختصر تفسير الرسعني، كان يحدث ويحضره خلق منهم المدرسون والأكابر، وله ديوان شعر حسن، وخطب ووعظ. مدح الشيخ تقي الدين الزريراني[١] ورثاه. ورثى الشيخ تقي الدين ابن تيمية أيضاً توفي ببغداد في رمضان ودفن في مقبرة الإمام أحمد[٢].

٢ ـ شهاب الدين الشيرجي (السرحي):

هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن سليمان الشيرجي (السرحي) مرت ترجمته في هذا المجلد وهو من وفيات هذه السنة فذكر هناك سهواً[٣].

---

(١) زريران مرت سابقاً في هذا المجلد وهذه القرية شاهدها ابن جبير ووصفها أجمل وصف في رحلته صحفة ٢١٥ طبع أوروبا...

(٢) الشذرات والدرر ج ٢ ص ٣٦٧.

(٣) الشذرات ج٦ ص ٢٠٤.

٣ ـ أبو عبد الله محمد الواسطي:

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن عبد الله الحسيني الواسطي المؤرخ ولد سنة ٧١٧ هـ درس بالصارمية وأعاد بالشامية البرانية وكتب الكثير نسخاً وتصنيفاً بخطه الحسن. فمن تصانيفه مختصر الحلية لأبي نعيم في مجلدات سماه مجمع الأحباب، وتفسير كبير، وشرح مختصر ابن الحاجب في ثلاثة مجلدات، وكتاب في أصول الدين في مجلد، وكتاب في الرد على الإسنوي في تناقضه وكان منجمعاً عن الناس والفقهاء خصوصاً توفي في ربيع الأول ودفن عند مسجد القدم(١).

٤ ـ القاضي جمال الدين الشهيد:

جمال الدين أبو حفص عمر بن عبد المحسن بن إدريس الأنباري ثم البغدادي الحنبلي الشهيد الإمام الفاضل قرأ على جمال الدين أحمد ابن علي البابصري وغيره وتفقه حتى [illegible] في المذهب ونصره وأقام في قمع البدع... وكان إماماً في الترسل والنظم. وله نظم في مسائل الفرائض وارتفع حتى لم يكن في المذهب أجل منه من زمانه. استشهد في هذه السنة. وفي الدرر سنة ٧٦٦ هـ. وقال «كان من قضاة العدل، كثير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تعصب عليه جماعة... ونسبوه إلى ما لا يصح عنه فضرب بين يدي الوزير، ضرباً مبرحاً فمات» اهـ. دفن في مقبرة الإمام أحمد في المدرسة التي عمرها(٢).

٥ ـ مجد الدين أحمد بن علي بن الحسن بن خليفة البغدادي:

الحسيني التاجر ولد سنة ٦٩١ هـ. أخذ عن ابن المطهر الحلي في

---

(١) الشذرات والدرر ج ٣ ص ٤٢٠.

(٢) الشذرات والدرر ج ٣ ص ١٥٤ و ١٧٣ وكررت ترجمته في الدرر.

المعقول، وقدم دمشق فشغل الناس وانتفع به جماعة وخلف ثروة جيدة مات في رمضان سنة ٧٦٥ هـ[١].

حوادث سنة ٧٦٦ هـ ـ ١٣٦٤ م

سفر السلطان ـ والي بغداد الجديد:

إن السلطان أويس قضى ـ بعد وقعة الخواجة مرجان ـ نحو ١١ شهراً براحة وطمأنينة وفوض منصب ولاية بغداد إلى (سلطان شاه خازن)[٢] وهذا الوالي هو والد بيرام شاه (بيك) المذكور سابقاً...

وقائع الموصل وما جاورها:

ثم توجه إلى الموصل فاستولى عليها وانتزعها من يد مراد خواجة أخي بيرام خواجة التركماني مؤسس حكومة قرا قوينلو وللخواجة سلمان الساوجي قصيدة في فتح الموصل ذكرها صاحب روضة الصفا... ومن هناك سار إلى صحراء موش فحارب بيرام خواجة هناك ودمره وقبائله، ثم مال من طريق قرا كليسا نحو تبريز فأقام بها، ودامت مدة إقامته فيها إلى آخر أيام حياته...

وقد تعرض لهذه الوقائع صاحب الشرفنامة في حوادث سنة ٧٦٦ هـ كما أن سلمان الساوجي جمعها مع فتح فارس سنة ٧٦٦ في قصيدة واحدة مدح بها السلطان، وسماها (مفتاح الفتح) فمنحه السلطان من أجلها خمسة آلاف دينار أعطاها له من أموال الغنائم[٣]...

---

(١) الدرر ج ١ ص ٢٠٧.

(٢) ورد في روضة الصفا سليمان شاه خازن ج ٥ ص ١٧١.

(٣) حبيب السير ج ٣ ص ٨١ وسلمان ساوجي. وروضة الصفا ج ٥ ص ١٧١.

وفيات

1 ـ الشيخ نور الدين محمد بن محمود البغدادي:

هو الإمام المقرىء الحنبلي. سمع وخرج وقرأ واقرأ، وتميز وولي الحديث بمسجد يانس (كذا) بعد القاضي جمال الدين عبد الصمد المذكور في وفيات السنة السابقة. توفي ببغداد سنة ٧٦٦ هـ ودفن بمقبرة الإمام أحمد[١].

حوادث سنة ٧٦٧ هـ ـ ١٣٦٥ م

1 ـ الصاحب عز الدين أبو المكارم الحسين بن محمد الحسيني الأسدي:

البغدادي المعمر أبو المكارم بن كمال الدين بن تاج الدين المعروف بابن النيار ولد سنة ٦٧٤ هـ سمع من أبيه والرشيد بن أبي القاسم... وأجاز له المجد بن بلدجي[٢] وابن الطبال وغيرهما من شيوخ بغداد كما أنه أخذ نيابة الحكم ببغداد على مذهب الشافعي. وكان ممن ثبتت رياسته مات في صفر سنة ٧٦٧ هـ[٣].

2 ـ علي بن محمد بن يحيى بن هبة الله العباسي:

الحنفي البغدادي. سمع على عبد الكريم بن بلدجي[٤] وعلى

---

(١) الشذرات ج ٦ ص ٢٠٧.

(٢) ترجمته في المجلد الأول وهو صاحب كتاب المختار المتن الفقهي المعتبر المشهور، وشرحه المسمى بالاختيار... وله ثلاثة إخوة هم عبد الدائم وعبد العزيز وعبد الكريم وقد فصل القول فيه صاحب الفوائد البهية في صحيفة ١٠٦ وسماه مجد الدين عبد الله بن محمود.

(٣) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٦٩.

(٤) هو أخو مجد الدين عبد الله بن بلدجي المذكور في الترجمة السابقة.

الرشيد بن أبي القاسم وولي قضاء بغداد، ونقابة الأشراف، ودرس وخطب. مات في رجب سنة ٧٦٧ هـ[(١)].

حوادث سنة ٧٦٨ هـ ـ ١٣٦٦ م

وفيات

1 ـ ابن العاقولي:

هو محيي الدين محمد بن جمال الدين عبد الله بن محمد بن علي ابن حماد بن ثابت الواسطي الأصل البغدادي المعروف (بابن العاقولي). أخذ عن والده[(٢)] وغيره، ودرس بالمستنصرية للشافعية، وانتهت إليه رئاسة العلم والتدريس ببغداد قال ابن رافع بلغنا أن والده كان يقول «ولدي محمد ممن أوتي الحكم صبياً». وهو والد الشيخ غياث الدين محمد[(٣)]. مات في ١٤، أو ١٧ رمضان سنة ٧٦٨ هـ عن ٦٤ سنة، ومولده سنة ٧٠٤ هـ وأبوه ذكره الإسنوي في طبقاته[(٤)].

حوادث سنة ٧٦٩ هـ ـ ١٣٦٧ م

حكومة شروان:

هذه الحكومة أيام ملكها كاوس بن كيقباد كانت قد عاثت في أنحاء آذربيجان استفادة من غياب السلطان أويس فعزم على تأديبها والوقيعة بها.. فلما رأى كاوس ذلك أرسل جماعة من الأئمة والمشايخ في طلب العفو... فعفا السلطان عنه وهدأت الأمور[(٥)].

---

(١) الدرر ج ٣ ص ١٢٢.

(٢) ترجمته في المجلد الأول من هذا الكتاب.

(٣) ستأتي ترجمة ابنه غياث الدين محمد في حوادث سنة ٧٩٧ هـ.

(٤) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٤٨٣.

(٥) روضة الصفا ج ٥ ص ١٧١.

فيضان ـ غرق:

في هذه السنة فاضت دجلة ودخل الماء بغداد، فاض ليلاً ودخل المدينة، وعند الصباح نقص الماء[1]...

والي بغداد:

في هذه السنة توفي والي بغداد سلطان شاه خازن وهذا لم يظهر في أيامه ما يستحق التدوين أو لم يصل إلينا من حوادث أيامه شيء يذكر[2].

والي بغداد الجديد:

عاد للمرة الثانية الخواجة مرجان وأعطاه السلطان الطوغ والعلم والنقارة... ودامت إيالته في بغداد لمدة ست سنوات (إلى سنة ٧٧٤ هـ) وقد بذل العدل وأمن السبل... وشيد العمارة العالية الجديدة وأتم ما كان قد شرع به سابقاً من الأبنية[3].

وفيات

١ ـ الأمير قاسم ابن السلطان الشيخ حسن:

في هذه السنة توفي الأمير قاسم أخو السلطان أويس بمرض الدق فأجريت له مراسم الحداد فنقل إلى النجف الأشرف ودفن بجوار والده الشيخ حسن الايلگاني وكان قد ولد في جمادى الأولى سنة ٧٤٨ هـ. ومقبرتهم موجودة داخل الصحن، عثر عليها في الأيام الأخيرة فأعيدت إلى ما كانت عليه... وللخواجة سلمان مرثية فيه[4]...

---

(١) الدر المكنون.
(٢) روضة الصفا ج ٥ ص ١٧١.
(٣) تاريخ مفصل إيران، ص ٤٥٨ وروضة الصفا ج ٥ ص ١٧١.
(٤) سلمان ساوجي ص ١٨ وروضة الصفا ج ٥، ص ١٧١.

٢ ـ بيرام شاه بن سلطان شاه خازن:

توفي في هذه السنة بيرام شاه ابن والي بغداد... فارتبك السلطان لموته واضطرب، فتنغصت حياته وزاد حزنه عليه بحيث لم يفتر لحظة عن ادكاره... وقد مر بنا في سنة ٧٦١ هـ حادث انفعاله من بعض الندماء وذهابه إلى بغداد ثم استعادته إلى تبريز... وإن مصابه أثر تأثيراً عظيماً على السلطان. وقد أشرنا إلى ما كلف به الخواجة سلمان من نظم قصة فراقه (فراقنامه) وكان قد نظمها سنة ٧٧٠ هـ... فلا نرى حاجة لإعادة الكلام هنا... وكان سبب وفاته إدمان الشرب[١]...

حوادث سنة ٧٧٠ هـ ـ ١٣٦٨ م

أمير العرب:

ولي في هذه السنة علي بن موسى بن عيسى بن مهنا، ولاه الأشرف عوضاً عن جماز بن مهنا أمير آل علي من طيئ، وكان قد تقلد جماز مكان مهنا بن موسى، ولما مات جماز أمر الناصر ولده رملة بن جماز[٢].

وفاة الحاجة ماما خاتون:

في أوائل هذه السنة توفيت الحاجة ماما خاتون زوجة السلطان أويس وأم أولاده. فحزن عليها السلطان وأجريت لها مراسم الحداد[٣]...

---

(١) روضة الصفا ج ٥ ص ١٧١.

(٢) الدرر ج ٢ ص ١١٠.

(٣) روضة الصفا ج ٥ ص ١٧١.

حوادث سنة ٧٧١ هـ - ١٣٦٩ م

طاعون عظيم:

حدث في تبريز طاعون عظيم، وكذلك في البلدان الشمالية، وقد بالغ المؤرخون في وفياته كثيراً فهو وباء فتاك جداً[1]..

وفيات

١ - ابن العلامة الحلي:

هو الشيخ فخر الدين أبو طالب محمد بن الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي. مضت ترجمة والده في حوادث سنة ٧٢٦ هـ، والمترجم ولد في ٢٢ جمادى الأولى سنة ٦٨٢ هـ ذكره جماعة من علماء الرجال منهم صاحب لؤلؤة البحرين وصاحب روضات الجنات.. وهو من مشاهير رجال الشيعة في الفقه والكلام وعلوم أخرى إلا أنه لم يبلغ درجة والده العلامة، وغالب مؤلفاته شروح وحواش أو توضيحات لكتب والده... وله المكانة الرفيعة عند الشيعة والمعروف أنه أخذ عن عمه الشيخ رضي الدين علي بن المطهر وعن والده دون بيان سائر شيوخه. ولعل شهرة والده غطت على الكل. والحق أن فقه والده لا يزال معمولاً به من الفقهاء المعاصرين حتى الآن فيراعون غالب اختياراته وآرائه الفقهية في فقه الشيعة فلا غرابة أن يميل المترجم إلى جهة إيضاحها وشرحها ومن مؤلفاته:

١ - شرح القواعد سماه (إيضاح الفوائد في حل مشكلات القواعد) والأصل لوالده.

٢ - شرح خطبة القواعد.

---

(١) روضة الصفا ج ٥ ص ١٧٠.

٣ ـ حاشية الإرشاد.

٥ ـ الكافية الوافية في الكلام.

٦ ـ شرح نهج المسترشدين والأصل لوالده.

٧ ـ شرح مبادىء الأصول.

٨ ـ شرح تهذيب الأصول.

أخذ عنه من المشاهير:

١ ـ الشهيد.

٢ ـ السيد بدر الدين حسن بن نجم الدين المدني.

٣ ـ فخر الدين أحمد بن عبد الله المتوج البحراني.

٤ ـ السيد تاج الدين بن معية.

٥ ـ الشيخ ظهير الدين ابن السيد تاج الدين المذكور.

٦ ـ الشيخ نظام الدين علي بن عبد الحميد النيلي من مشايخ ابن فهد الحلي.

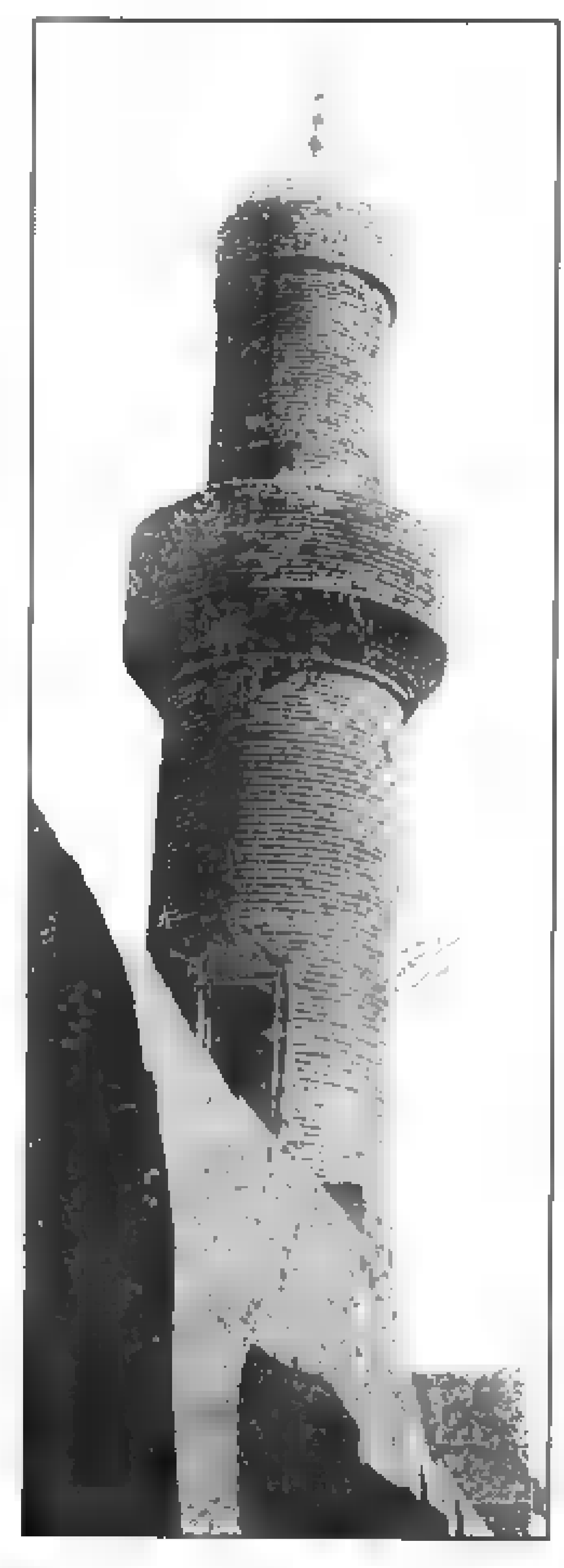
توفي في ١٥ جمادى الآخرة سنة ٧٧١ هـ[1]. وله ابن اسمه الشيخ ظهير الدين محمد...

٢ ـ شمس الدين ابن المعافى الموصلي:

هو محمد بن تاج الدين عبد الله بن عز الدين علي بن المعافى بن إسماعيل بن الحسين بن الحسن بن أبي سنان الموصلي الدمشقي. سمع بالموصل ودمشق وحدث عن أبي نصر بن الشيرازي، وولي إمامة العدلية

---

(١) روضات الجنات ص ١٥٤ و ٣٩٧ ولؤلؤة البحرين.



منارة جامع قمانقولي

وجه صندوق ضريح العقولي - دار الآثار العراقية

بدمشق، وكان له حانوت يتجر فيه.. وكان قد أضر، وكان خيراً، ساكناً، يلازم مواعيد الحديث...

مات في سادس ذي القعدة سنة ٧٧١ هـ وجده المعافى المذكور من العلماء المشاهير توفي سنة ٧٣٠ هـ[١].

حوادث سنة ٧٧٢ هـ ـ ١٣٧٠ م

الأمير ولي والسلطان أويس:

إن السلطان كان قد فتح فارس، ثم حدثت له منازعات مع الأمير ولي. وذلك أنه بعد قتلة والده طغاي تيمور استولى على مازندران وجرجان وقومس ولم يخل من مقارعات فهزمه السلطان أويس وجعل حكومة الري التي انتزعها منه إلى أحد أمرائه قتلغشاه. وبعد سنتين توفي المزبور فنصب السلطان مكانه (عادل آغا) وهذا كان شحنة بغداد فتعالت رتبته حتى صار من متميزي أمراء الدولة الإيلكانية المعروفين.

وللخواجة سلمان الساوجي قصيدة يهنىء بها السلطان في انتصاره على عدوه الذي كان قد عاث في ساوة (بلدة الشاعر) وخربها[٢].

حوادث سنة ٧٧٣ هـ ـ ١٣٧١ م

شعار السادة:

أمر الملك الأشرف (ملك مصر) في هذه السنة أن تلف عصائب خضر على العمائم علامة للعلويين فعمت في الأقطار، وشاعت، ولا

---

(١) الدرر ج ٣ ص ٤٧٩.

(٢) روضة الصفا ج ٥ ص ١٧٢ وسلمان ساوجي ص ٣٠ وتاريخ مفصل إيران ص ٤٥٨.

يزال أثرها باقياً إلى اليوم... وقال في هذا الحادث عبد الله بن جابر الأندلسي نزيل حلب:

جعلوا لأبناء الرسول علامة	إن العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم	يغني الشريف عن الطراز الأخضر

وقال الأديب شمس الدين محمد بن إبراهيم بن بركة الدمشقي:

أطراف تيجان أتت من سندس	خضر بأعلام على الأشراف
والأشرف السلطان خصهم بها	شرفاً ليفرقهم من الأطراف

وهكذا شاع لقب (السيد) للاختصاص في العلوية ولكن هذا لم يعين بمرسوم من أحد الملوك. ولا ذاع في زمن ما تعيينه. وفي الأيام الأخيرة اكتسب شمولاً[1].

ظهور تيمورلنك ـ اوليته:

في هذه السنة كان خروج تيمورلنك واستقلاله بالملك في تركستان وما وراء النهر وهو تيمورلنك[2] بن طرغاي (ترغاي) بن ابغاي الجغطايي ظهر بين كش وسمرقند.. قام كفاتح عظيم وقد أرخ بعضهم ذلك بكلمة (عذاب) وفيها من الرمز والإشارة إلى أنه كان فاتكاً قاسياً... ووقائعه في العراق لا تزال ترن في الآذان، وتتناقلها الألسن، فنرى التعريف بأوليته لازم كتمهيد لتفسير وقائعه وما قام به من أعمال في الأقطار الإسلامية. ويعد من أكبر الفاتحين وحاول أن يقوم بأكبر مما قام به جنكيز خان المشهور... وقد أفرد جماعة من المؤرخين أيام نهضته بالتأليف لما قام به من أعمال جليلة تركت أثراً عظيماً في النفوس...

---

(١) إنباء الغمر في أبناء العمر مخطوط.

(٢) تيمور هو لفظه المشهور ويقال تمرلنك وتمور ومعنى تيمور الحديد ويلفظ في لغة الترك العثمانيين «دمير»...

كان عام ٧٧٣ هـ تاريخ نهضة تيمور ومبدأ فتوحه واستقلاله... ومولده كان سنة ٧٢٨ هـ في قرية تسمى خواجة إيلغار من أعمال كش إحدى مدن ما وراء النهر... كان أبوه من الفلاحين ونشأ خاملاً إلا أنه كان قوي القلب، شديد البطش ذكياً، فطناً. مطبوعاً على الشر... ولما بلغ أشده وترعرع صار يتجرم فسرق مرة غنماً فرماه راعيها بسهم فأصاب رجله فعرج منه فمن حينئذ قيل له (اللنك) وتعني في لغة العجم الأعرج، والترك يدعونه (آقساق تيمور) ويقصدون عين الغرض...

ثم انضمت إليه طائفة فصار يقطع الطريق... وكان لا يتوجه إلى جهة فيرجع خائباً، وكان يلهج بأنه يملك البلاد ويبيد العباد. وكان له اتصال بشمس الدين الفاخوري وببركة أحد الزهاد المشهورين في أيامه... مما جعل الناس يتقولون بنسبة كرامات منهما أو دعوات له... لأنهم مشبعون في هذه النسبة إلى أمثال هؤلاء الشيوخ والزهاد... وإنما كانت نفسه كبيرة، وعزمه قوياً وهمته عالية وإرادته لا تتزعزع في تطلعه إلى الملك، وهو ذو عقل وافر جداً فكان ذلك كله من أسباب نجاحه وأقوى الكرامات التي يجب أن تعزى إليه.. لا إلى شيخ أو درويش.

اشتهر أولاً بمعرفة الخيل فطلبه صاحب خيل السلطان بسمرقند فقرره في خدمته، وحظي عنده فاتفق أنه مات عن قريب فقرره السلطان مكانه، وكان اسمه حسين من ذرية جنكزخان فكانت هراة وغيرها من بلاد المشرق في ملكه فاستمر اللنك في خدمته إلى أن بدا منه إجرام فخشي على نفسه فهرب وانضم إليه جمع وعاد إلى قطع الطريق، فاهتم السلطان بأمره وجهز إليه جيشاً، فظفروا به، فلما أحضروه استوهبه بعض أقارب السلطان، فاستتابه وأقره في خدمته رغبة في شهامته فاستمر إلى أن خرج خارج بسجستان وكان ينوب فيها، فجهز إليه السلطان عسكراً رأسهم اللنك فأوقعوا بذلك النائب، واستولى اللنك منه على مال كبير

فقسم بين العسكر الذين صحبته واستتبوا هم في الاستيماد في ذلك البلد وما حوله، فأطاعوه وعصوا على السلطان فاتفق في تلك الأيام موت السلطان حسين المذكور، وقام بعده ولده غياث الدين في المملكة فجهز إلى اللنك عسكراً كثيفاً فلم يكن له بهم طاقة ففر منهم إلى أن اضطروه إلى نهر جيحون فترجل عن فرسه وأخذ معرفتها بيده ودلج النهر سابحاً إلى أن قطعه ونجا إلى البر الآخر فتبعه جماعة من أصحابه على ما فعل وانضموا إليه، وتبعهم جمع كانوا على طريقتهم الأولى فالتفوا عليه وقصدوا تخشب (مدينة حصينة) نطرقوها بغتة فقتل أميرها واستولى اللنك على قلعتها واتخذها حصناً له فلجأ إليه، ثم توجه إلى بدخشان وبها أميران من جهة السلطان وكانا قريبي العهد بغرامة ألزمهما بها السلطان لجناية صدرت منهما فكانا حاقدين عليه فانضما إلى اللنك فكثر جمعه واتفق في تلك الأيام خروج طائفة من المغل على قمرخان صاحب هراة فجمع لهم والتقوا فهزموه فبلغ ذلك اللنك فسار إليهم وصاروا على كلمة واحدة فتوجه صاحب هراة إلى بلخ وتوجه اللنك بمن معه إلى سمرقند فنازلها فصالحه النائب بها (علي دكير) على أن تكون المملكة بينهما نصفين، فأقر بسمرقند وتوجه إلى بلخ فتحصن السلطان منه فحاصره إلى أن نزل إليه بالأمان فقبض عليه وتسلم البلد ورجع إلى سمرقند فدخلها آمناً وذلك في أوائل هذه السنة (سنة ٧٧٣ هـ) فأقام رجلاً من ذرية جنكزخان يقال له صرقتمش. وكانت السلطة يومئذ قد أنهيت إلى طقتمش خان بالدشت وتركستان وذلك بعد مجاهدات عظيمة ووقائع وبيلة كان تيمورلنك قد ساعده في غالبها... ولكن تيمورلنك انقلب عليه في وقائع لها مساس في العراق على ما سيوضح. وقد جعل صاحب الأنباء وقعة انتصاره على طقتمش في حوادث هذه السنة وليس بصحيح...

وعلى كل استولى اللنك على ممالك كثيرة، فبلغه ما اتفق

لسلطان هراة فجمع العساكر وقصد اللنك بسمرقند فالتقوا بين سمرقند وخجند فكانت الكسرة أولاً على اللنك ثم عادت له الغلبة فانتصر اللنك. دخل اللنك خجند ففر أميرها وأمر فيها بعض جنده فاستولى على بقية البلاد التي لم تكن دخلت في طاعته رهبة ورغبة. ثم دخل سمرقند فأول شيء فعله بعلي شير صاحبه الذي أعانه على مستنيبه وقسم البلد بينه وبينه أن قتله غيلة... ثم أوقع بمن كان بسمرقند من الزعر وكان عدداً كثيراً قد أسعروا البلاد وكان اللنك أعلم بهم من غيره لأنه كان يرافقهم كثيراً، وكان إيقاعه بهم بالتدريج بطريق المكر والخديعة والحيلة إلى أن استأصلهم وكفى أهل البلاد شرهم ثم لما استقرت قدمه في المملكة خطب بنت ملك المغل وهو فرحان[1] فزوجها له وزادوا في اسمه (گورگان) فلذلك كان يكتب عنه تيمور گورگان ومعناه بلغة المغول الصهر أو الختن ثم توجه بعساكره إلى خوارزم وجرجان فصالحوه على مال ثم قصد هراة فنزل إليه ولد ملكها غياث الدين بالأمان فاستولى عليها واستصحب ملكها معه إلى سمرقند فسجنه فاستمر في سجنه إلى أن مات، ثم قصد سجستان فنازل أهلها فتحصنوا منه مدة ثم طلبوا منه الأمان فأمنهم على شريطة أن يمدوه بما عندهم من السلاح فاستكثروا له من ذلك ليرضوه وصار يستزيدهم فبلغوا الجهد في التقرب إليه بما قدروا عليه منه فلما ظن أن غالب سلاحهم صار عنده وأن غالبهم صار بغير سلاح بذل فيهم السيف وخرب المدينة حتى لم يبق منها بعد أن رحل عنها من تقوم بهم الجمعة ولما استولى على هذه الممالك مع سعتها وشدة فتكه بأهلها توارد أمراء النواحي على الدخول في طاعته، والوفادة عليه ومنهم خجا (خواجة) علي بن مؤيد بطوس وأمير محمد بيناورد وأمير

---

(١) كذا جاء في الدرر ولعله تمرخان.

حسين بسرخس فأنزلهم نواباً في ممالكهم. وكذا جميع من بذل له الطاعة ابتداء، ومن راسله فعصى عليه يتعذر أن يعفو عنه إذا قدر عليه، وكان من جملة من راسله شاه شجاع صاحب شيراز وعراق العجم فبذل له الطاعة وسأله المصاهرة فزوج ابنته بابن اللنك وهاداه وهادنه واستمر على ذلك إلى أن مات في سنة ٧٧٧ هـ والحاصل صفت له ممالك سمرقند وولاياتها وممالك ما وراء النهر وجهاتها وتركستان وما حواليها وممالك خوارزم وما يتعلق بها... وهذه الأخبار تعرف بأولية اللنك مجملاً... وممن نازله اللنك في هذه السنة حسين صوفي صاحب خوارزم ومات فاستقر ولده يوسف مكانه واستولى اللنك على خوارزم وخربها كدأبه في غيرها من البلاد. ولكنه مع كل هذا لم يظهر بعد بمظهر فاتح عظيم وكل ما في الباب أنه قضى على الدويلات الصغيرة في تلك الأنحاء... وبرزت فيه آثار القدرة والدهاء والعظمة... وذاع اسمه واشتهر صيته بعد أن قارع أكابر الملوك ودوخ الممالك على ما سنشير إليه في الوقائع المتعلقة بالعراق[١]...

ملحوظة:

إن طقتمش (توقتامش) المذكور ولي السلطنة بعد بردي بك المذكور سابقاً وكانت قد تفرقت مملكتهم إلى إمارات صغيرة... والمعروف أنه ابن بردي بيك أو أنه من بيت الملك على اختلاف في ذلك. وفي شجرة الترك أن الأسرة المالكة انقرضت. وكان توقتامش من أعظم ملوك التتار شوكة وأعلاهم همة، وأحسنهم سياسة، وأقواهم جاشاً وأشدهم سطوة وبأساً وفي تلفيق الأخبار يميل إلى أنه ابن بردي

---

(١) الأنباء والدرر الكامنة والفوائد البهية والضوء اللامع... أما الغياثي فقد نقل حرفياً من الأنباء ص ٢٢٣ وما يليها.

بيك ولما استقر له الملك صار تيمورلنك يخشى توسعه وينوي الوقيعة به خصوصاً بعد أن علم بأنه قد بقي بلا مزاحم ولا معارض في ملكة الدشت (القفجاق)... وأخذ يعده من المنافسين له... وله وقائع أخرى مهمة مع ايدكو ملك الترك من قبيلة قونكرات (قونقرات) وملوك المسقوف... مما لا علاقة لها بموضوعنا وهي مذكورة في تلفيق الأخبار... وقد ترجمه صاحب الضوء اللامع وغيره[1].

حوادث سنة ٧٧٤هـ - ١٣٧٢م

الخواجة مرجان (والي بغداد):

في هذه السنة توفي الخواجة مرجان، وقد مر بيان أوقافه، وواقعة عصيانه وكان طواشياً ومن موالي السلطان أويس، استنابه على بغداد، ثم استوحش مرجان منه، أو كما ذكر أصطور الأمراء فأعلن استقلاله ببغداد وجاهر بالمخالفة...

وكان قد كاتب الأشرف صاحب مصر يخبره أنه خطب له ببغداد والتمس منه التقليد بالنيابة فأرسل إليه ذلك منه ومن الخليفة. وأرسل الأعلام والخلع، وأذن له أن يدخل الديار المصرية إن رابه من أويس ريب..

ثم إن أستاذه (السلطان أويس) تجهز إليه بعساكر كثيرة، وحاصره إلى أن غلب عليه بالوجه المبسوط سابقاً في حوادث سنة ٧٦٥ هـ. قال في الدرر ويقال إنه كحله. ولكن هذا لم يثبت من المؤرخين المعاصرين. ولعل مبنى هذا الخبر الإشاعة..

وبعد وفاة سلطان شاه خازن قرره السلطان نائباً عنه ببغداد (والياً)

(١) الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٢٥ وتلفيق الأخبار ج ١ ص ٥٦٨ وما يليها.

لما علم من شهامته وحفظ الطرقات في زمانه.. وكانت الطرقات في أيام خلفه قد فسدت فلما أعيد للنيابة انصلحت فلم يزل على ذلك إلى أن مات سنة ٧٧٤ هـ[(١)] ومن خير ما وصف به الحاكم العادل ما قاله في وقفيته:

«الحاكم العادل في رعيته كالوالد الشفيق على ولده، ألا وإن كل من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة...» اهـ.

ورغبة الناس فيه وإعادته لولاية بغداد، ودوامه فيها إلى أن مات تدل دلالة واضحة على أنه كان من حكام العدل.

والي بغداد الجديد:

ولي وزارة بغداد إثر وفاة الخواجة مرجان الخواجة سرور. وهذا من ممدوحي الشاعر الخواجة سلمان الساوجي إلا أن هذا الوالي لم يعرف عنه من التفصيل ما يبصر بوقائعه وأيامه في بغداد وهنا نشير إلى أن صاحب (كتاب ساوجي) جعل وزارة الخواجة سرور بعد وفاة سلطان شاه خازن ولم يكن هذا صحيحاً منه[(٢)].

وفيات

١ ـ أحمد بن رجب الحنبلي:

توفي في هذه السنة أو التي قبلها أحمد بن رجب بن حسين بن محمد بن مسعود السلامي البغدادي، نزيل دمشق، والد الحافظ زين الدين بن رجب. ولد ببغداد سنة ٦٤٤ هـ ونشأ بها، وقرأ بالروايات،

---

(١) الدرر ج ٤ ص ٣٤٥ وما مر بيانه من الحوادث وساوجي ص ٣٤.

(٢) ساوجي ص ٣٤.

وسمع من مشايخها، ورحل إلى دمشق بأولاده فأسمعهم بها وبالحجاز والقدس وجلس للإقراء بدمشق، وانتفع به، وخرج لنفسه معجماً وكان ذا خير ودين وعفاف[1]...

٢ - ابن كثير المؤرخ:

هو عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصري (البصروي) ثم الدمشقي الفقيه الشافعي ولد سنة ٧٠٠ هـ، وتفقه بجماعة، وانتهت إليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير وهو القائل:

تمر بنا الأيام تترى وإنما
نساق إلى الآجال والعين تنظر
فلا عائد ذاك الشباب الذي مضى
ولا زائل هذا المشيب المكدر

ومن مصنفاته التاريخ المسمى (بالبداية[2] والنهاية) والتفسير[3] واختصر تهذيب الكمال وأضاف إليه ما تأخر في الميزان سماه التكميل، وطبقات الشافعية وله سيرة صغيرة وغير ذلك وتلامذته كثيرون منهم ابن حجي وقال فيه: «احفظ من أدركناه لمتون الأحاديث وأعرفهم بجرحها ورجالها وصحيحها وسقيمها وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك وما أعرف أني اجتمعت به على كثرة ترددي إليه إلا واستفدت منه» وكانت له خصوصية بابن تيمية ومناضلة عنه توفي في شعبان ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية رحمه الله تعالى[4] وكان العيني صاحب عقد الجمان ينقل من تاريخه كثيراً وترجمه ترجمة واسعة. قال عنه عند ذكر مؤلفاته:

---

(١) الأنباء في حوادث هذه السنة ج ١ والدرر ج ١ ص ١٣٩، والشذرات ج ٦.
(٢) طبع سنة ١٣٥٢ هـ ولم يتم طبعه، صدر منه خمس مجلدات فقط.
(٣) طبع مرات وأثنى ابن تيمية على تفسيره هذا ثناءً عاطراً في فتاواه المطبوعة.
(٤) الشذرات ج ٦ والأنباء ج ١ حوادث هذه السنة.

«والتاريخ الذي فاق على سائر التواريخ وهو عمدة تاريخي (عقد الجمان) هذا الذي جمعته وزدت عليه من غيره...» اهـ.

وتاريخه عمدة ومعول المؤرخين بعده... وكنا نظن أن هذه العصور لم يكتب فيها أحد مفصلاً سوى مؤرخي العجم ولما رأينا تواريخ الذهبي وابن كثير والعيني والمقريزي وابن تغري بردي وأضرابهم قطعنا في السبق لمؤرخي العرب على غيرهم وهي مرجع سائر المؤرخين...

٣ ـ شمس الدين محمد الموصلي:

هو شمس الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان الموصلي الشافعي نزيل دمشق ولد على رأس القرن وكتب الخط المنسوب ونظم الشعر فأجاد وكان أكثر مقامه بطرابلس ثم قدم دمشق وولي خطابة يلبغا واتجر في الكتب فترك تركة هائلة تبلغ ثلاثة آلاف دينار قال ابن حبيب عالم علت رتبته الشهيرة، وبارع ظهرت في أفق المعارف شمسه المنيرة، وبليغ تثني على قلمه ألسنة الأدب، وخطيب تهتز لفصاحته أعواد المنابر من الطرب، كان ذا فضيلة مخطوبة وكتابة منسوبة، وجري في الفنون الأدبية، ومعرفة بالفقه واللغة العربية، وله نظم المنهاج ونظم المطالع وعدة من القصائد النبوية وهو القائل في الذهبي لما اجتمع به:

ما زلت بالطبع أهواكم وما ذكرت
صفاتكم قط إلا همت من طربي
ولا عجيب إذا ما ملت نحوكم
والناس بالطبع قد مالوا إلى الذهب(ي)

تصدر بالجامع الأموي وولي تدريس الفاضلية بعد ابن كثير. وقد أطنب العيني في ترجمته في المجلد الثالث والعشرين من عقد الجمان، وفي الأنباء في المجلد الأول منه.

حوادث سنة ٧٧٥ هـ - ١٣٧٣ م

غرق بغداد:

في هذه السنة كان الغرق ببغداد، زادت دجلة زيادة عظيمة وتهدمت دور كثيرة حتى قيل إن جملة ما تهدم من الدور ستون ألف دار وتلف للناس شيء كثير بسبب ذلك ويقال إنه لم يبق في بغداد عامر إلا قدر الثلث ودخل الماء في الجامع الكبير والمدارس وصارت السفن في الأزقة تنقل الناس من مكان إلى مكان ثم من تل إلى تل. ثم يصل الماء إليهم يغرقهم وجرت بسببه في بغداد خطوب كبيرة وجلا أكثر أهليها ثم عاد من عاد فصار لا يعرف محلته فضلاً عن داره...

وكانت قد زادت دجلة حتى اختلطت بالفرات فأرسلت إليها الأنهار والعيون والسحب من كل جهة وبقيت بغداد في وسط الماء كأنها قصعة في فلاة وصارت الرصافة ومشهد أحمد ومشهد أبي حنيفة وغيرهما من المشاهد والمحلات لا يوصل إليها إلا في المراكب كان قد انفتح من البستان الذي كان الخليفة اتخذه متنزهاً في وسط دوره فتحة على باب الأزج فتدافع أمراء بغداد في سدها ورمى ذلك بعضهم على بعض فكان الشيخ نجم الدين التستري تلك الأيام قد عزم على الحج في خمسين نفراً من الصوفية وقد هيأ من الزاد ما لا مزيد عليه فاستدعى خادمه وقال: أنفق على سد هذه الفتحة جميع ما معنا حتى الزاد ففعل، ويقال إنه صرف عليها عشرة آلاف دينار وبلغ السلطان أويس ذلك فاستعظم همته ووعد أنه يكافيه. ثم أكرى من الملاحين على حمل رحله ورجالته من بغداد إلى الحلة وكان سفر الناس أجمعين في تلك السنة في المراكب وخرجوا في خامس شوال فلم يمض لهم إلا خمسة أيام حتى هبت ريح عاصفة قصفت سور المدينة ثم تزايد الماء فانكسر الجسر وغرقت الدور حتى إن امرأة من الخواتين ركبت من مكانها إلى كوم من

الكيمان بألف دينار وتقاتل الناس وذهبت أموالهم وأصبح غالب الأغنياء فقراء ثم بعد عشرين يوماً نقصت دجلة وانقطع الماء فبقيت البلد كأنها سفينة غرقت. ثم نقص الماء فبقيت ملآنة بالموتى من الأهلين والدواب فجافت ونتنت وبقي الماء كأنه الصديد فوقع الفناء في الناس بأنواع من الأمراض من الاستسقاء وحمى الدق وغلت الأسعار. وكان أويس بتبريز، فلما بلغه الخبر غضب على نوابه فالتزم الوزير عن نائبه أن يعمر بغداد من خالص ماله بشرط أن يطلق للناس العراق ثلاث سنين للزراع والمقاتلة وأن لا يطالب أحداً بدين ولا بصداق ولا حجارة ولا بحق فقبل السلطان فشرع في ذلك ونادى من أراد عمارة بيته ليجيء يأخذ دراهم ويسكن بيته بالأجرة حتى يوفي ما اقترضه ثم يصير البيت له وأخذ في عمارة السوق والسور... هذا ما ذكره صاحب الأنباء...
وقد عين تاريخ الغياثي حادث الغرق ليلة السبت ٢٣ شوال من هذه السنة كما أن الخواجة سلمان الساوجي ذكر وقوعه في السنة المذكورة. ولكن غالب المؤرخين مشى على [illegible] في سنة ٧٧٦ هـ ويفسر هذا بوصول الخبر وفي تاريخ وفاة [illegible] الآتي ذكره يشعر بذلك أيضاً...

وفي حبيب السير ذكر الغرق في سنة ٧٧٦ هـ وقال: طغت مياه دجلة فصار الغرق ببغداد وتهدمت عماراتها العالية، وذهب الآلاف من دورها فصارت أنقاضاً، ومات خلق عظيم تحت الأنقاض... فكانت الخسارة عظيمة في النفوس والفادحة لا تقدر في الأموال وعادت بغداد خراباً بعد نضارتها وزهوها. وجاء في الدر المكنون أن الغرق كان في السنة المذكورة.

وهذا المصاب يذكرنا بما هو معروف لدى الأهلين وراسخ في أذهانهم من أن بغداد بين غرق وحرق...

ولاية بغداد:

جاء في الغياثي أنه كان السلطان بتبريز فوصل إليه خبر الغرق في بغداد فأسف على ذلك، فندب أمراءه وقال من لبغداد وعمارتها، وتكون خمس سنوات مطلقة من الخراج فقام الأمير إسماعيل ابن الأمير زكريا وقبل بذلك فسيره إليها، وأرسل معه الشهزاده الشيخ علي، وأنكر الأمير زكريا على ابنه الأمير إسماعيل فعله، وقال له سوف تهلك فيها، وكان كما قال فإن الأمير زكريا كان رجلاً عاقلاً لبيباً مجرباً للأمور. فتوجه الأمير إسماعيل بأموال بغداد فحفر نهرانها، وأجرى مياهها، وزرع أراضيها... وأسس عمارته المشهورة ببغداد ومدرسة وخانات وأسواقاً على جانب دجلة الشرقي، ولم يتفق له إتمام المدرسة.

هذا ما قاله الغياثي وكان الوالي السابق الخواجة سرور. وهذا قد توفي لما أصابه من ألم خراب بغداد كما نقل ذلك صاحب حبيب السير[1].

وفيات

١ ـ علي بن الحسن البغدادي:

توفي علي بن الحسن بن علي بن عبد الله بن الكلائي البغدادي الحنبلي المقرىء سبط الجمال عبد الحق ولد سنة ٦٩٨ وأجاز له الدمياطي ومسعود الحارثي وعلي بن عيسى بن القيم وابن الصواف وغيرهم. قال ابن حبيب كان كثير الخير والتلاوة وحج مراراً وجاور وخرج له ابن حبيب مشيخة[2].

---

(١) حبيب السير ج ٣ ص ٨٢.

(٢) الأنباء ج ١.

٢ - نائب بغداد:

توفي عبد الغفار بن محمد بن عبد الله المخزومي الشافعي رضي الدين. اشتغل بالفقه فمهر وولي نيابة بغداد ومات في ذي القعدة بعد الغرق من هذه السنة وكان حسن الخلق والخلق، ديناً، متواضعاً[1].

٣ - بدر الدين محمد الإربلي: (مدرس المدرسة المرجانية)

وتوفي بدر الدين محمد بن عبد الله الإربلي الأديب الشاعر المعمر ولد سنة ٦٧٠ هـ ومهر في الآداب ودرس بمدرسة مرجان ببغداد ومات في جمادى الآخرة[2].

٤ - إمام جامع بغداد:

توفي في هذه السنة محب الدين محمد بن عمر بن علي بن عمر الحسيني القزويني ثم البغدادي إمام جامع بغداد كان أبوه آخر المسندين بها[3] حدث عن أبيه وغيره واشتغل بعد أبيه على كبر إلى إن صار مفيد البلد مع اللطافة والكياسة وحسن الخلق وصار يسمع البخاري، وكل سنة يجتمع عنده خلق كثير. توفي عن نيف وستين سنة[4].

٥ - بدر الدين الجيلي السنجاري:

هو حسن بن شمس الدين محمد بن سرسق بن محمد بن عبد العزيز بن الشيخ عبد القادر الجيلي. كانت له حرمة ووجاهة في أنحاء سنجار وماردين مات أبوه سنة ٧٣٩ هـ وقد ذكر في هذا المجلد والصحيح في اسمه أنه شمس الدين محمد بن سرسق كما ذكر هنا،

---

(١) الأنباء ج ١.

(٢) الدرر الكامنة ج ٣، ص ٤٦٨ والأنباء ج ١ حوادث هذه السنة.

(٣) مرت ترجمته في هذا الكتاب.

(٤) الدرر الكامنة ج ٤ ص ١٠٩، والأنباء ج ١ حوادث هذه السنة.

ومات بدر الدين حسن المذكور عن سن عالية والحياليون في سنجار ينتسبون إليه ومنهم جماعة منتشرة في أنحاء بغداد وفي تاريخ اليزيدية بيان عن قرية الحيال[١].

حوادث سنة ٧٧٦ هـ ـ ١٣٧٤ م

وفاة السلطان:

في هذه السنة ٢ جمادى الأولى توفي السلطان بمرض السل (الدق) وكان قد لازمه من ٢٧ ربيع الآخر وقال في كتاب (سلمان ساوجي) إن موته كان من صداع لازمه من ٢٧ ربيع الآخر حتى توفي[٢].

ترجمته:

نرى ترجمته مبسوطة في حبيب السير وروضة الصفا وكلشن والغياثي والشذرات والأنباء إلا أن هذه الكتب تختلف في الكلام عنه بين سعة واختصار وقد مر بنا من الحوادث ما يبصر بترجمته سوى أننا نقول ما ذكره صاحب الدرر الكامنة بما نصه: «أويس بن حسين بن حسن بن آقبغا المغلي ثم السريري استقر في سلطنة بغداد بعد سنة ٧٦٠ ومات سنة ٧٧٦ هـ» اهـ غير صحيح والصحيح أنه ابن الشيخ حسن بن حسين ولعل هذا غلط ناسخ ولم نعرف هذه النسبة (السروي) وصحيحها الجلايري فاقتضى التنبيه[٣].

وكذا ما جاء في الضوء اللامع من أنه (السريسري) محرف عن الجلايري[٤].

---

(١) الأنباء ج ١ حوادث هذه السنة.

(٢) ص٦٢.

(٣) ص ٤١٩ ج ١.

(٤) الضوء اللامع ج ١ ص ٢٤٤.

والغياثي اعتمد الدرر في تاريخ سلطنته كما أشرنا إلى ما قاله في هذا الباب. وفي حبيب السير أنه ذو نصفة وحصل على السلطنة بالاستحقاق وله رأفة بالأهلين وحب زائد بهم وموصوف بالعدل والتفاته واهتمامه بأهل الفضل والعلم كبير جداً وكذا بالشعراء وهو عالي الهمة، جعل المملكة في أمن وأمان وراحة وطمأنينة كما أنه بما كان له من المآثر والميزة على غيره تمكن من ضبط العراق وآذربيجان ضبطاً تاماً فكانت إدارته قويمة... وعلى كل امتدت سلطته وسطوته إلى ما وراء حدود مملكة أبيه فاستطاع أن يضم إلى ما وصل إليه من أبيه ممالك أخرى ودامت سلطنته نحو عشرين سنة[1].

وجاء في روضة الصفا أنه مرض أواخر ربيع الآخر سنة ٧٧٦ هـ بمرض صعب وتوفي في التاريخ المذكور آنفاً، وقبل وفاته كان قد استوصى الأمراء السلطان فيمن يخلفه وكان قد جاء إليه أركان دولته والقاضي الشيخ علي والخواجة كججاني فحضروا عنده واستطلعوا رأيه فقال السلطنة بعدي للسلطان حسين وولاية بغداد للشيخ حسن أخيه الأكبر فأبدوا أنه لا يطيق الصبر على ذلك ولا يتحمل هذه فأحال الأمر إليهم فاتخذوا هذه الإشارة وسيلة للقبض على الشيخ حسن وتقييده ثم إن السلطان صار لا يقدر على الكلام وفي اليوم التالي في الليلة التي مات فيها السلطان قتل الشيخ حسن المذكور وجاء في عقد الجمان:

«توفي القاآن أويس بن الشيخ حسن بن حسين بن اقبغا بن ايلكان صاحب تبريز وبغداد وما أضيف إليهما. توفي في هذه السنة (سنة ٧٧٦ هـ) وكان رأى في المنام قبل موته أنه يموت يوم كذا وكذا فخلع نفسه من الملك وولى عوضه في تبريز وبغداد ولده الأكبر الشيخ حسين واعتزل هو وصار يتشاغل بالصيد ويكثر من الصلاة والعبادة إلى الوقت الذي عينه لهم فمات

---

(١) حبيب السير ج ٣ جزء أول ص ٨١.

فيه وكان ملكاً عادلاً حازماً ذا شهامة وصرامة منصوراً قليل الشر، كثير الخير للفقراء وأهل العلم وكان شاباً، سليماً، شجاعاً ورث ملك العراق وآذربيجان عن أبيه، وأقام في السلطنة تسع عشرة سنة ثم توفي في تبريز عن نيف وثلاثين سنة رحمه الله»[1]. وفي عجائب المقدور:

«كان الشيخ أويس من أهل الديانة والكيس، ملكاً عادلاً وإماماً شجاعاً فاضلاً، مؤيداً منصوراً، صارماً مشكوراً، قليل الشر، كثير البر، صورته كسيرته حسنة وكانت دولته تسع عشرة سنة، وكان محباً للفقراء، معتقداً للعلماء والكبراء، وكان قد أبصر في منامه، وقت موافاة حمامه، فاستعد لحلول فوته، ورصد نزول موته، وخلع من الملك يده، وولاه حسيناً ولده.. ونبذ دانيه ودنياه، وأقبل على طاعة مولاه واستعطفه إلى الرضى، والعفو عما مضى، ولازم صلاته وصيامه، وزكاته وقيامه، ولا يزال يصلي ويصوم، حتى أدركه ذلك الوقت المعلوم، فأظهر سره المصون، وتلا إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، فدرج على هذه الطريقة الحسنة، وقد بلغ نيفاً وثلاثين سنة...» اهـ[2] وقال في أنباء الغمر في أبناء العمر:

«كان محباً في الخير والعدل، شهماً، شجاعاً، عادلاً، خيراً، دامت ولايته ١٩ سنة، وقد خطب له بمكة، راسل عجلان بن رميثة صاحب مكة بمال جليل، وقناديل ذهب وفضة للكعبة، وخطب باسمه عدة سنين، عاش ٣٧ سنة (كذا) قيل إنه رأى في النوم أنه يموت في وقت كذا فخلع نفسه من الملك وقرر ولده حسين بن أويس، وصار يتشاغل بالصيد ويكثر العبادة فاتفق موته في ذلك الوقت بعينه، وكتب إلى المؤرخ حسن بن إبراهيم القيسي الحصيني أنه كان استدعى ولده لذلك فاتفق موته قبل وصوله إلى بغداد.. وله من الأولاد حسن وحسين

---

(١) عقد الجمان ج ٢٣.

(٢) عجائب المقدور ص ٤٦.

وأحمد وعلي وغيرهم، وأكبرهم حسن، اهـ[1] ومثله في تاريخ الغياثي وفي الشذرات ما يقرب من هذا... وقد رثاه الخواجة سلمان الساوجي بقصيدة فارسية... وكان في أيامه قد مدحه جملة من الشعراء أمثال الخواجة سلمان المذكور وشرف رامي والخواجة محمد عصار، وعبيد زاكاني[2]، وناصر التجاري وغيرهم من فصحاء عصره... ومن العلماء شمس منشي بن هندوشاه النخچواني[3] وغيرهم ممن مضى ذكرهم... وهؤلاء من أدباء العجم وعلمائهم..

وفي أيامه حدثت عمارات مهمة منها ما لا يزال باقياً إلى اليوم، وأصاب الناس رغد في العيش ورفاه وراحة لولا أن تنغص في بعض الحوادث المارة...

النقود في أيامه:

إن النقود المضروبة في أيام السلطان أويس والموجودة اليوم أكثر مما هو معروف عن عهد والده بينها الفضية والذهبية... ومنها ما ضرب سنة ٧٦٢ هـ في بغداد منقوش في أحد وجهيها (لا إله إلا الله محمد رسول الله) داخل دائرة بخط كوفي، وشكل مربع كتب في أضلاعه (أبو بكر، عمر، عثمان، علي) وفي الوجه الآخر سنة الضرب وأنه ضرب في بغداد بصورة مربعات في وسطها السلطان الأعظم، أويس بهادر، خلد الله ملكه في ثلاثة أسطر.

---

(١) المجلد الأول في حوادث هذه السنة.

(٢) عبيد هذا توفي سنة ٧٧٢ هـ وهو الخواجة نظام الدين عبيد الله القزويني وينمت إلى أصل عربي وترجمته في تذكرة الشعراء لدولتشاه السمرقندي.

(٣) صاحب صحاح العجم في اللغة الفارسية قدمه للخواجة غياث الدين محمد، وفي أيام السلطان أويس ألف «دستور الكاتب في تعيين المراتب» في قواعد الإنشاء وأصول الكتابة كان أمره الخواجة غياث الدين به فلم يتم في عهده. ووالده صاحب تاريخ «تجارب السلف» ترجم به تاريخ الفخري المسمى «منية الفضلاء» سنة ٧٢٤ هـ.

وباقي النقود منها ما هو مضروب في السنة المذكورة أيضاً في بغداد، والشكل واحد إلا أن كتابته لا تختلف كثيراً عن سابقتها، وهكذا يقال عما ضرب في البصرة في السنة المذكورة، وفي الحلة وفي تبريز وفي همذان وقد ضربت نقود باسمه أيضاً في شيراز ولا تختلف عن سابقاتها إلا في أوصاف السلطان والدعاء له ومن النقود ما هو مضروب سنة ٧٧٠ هـ، عثر على قطعة ذهبية منها، وأخرى مضروبة سنة ٧٦٢ هـ وثالثة لم يتعين تاريخها وكلها من ضرب بغداد. وفي هذه كتب اسم السلطان بحروف مغولية ـ أو بغورية[١]...

السلطان جلال الدين حسين بهادرخان

جلوسه:

السلطان جلال الدين حسين بهادرخان هو ابن السلطان أويس. ولي باتفاق من الأمراء وأركان الدولة، وجلس على سرير السلطنة في تبريز وكان آنئذ شاباً.. هنأه الخواجة سلمان الساوجي بقصيدة فارسية في غاية البلاغة... وأول ما قام به من الأمور أن قرر وضع والده، وأبقى الحالة كما كانت. نقل ذلك صاحب حبيب السير[٢]. وقد مر الكلام عن العهد له بالسلطنة من أبيه السلطان أويس... ولكن صاحب الأنباء قال: «أكبر أولاده حسن، قتله الأمراء خشية من شره وسلطنوا حسيناً لضعفه فتشاغل باللهو واللعب، يخطف النساء من الأعراس وغيرها فقتلوه أيضاً...» اهـ[٣].

---

(١) مسكوكات قديمة إسلامية قتالوغي قسم ثالث لمحمد مبارك ص ١٩٤ ـ ١٩٩ ومسكوكات إسلامية تقويمي لأحمد ضيا ص ٩٧ ـ ٩٨.

(٢) حبيب السير ج ٣.

(٣) الأنباء ج ١ حوادث هذه السنة.

ضرب النقود باسمه:

وفي هذه السنة ضربت النقود باسمه «جلال الدين حسين بهادرخان». وعثر له على نقود أخرى تاريخها سنة ٧٨٣ هـ ضربت في بغداد منها سكة ذهبية موجودة في المتحفة البريطانية وباقي النقود فضية لا يقرأ تاريخها وهي من مضروبات بغداد، وبعضها لا يعرف محل ضربه لملس فيها[١]...

وفيات

١ ـ إبراهيم بن عبد الله البغدادي:

نزيل دمشق، وهو شيخ زاوية البدرية تجاه الأسدية ظاهر دمشق، وكان خيراً؛ معمراً، صالحاً، مثابراً على الخير. مات في ربيع الآخر[٢].

٢ ـ جمال الدين السرمري:

توفي في هذه السنة جمال الدين أبو المظفر يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد بن علي بن إبراهيم العبادي ثم العقيلي السرمري الحنبلي الشيخ العالم المفنن الحافظ ولد في رجب سنة ست وتسعين وستمائة وتفقه ببغداد على الشيخ صفي الدين عبد المؤمن وغيره ثم رحل إلى دمشق وتوفي بها ومن تصانيفه نظم مختصر ابن رزين في الفقه ونظم الغريب في علوم الحديث لأبيه نحو من ألف بيت، ونشر القلب الميت بفضل أهل البيت، وغيث السحابة في فضل الصحابة، والأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، وعقود اللآلي في الأمالي، وعجائب الاتفاق، والثمانيات.

قال ابن حجي رأيت بخطه ما صورته مؤلفاتي تزيد على مائة مصنف كبار وصغار في بضعة وعشرين علماً ذكرتها على حرف المعجم

---

(١) مسكوكات إسلامية قتالني قسم الثالث ص ٢٠٠ ـ ٢٠١.

(٢) الأنباء ج ١.

في الروضة المورقة في الترجمة المونقة وقد أخذ عنه ابن رافع مع تقدمه عليه وحدث عنه وذكره الذهبي في المعجم المختص وأثنى عليه توفي في جمادى الأولى[1].

٣ ـ الأمير حيار:

وهو الأمير حيار بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة... أمير آل فضل توفي في هذه السنة (سنة ٧٧٦ هـ) بنواحي سلمية عن بضع وستين سنة وتولى عوضه أخوه الأمير قارا[2] وفي الأنباء: استقر ولده بعده[3].

حوادث سنة ٧٧٧ هـ ـ ١٣٧٥ م

قصد السلطان بيرام بيك وقرا محمد التركماني:

في موسم الربيع من هذه السنة غزا السلطان نحو الخواجة بيرام[4] بيك وقرا محمد التركماني فأرادهما ليستولي على بعض القلاع التي دخلت في تصرفهما ثم إنه جرت مفاوضات في الصلح فتم على أن أمراء التركمان يقدمون له تقدمة في عشرين ألفاً من الغنم كل سنة فقبل بذلك وعاد[5].

ظهور دولة قرا قوينلو والاستيلاء على الموصل:

جاء في تقويم التواريخ أن دولة قرا قوينلو ظهرت في هذا التاريخ باستيلاء الخواجة بيرام على الموصل... وهؤلاء كانوا على عهد سلاطين

---

(١) الشذرات ج ٦.
(٢) عقد الجمان ج ٢٣.
(٣) أنباء الغمر ج ١.
(٤) في الدر المكنون ورد لفظ بهرام بك وهؤلاء أمراء قرا قوينلو.
(٥) حبيب السير.

المغول أمراء ألوس[1] (قبيلة) فلما مات السلطان أويس رأى الخواجة بيرام بيك في نفسه قوة فتغلب واستولى على الموصل بعد حصار طال مدة أربعة أشهر فأخذها بالأمان وتملك سنجار وبعض المواطن في آذربيجان...

حروب السلطان ـ شاه شجاع:

في هذه السنة سار شاه شجاع ابن الأمير محمد بن مظفر بجيش قوي إلى أنحاء آذربيجان فالتقى مع السلطان حسين فوقعت حرب دامية، وفيها انهزم السلطان حسين، وبقي شاه شجاع نحو أربعة أشهر في تبريز بنشاط وطمأنينة... ثم سمع أن شاه يحيى عزم على أخذ شيراز فاضطر أن يترك تبريز، ويسرع في العودة... وحينئذ نهض السلطان من بغداد وذهب توّاً

---

(١) هم أمراء القبائل الذين هم أمراء جيش والألوس معناه القبيلة وهم يقودون قبائلهم أثناء الحروب وهذه القبائل كثيرة و[illegible] مكانتها وتوضيحاً لذلك نقل الصديق الفاضل مصطفى جواد النص التالي عن مسالك الأبصار:

«قال ابن فضل الله العمري: حدثني الفاضل نظام الدين أبو الفضائل يحيى ابن الحكيم الطياري... [illegible] والعساكر فإلى كبير أمراء الألوس وهو المسمى بكلاري بك أي أمير الأمراء كما كان قطلو (قطلغ) شاه مع السلطانين محمود غازان وأخيه محمد خدابنده وجوبان مع ولده السلطان بوسعيد بهادرخان و (مثل) هذا القائم الآن الشيخ حسن بن حسين بن آقبغا مع قانه السلطان محمد بن طشتمر بن استمر بن عنبرجي، وأمراء الألوس أربعة: (بكلاري بك)(*) وثلاثة أخرى ويسمى هؤلاء الأربعة (أمراء القول)(**) ويشترط أن يكون هؤلاء هم الذين تكتب أسماؤهم في البراليغ والفرمانات بعد اسم السلطان ثم اسم الوزير بعدهم... وكل ذي سيف لا يخرج أمره عن القائم بهذه الوظيفة التي هي إمرة أمراء الألوس. وكل ذي قلم ومنصب شرعي لا يخرج عن الوزارة. وطبقات الأمراء أعلاها النوين وهو أمير عشرة آلاف ثم أمير ألف، ثم أمير مائة، ثم أمير عشرة. هذه طبقات رتبهم، نقص فيها ولا مزيد عليها...» اهـ.

(*) كان ولا يزال إلى مدة قريبة يسمى في العهد العثماني (بكلربكي) وتعني أمير الأمراء.

(**) هم الذين يسمى كل منهم عند الترك العثمانيين (قول قوماندانی).

إلى تبريز، وتمكن من إدارتها... هذا ما ذكره صاحب حبيب السير[1].

وفي الأنباء ذكر هذا الحادث في السنة الماضية، وأوضح أن شاه شجاع وثب على تبريز بعد موت السلطان أويس وملكها، وأساء السيرة، فراسل أهل تبريز السلطان حسيناً فتجهز إليه في العساكر، فلما بلغ ذلك شاه شجاع تقهقر عن تبريز ودخلها السلطان ومن معه بغير قتال[2]...

وفي تاريخ الغياثي أن شاه شجاع سار من شيراز إلى تبريز سنة ٧٨١ هـ (وفي موطن آخر منه سنة ٧٨٠ هـ) وبعد ثلاثة أشهر انهزم شاه شجاع وعاد السلطان حسين إلى تبريز[3]. وفي هذا مخالفة للتواريخ الأخرى المعتبرة، والمؤرخ لم يقطع في التاريخ الصحيح. وأما تاريخ محمود كيتي المعاصر فإنه يذكر الوقعة موافقاً لما جاء في حبيب السير. وذلك أن شاه شجاع كان قد تأهب للهجوم على تبريز استفادة من وفاة السلطان أويس واغتناماً للفرصة ولكن لم يحصل ذلك بهذه السرعة...

آل مظفر:

هؤلاء سبقت بعض الوقائع منهم... وأمراؤهم سبعة كان قد ابتدأ حكمهم سنة ٧١٨ هـ ودام إلى ١٠ رجب سنة ٧٩٥ هـ؛ ومدة إمارتهم ٧٧ سنة سواء في فارس، أو في عراق العجم وكرمان وباميان وآذربيجان... ولهم اتصال وثيق وعلاقات مهمة بالعراق وكثير من حوادثه... والمعول عليه من تواريخهم تاريخ معين الدين اليزدي المتوفى سنة ٧٨٩ هـ[4] ألف

---

(١) حبيب السير ج ٣ ص ٨٢.

(٢) الأنباء ج ١.

(٣) تاريخ الغياثي ص ١٨٦ و ٢١٥.

(٤) كان من المحدثين العلماء ومن فضلاء عهد الأمير مبارز الدين محمد وابنه شاه شجاع، اختاره الأمير مبارز الدين في سنة ٧٥٥ هـ للتدريس في دار السيادة في ميبد وكان واسطة عقد الصلح بين الأخوين شاه شجاع وشاه محمود...

تاريخاً سماه (مواهب إلّهي) أو المواهب الإلّهية... وفي كشف الظنون ألفه سنة ٧٥٧ هـ والصحيح أن حوادثه تمتد إلى سنة ٧٦٦ هـ. كان أتمه في أواخر أيام مبارز الدين. ولما مات قدمه إلى شاه شجاع في السنة التالية وجعله باسمه وأضاف إليه وقائع تلك السنة..

وهذا من التواريخ الأساسية للبحث عن هذه الحكومة.. إلا أنه لا يفترق في أسلوبه عن تاريخ وصاف والعتبي فهو مملوء من الاستعارات العجيبة والعبارات الغريبة، والإطراء الزائد، والمدح وألفاظ التفخيم، فطفح من الإغراق في النعوت بحيث ضاعت الفائدة أو كادت... وباقي المؤرخين المعاصرين وإن كان قد تعرض لذكرهم مثل صاحب تاريخ گزيده، أو ابن بطوطة... إلا أنهم لم يستوعبوا أخبارهم؛ ولا وسعوا في البحث عن تاريخ حكومتهم وإدارتهم. وإنما كان ذلك نصيب (محمود كيتي) فإنه من المعاصرين عاش معهم فدون ما يشاهد، وسجل ما سمع من الثقات، واستقصى أحوالهم؛ وحرر وقائعهم من أولها إلى آخرها وأبدى عن ماضيهم الكفاية واستمر في البيان حتى انقراضهم... كتبه سنة ٨٢٣ هـ وسهل به ما جاء مغلقاً من كتاب المواهب الإلّهية المذكور، فلم يراع ما راعاه؛ وإنما استعمل البساطة، وجعل همه الوقائع وإيضاحها... أضافه مؤلفه إلى تاريخ گزيده إلا أن النسخة الموجودة عندي من تاريخ گزيد، ناقصة الأول والآخر وأما رسالة محمود كيتي فهي كاملة وصحيحة لم يمسها نقص والمطبوع من تاريخ كزيده لا يعتمد عليه لوجود أغلاط كثيرة فيه... ونسختي الخطية نفيسة جداً وجيدة الورق والخط، وهذه الحكومة مستوفاة المطالب هناك ولا يطمئن القلب لغيرها، وصاحبها معاصر القوم وكان أحد موظفيهم... وما جاء في غيرها فيتحتم التبصر فيه... ومن الأسف أننا لم نطلع على أحوال المؤلف أكثر مما بينه في مقدمة كتابه والمفهوم منها أنه كان أباً عن جد في خدمتهم، وأنه قص ما شاهد، أو علم من الثقات الأكابر كتبها ـ كما

قال ـ على نمط منبسط وطراز منشرح، فزادت صفحة في التاريخ، وأضافت ورقة إلى حوادث الأيام... فصارت خاطرة في دفاتر الأيام والليالي...

ومن الأمثلة لذلك أنه جاء في تقويم التواريخ أن هذه الحكومة ظهرت عام ٧٣٣ فنرى الاختلاف واضحاً بين ما قدمناه وبين ما عينه كاتب چلبي، وهذا يفسر في تولي الإدارة والدخول في معمعتها أو بالتعبير الأصح الانتساب إلى حكومة المغول وتعهد الوظائف بها... كان في ذلك التاريخ وأن الاستقلال في الحكومة كان في التاريخ الذي بينه كاتب چلبي فلا تباين بين النصين كما يفهم من خلال السطور... ولا ننسى أن ابن خلدون والغياثي وغيرهما قد تكلموا عن هذه الحكومة إلا أننا قصدنا الإشارة إلى المراجع المهمة عنها... لمن أراد التبسط في الموضوع وقد بينا في المجلد الأول بعض الكلمات عنهم بين الحكومات المتغلبة أيام المغول... وهذا زبدة تعين للقارىء حالتهم..

أولهم الأمير مبارز الدين محمد[1] هو ابن مظفر بن المنصور ابن الحاجي وجدهم الأعلى من أصل عربي جاء إلى خراسان أيام الفتح وتوطن الحاجي منهم يزد وكان لهذا ثلاثة أولاد أبو بكر ومحمد ومنصور وإن أبا بكر كان من ملازمي علاء الدولة أتابك يزد فاستصحبه معه حينما ذهب مع هلاكو لفتح بغداد وسار بعد تسخير بغداد إلى حدود مصر وقتل هناك في بعض الحروب وأن محمداً قد بقي ملازماً الأتابك في يزد فتوفي هناك ولم يعقب وإن منصوراً ابن الحاجي كان في خدمة والده في خطة ميبد يزد. ولما مات والده صار مكانه. وكان له ثلاثة أولاد مبارز الدين وزين الدين علي وشرف الدين مظفر. أما علي فلم يعقب. وشرف الدين مظفر نال التفاتاً من السلطان أرغون وبعد أن قضى سنين

---

(١) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٦٠.

كثيرة في مواطن أخرى عاد إلى يزد... ولما توفي أرغون وخلفه كيخاتو خان حصل على مكانة كبرى لديه وتولى أمر إدارة الجيش المرسل إلى الأتابك أفراسياب بن يوسف شاه في لرستان فقام بالأمر ولمعرفته السابقة تمكن من أن يحصل على مطلوب السلطان دون حرب أو سفك دماء. وفي سنة ٦٩٤ التحق بالسلطان غازان وولي عنده موقعاً رفيعاً ومكنه بما يمكن من الأمراء وفي أواسط جمادى الآخرة سنة ٧٠٠ هـ ولد له ابنه مبارز الدين محمد. ثم توفي السلطان غازان وفي سنة ٧٠٣ هـ ولي السلطان الجايتو فزاد هذا في رفعة الأمير مظفر وجعله على محافظة الطرق والسابلة بفارس والحاصل تقلب في مناصب وأبدى من المهارة في القيام بمهام جلى إلى أن توفي بتاريخ ١٣ ذي القعدة سنة ٧١٣ هـ وفي كل أيامه الأخيرة كان يصحبه ابنه مبارز الدين محمد فيمرنه على الأسفار والتدابير التي يجب أن يقوم بها... ونقل بعد وفاته إلى ميبد ودفن في مدرسة كان عمّرها هناك وهي المدرسة (المظفرية).

وتبتدىء حكومتهم وشوكتهم العظيمة أيام مبارز الدين محمد الذي خلف والده ولما توفي والده كان له من العمر ١٣ سنة وبعد أربع سنوات أي عام ٧١٧ هـ أيام السلطان أبي سعيد نال توجهاً من السلطان وموقعاً مهماً فحصل على حكومة تلك الأنحاء ومحافظة الطرق هناك... وهذا هو طليعة تاريخ ظهورهم الذي ذكره المؤرخ (محمود كيتي)... ومن أكبر المسهلات لتوطيد الحكم هناك أنه أبدى تفادياً في القضاء على حكومة الأتابكة أيام حاجي شاه ابن الأتابك يوسف شاه فلم يبق للأتابكة قدرة في مقاومته فكان عضد الأمير كيخسرو فاضطروا إلى الفرار وكانت عاقبة أمرهم أن انقرضوا...

وفي شوال سنة ٧١٨ هـ تقدم للسلطان أبي سعيد وعرض خدمته عليه فأنعم عليه السلطان بحكومة يزد وفوض إليه أمر المحافظة على الطرقات... وهذا مبدأ الإمارة... ولا مجال لاستيعاب كل ما قام به

الأمير مبارز الدين محمد وفي سنة ٧٢٥ هـ ولد له الشاه شرف الدين مظفر. وفي سنة ٧٢٩ هـ تزوج خان قتلغ بنت السلطان قطب الدين محمد ابن الأمير حسام الدين ثم نقلها إلى تبريز في السنة المذكورة أيام وزارة الخواجة شهاب الدين بن عز الدين، وحصل على المكانة المطلوبة بسبب العلاقة السببية مع المغول...

وفي يوم الأربعاء ٢٢ جمادى الثانية سنة ٧٣٣ هـ ولد جلال الدين شاه شجاع وفي ١٤ المحرم سنة ٧٤٤ هـ ولد نصرة الدين يحيى ولم يلبث المترجم أن نال الإمارة...

وفي خلال هذه الأيام أو إثر وفاة السلطان أبي سعيد عام ٧٣٦ هـ كانت المقارعات والحروب بين المغول وأمرائهم طاحنة فكان همّ هؤلاء مصروفاً إلى تقوية السلطة لما في يد كل منهم وتوسيع نطاقها... ودامت الحروب بين هؤلاء وبين الأمير الشيخ أبي إسحق[1] وغيره فصارت كل إمارة تجادل عن نفسها وكان ما كان مما مرت الإشارة إليه..

وفي عام ٧٥٥ هـ بعد أن افتتح شيراز[2] والأنحاء الأخرى المجاورة لها بايع الخليفة أمير المؤمنين المعتضد بالله أبا بكر العباسي[3] وقرأ الخطبة باسمه وبايعه علماء فارس ويزد وكان هو نائبه ولم يقفوا عند حدود هذه

---

(١) راجع ابن بطوطة عن أبي إسحق أمير شيراز.

(٢) قال ابن خلدون: «طمع مبارز الدين محمد بن مظفر في الاستيلاء على فارس فاتخذ وسيلة ما قام به أبو إسحق أمير شيخ من قتل شريف من أعيان شيراز فنادى بالنكير عليه ليتوصل إلى غرض انتزاع الملك من يده فسار في جموعه إلى شيراز فاستولى عليها... وما زال يطارده حتى قبض عليه واقتص منه». اهـ ملخصاً.

(٣) قال الغياثي لما لم يكن له قدرة الدعوى بالسلطنة أتى بشخص يسمى أبا بكر بن أبي الربيع وزعم أنه من بني العباس ولقبه المعتضد بالله وجعل نفسه نائباً عنه وتلقب بمناصر أمير المؤمنين ثم بعد ذلك بمدة قبض عليه ولده شاه شجاع وكحله وسجنه بقلعة سرمق من أعمال شيراز سنة ٧٦٠ هـ.

الأقطار والاكتفاء بفتوحها وإنما مضوا إلى لرستان لاكتساحها وعزموا على القضاء على إمارتها في أواخر المحرم سنة ٧٥٧هـ فتمكنوا من ذلك في أواخر صفر للسنة المذكورة وقد أفردنا رسالة خاصة في (إمارة اللر) فلا مجال للخوض الآن بشأنها وهكذا فتحت أصفهان وقضي على المناوئين لحد أن تقدموا نحو البلاد الأخرى واكتسحوها ثم استعيدت بالوجه المذكور آنفاً ثم إن مبارز الدين محمد ملك ابنه محموداً أصبهان وابنه شجاعاً شيراز وكرمان وفي سنة ٧٦٠ هـ نال الإمارة ابنه شاه شجاع وتوفي الأمير مبارز الدين في آخر ربيع الآخر لسنة ٧٦٥ هـ ودفن في المدرسة المظفرية في ميبد يزد عند والده وسيأتي الكلام على حكومة شاه شجاع في حادث وفاته عام ٧٨٧ هـ وعلى كل حال التفصيل في (تاريخ آل مظفر) لمحمود كيتي المذكور. ومن أهم ما فيه تاريخ العلاقات والسياسة التي كانت تجري مع المجاورين وهي مبسوطة في التاريخ المذكور عند كلامه على النزاع القائم بين شاه شجاع وشاه محمود والوقائع بينهما... ووفاة شاه محمود في ١٤ شوال سنة ٧٧[illegible] هـ والتأهب للهجوم على تبريز واغتنام فرصة وفاة السلطان أويس مما لا مجال لتفصيله[1]...

---

(١) كتب المؤلف في ملحق الجزء الرابع استدراكاً ما يلي نصه:

شاه شجاع من آل مظفر:

جاء في ص ١٦٣ أنه في عام ٧٥٥ هـ... بايع ـ مبارز الدين محمد ـ الخليفة أمير المؤمنين المعتضد بالله، وقرأ الخطبة باسمه وبايعه علماء فارس ويزد...» اهـ.

وفي هامش ص ١٦٣ نقلاً عن الغياثي ذكر ما يخالف ذلك، وكان غلطاً ومقتضباً، فلم يأت مبارزاً الدين بشخص وإنما بايع الخليفة العباسي بمصر. كما أن قوله (ثم قبض عليه ولده شجاع وكحله) مقتضب. وهنا المقصود أن شاه شجاع قبض على والده فسمله وكحله. وسياق الكلام أنه قبض على الخليفة المصطنع... وهذا الأخير ليس بصواب.

وفي نقود هذه الدولة جاء ذكر المعتضد، والسلطان شاه شجاع إلا أنه لم يعين فيها تاريخ ضربها لما فيها من ملس واتصل أمراء آخرون بالخلافة تقوية لنفوذهم=

وفيات

١ ـ الخواجة سلمان ساوجي:

في يوم الثلاثاء ١٣ صفر من هذه السنة توفي الخواجة جمال الدين سلمان الساوجي، وكان شاعراً معروفاً في الفارسية، وله في أشعاره علاقات كثيرة وكبيرة في حوادث العراق المهمة كما أشير إلى ذلك.. وفي الغالب اشتهر اسمه مقروناً باسم السلطان أويس. فنرى له في تذاكر الشعراء والأدباء مباحث مهمة... وكانت الثقافة الغالبة للأمراء وبلاط الحكومة مشبعة بالآداب الفارسية، وأن السلطان أويس كان قد تخرج على الخواجة سلمان، ولازمه أيام سلطنته... فهو شاعر الحكومة...

ـ وتثبيته... وفي (تاريخ محمود كتبي) عقد فصلاً في بيعة الأمير مبارز الدين وأنه بايع وكيل الخليفة أمير المؤمنين المعتضد بالله أبي بكر سنة ٧٥٥ هـ، وقرئت الخطبة باسمه وكانت عطلت من تاريخ ظهور المغول فمضى على ذلك نحو مائة سنة إلى أن قال وفي سنة ٧٧٠هـ بايع الشاه شجاع ومن معه الخليفة القاهر بالله محمد بن أبي الربيع. وفي مدة البيعة كتب العلماء محاضر ورسالات... والقاهر بالله هو المذكور بلقب (المتوكل على الله) المذكور في قائمة الخلفاء. وجاء في تاريخ إيران للأستاذ عباس اقبال أنه القاهر بالله تابع تاريخ محمود كيتي كما جرى على ذلك الإيرانيون في تواريخهم. وفي كتاب (قانون السياسة ودستور الرياسة) المقدم إلى السلطان شاه شجاع نعته بأنه كفيل أمور المسلمين ومعين أمير المؤمنين.

وقع في مثل غلط الغياثي الأستاذ أحمد الكسروي فإنه وجد نقداً نشر عنه في جريدة پرچم جاء فيه ذكر (الخليفة) في الأعلى من صفحة النقد و (أمير المؤمنين) في الأدنى. وما بينهما (السلطان شاه شجاع) فظن أن شاه شجاع في هذا النقد أعلن الخلافة لنفسه وقرأه (الخليفة السلطان شاه شجاع)، وهذا يدل على أنه لم يقف على مجرى (كتابات النقود)، فتبجح كأنه اكتشف اكتشافاً مهماً. ولو أنه راجع النقود والتواريخ لدولة آل مظفر لما قال بهذا ولتبين له وجه الغلط.

هذا. وجاء في تحقيقات الأستاذ الأمير جعفر الحسني أن الشاه شجاع توفي في ٢٤ شعبان سنة ٧٨٦ هـ.

وأهملت الآداب العربية وبقيت محصورة في الشعب... فعاش الكثير من علمائنا في الأقطار الأخرى وإن عدد العلماء وكثرتهم المستفادة من تاريخ وفياتهم وإن كان لا يستهان بها إلا أن الثقافة الفارسية رجحت عليها... والملحوظ أن الفضل بهذا العصر في أن يهملوا وتترك لهم مؤسساتهم العلمية ودور ثقافتهم دون أن يمسوها بسوء لينالوا حظاً منها لأنفسهم ويتعهدوا تربيتهم بذاتهم.. لا أن يكونوا من رجال الدولة، أو أعضائها الفعالة... إلا أن من رغب فما عليه إلا أن يميل بكليته إلى تحصيل لغة القوم، والأخذ بنصيب وافر من آدابهم لينال بعض الوظائف، أو يأمن الغوائل... وعلى كل تعينت ثقافة الحكومة في دراسة الآداب الفارسية بترجيح... والمترجم ركن عظيم من أركانها...

اشتهر في هذا العصر شعراء عديدون من العجم ونالوا شهرة فائقة، وحاول بعضهم أن يجاري الفردوسي في شهنامته... وراجت سوق الأدب الفارسي وأثر تأثيره العظيم حتى في العراق قطر العرب ومركز الثقافة العربية... ومن البواعث المهمة الأمراء والسلاطين كما تقدم فقد كانت تربيتهم إيرانية والموظفون إيرانيون فتأثرت الآداب بهذه الطوابع وإن كانت الحكومة إسلامية، والديانة هي السائدة وإنما سار الناس على نهج ملوكهم وأمرائهم...

ولا نمضي بعيداً، وبصورة عامة دون أن نتناول حياة المترجم فقد كان من شعراء الوزير غياث الدين محمد ابن الخواجة رشيد الدين فضل الله، ثم صار من شعراء الشيخ حسن وابنه السلطان أويس وابنه السلطان حسين. وهو من أهالي ساوة من أسرة لها مقامها الرفيع هناك...

والمترجم له الوقوف التام على كتابة السياقة (نوع خط) ولكنه ذاع صيته في الشعر وتقرب من السلاطين وصار الشعراء إذا أرادوا أن يقدموا قصيدة يتقربون إليه في تقديمها... والأدباء الإيرانيون لم يحلوه في

المنزلة العليا الفائقة من الشعر ولا الفذة فيه وإن كان قد قال فيه علاء الدولة السمناني ما مؤداه «رمان سمنان، وشعر سلمان، ولا مثيل لهما في سائر البلدان».

والخواجة جاء بغداد ولازم سلاطين الجلايرية ومدحهم، ومدح دلشاد خاتون، أنطقه ما رأى وشاهد من أبهة وجلال ونضارة.. فرأى منهم ومنها كل إعزاز وإكرام كما أنه مدح وزراء هذه الدولة وأمراءها وولاة بغداد وألهمه المحيط ما ألهمه من وحي الطبيعة وجمال المناظر... وإن اتصاله هذا وملازمته لهذه الحكومة دعته أن يقول:

من از يمن اقبال اين خاندان	كرفتم جهان را بتيغ زبان
من از خاوران تادر باختر	زخور شيدم امروز مشهورتر

ولم يكن الموما إليه وحيداً في شعره وإنما كان هناك من الشعراء من مر البيان عنهم في ترجمة السلطان أويس وكلهم أصحاب تراجم حافلة... وكان أمثال هؤلاء يستمرون فيبدعوا في آدابهم... ولكن الفارسية احتفظت بهم واقتبست مقداراً جماً من أدباء العرب...؟؟

ومؤلفاته:

١ ـ ديوانه. ومنه نسخ مخطوطة في إيران ذكرها الفاضل رشيد ياسمي في كتابه (سلمان ساوجي)؛ وطبع في الهند باسم «كليات سلمان ساوجي». وهذا خير وثيقة تعرب عن أخبار بغداد لولا أنه يتعرض لمدح الشخص أكثر من بيان ماهية الوقائع وحالة القطر... وهو صفحة كاشفة لهذا العصر، ولا يستفاد من شعره أكثر مما يفهم من ظاهره فليس فيه إشارة، أو دقة... وغالب ما فيه مدح السلاطين الجلايرية والوزير شمس الدين زكريا... والقسم الأخير منه غزل...

٢ ـ فراقنامه. وقد مضى الكلام عليها.

٣ ـ ساقي نامه.

٤ ـ جمشيد وخورشيد. مثنوي نظمه سنة ٧٦٣ هـ باسم السلطان أويس ويدعي أنه لم يقلد فيه غيره وإنما هو من مبتكراته...

٥ ـ قصيدة جامعة لأنواع الصنائع الأدبية والبحور... مدح بها الخواجة غياث الدين محمداً الوزير. وفي مقدمتها يقول في مدحه:

ما إن مدحت محمداً بمقالتي   لكن مدحت مقالتي بمحمد

طبعت على الحجر سنة ١٣١٣ هـ في مجموعة تحتوي رباعيات الخيام ورباعيات بابا طاهر ورباعيات أبي سعيد ورباعيات الخواجة عبد الله الأنصاري.

والحاصل قد أطنب رشيد ياسمي في إيضاح حياته وعلاقته بالجلايرية وغيرهم في كتابه المسمى (سلمان ساوجي)، وللمترجم معارضاتٌ لظهير الدين الفاريابي في قصائده العديدة، وغالب ذلك باقتراح دلشاد... ورباعياته كثيرة؛ وله القدم المعلى في الغزل، ويتهم في دلشاد بغزله وأنه يقصدها في غالبه... وأوصافه تنطبق عليها، أو على دوندي...

أكتفي بهذا ولا محل للإطالة[1].

٢ ـ محمد بن علي الواسطي:

في رجب هذه السنة توفي بمصر، وهو واعظ أديب، وأحد الصوفية في البيرسية وله عدة مقاطيع أوردها صاحب الدرر الكامنة[2].

---

(١) ذكره دولتشاه السمرقندي ص ١٧١، وحبيب السير ج ٣ واتشكده ص ٣٢٣.

(٢) ج ٤ ص ٥٣.

حوادث سنة ٧٧٨هـ - ١٣٧٦م

سلطنة بغداد:

في هذه السنة تسلطن في بغداد الشاه منصور بن عمر بهرام (الخواجة بيرام بيك) صاحب الموصل. كذا في الدر المكنون. وفي حوادث سنة ٧٨٥ هـ أزيح عن السلطنة بواسطة السلطان أحمد الجلايري كما جاء فيه أيضاً... وليس لدينا من النصوص التاريخية ما يؤيد هذه الوقعة وإنما الوقائع المعروفة على الضد منها... وجل ما نعلمه عن شاه منصور أنه ابن شاه مظفر، ولم تكن له قربى نسبية مع (الخواجة بيرام) وأنه مال عن شاه شجاع وجاء إلى السلطان وإلى عادل آغا فجعله عادل آغا حاكماً في همذان وذلك إثر تسلط عادل آغا على السلطان حسين واختلاف الأمراء وانتقاضهم عليه في هذه السنة (٧٧٨ هـ) وذهابهم إلى بغداد وهم أمثال إسرائيل وعبد القادر ورحمان شاه درويش فأبدوا مخالفتهم للسلطان وذهبوا إلى بغداد عام ٧٧٨ هـ... وإن شاه منصور قد صار إلى عامل السلطان وقد سار لتعقب أثر هؤلاء المخالفين قبل وصولهم إلى بغداد فتمكن من بعضهم الملتجئين إليه والبعض الآخر فر وحينئذ أمر عادل آغا والسلطان بقتل المقبوض عليهم وقد التمس شاه منصور أن يعفو فلم يلتفت إلى ذلك ولم يعف إلا عن القاضي الشيخ علي وحينئذ عاد الشاه منصور إلى همذان وإن عادل آغا مضى إلى تبريز لملازمة السلطان[1]...

وسيأتي القول عن نصبه حاكماً على تستر والأنحاء المجاورة لها بأمر من السلطان أحمد.

---

(١) حبيب السير.

حوادث سنة ٧٧٩هـ ـ ١٣٧٧م

وفيات

١ ـ زينة الموصلية:

هي زينة بنت أحمد بن عبد الخالق بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن يونس الموصلية. سمعت من عيسى المطعم وابن النشو وغيرهما. وحدثت بالكثير. ماتت في شعبان[١].

حوادث سنة ٧٨٠هـ ـ ١٣٧٨م

وفيات

١ ـ الحسن بن سالار:

توفي في هذه السنة (سنة ٧٨٠ هـ) الحسن بن سالار بن محمود الغزنوي ثم البغدادي الفقيه الشافعي رحل قديماً فسمع من الحجار وغيره ثم رجع وحدث ببغداد صحيح البخاري عن الحجاز وتلخيص المفتاح عن مصنفه الجلال القزويني وتوفي في شوال[٢].

٢ ـ قتلة والي بغداد (مجد الدين إسماعيل):

في هذه السنة أو في التي قبلها قتل الشهزاده الشيخ علي الأمير إسماعيل بن زكريا بن حسن الدامغاني البغدادي والي بغداد باتفاق پير علي باوك[٣] واستشارته فسار السلطان حسين من تبريز إلى بغداد فانهزم

---

(١) الأنباء ج ١.

(٢) الشذرات ج ٦.

(٣) جاء في ابن خلدون أنه قنبر علي بادك وهذا مخالف للنصوص المنقولة عن حبيب السير من أنه پير علي باوك وقد تكرر بهذا الشكل كما أن محمود كيتي ذكره مكرراً في تاريخ آل مظفر بهذا اللفظ ومثله في الغياثي «ابن خلدون ج ٥ ص ٥٥٣».

الشهزاده الشيخ علي من بغداد وكان استمر بولاية بغداد إلى أن أزاحه السلطان... كذا في الغياثي وقال في حبيب السير أن سبب قتلة الوالي إسماعيل دعت إلى الخلاف والقتال بين الإخوة من آل السلطنة كما أن الشيخ علي ولي بغداد بعد إسماعيل وحكمها[1]..

وحينئذ سار السلطان حسين من تبريز إلى بغداد مستمداً بعادل آغا الذي استولى على عراق العجم فأمده وناصره فتمكن من قتل بعض أرباب الحل والعقد للمرة الثانية، وفي هذه الأثناء انهزم الشهزاده الشيخ علي من بغداد عندما رأى عادل آغا نصب خيامه قريباً من المدينة وعلم أن لا طاقة له بمقاومة هذا الصائل فتوجه إلى أنحاء دسفول (دسبول) وتستر وأقام السلطان ببغداد[2].

وجاء في تاريخ ابن خلدون: كان إسماعيل بن الوزير زكريا بالشام هارباً أمام أويس فقدم على أبيه زكريا وبعث به إلى بغداد ليقوم بخدمة الشيخ فاستخلصه واستبد عليه... فتولى به جماعة من أهل الدولة منهم مبارك شاه وقنبر وقرا محمد فقتلوه وعصى الأمير أحمد منتصف سنة ٨١ واستدعوا قنبر علي بادك (بير علي باوك) من تستر فولوه مكان إسماعيل واستبد على الشيخ علي ببغداد ونكر حسين عليهم ما أتوه وسار في عساكره من توريز إلى بغداد ففارقها الشيخ علي وقنبر علي باوك إلى تستر واستولى حسين على بغداد واستمده (أخوه أحمد وكان بواسط) فاتهمه بممالأة أخيه الشيخ علي ولم يمده ونهض الشيخ علي من تستر إلى واسط وجمع العرب من عبادان والجزيرة فأجفل أحمد من واسط إلى بغداد وسار الشيخ علي في أثره فأجفل حسين إلى توريز واستوثق ملك بغداد للشيخ علي واستقر كل ببلده اهـ[3].

---

(١) حبيب السير ج ٣ ج ٣ ص ٨٣.

(٢) تاريخ الغياثي.

(٣) ابن خلدون ج ٥ ص ٥٥٣.

وقد أوضح صاحب حبيب السير هذه الوقعة فقال إن الأمير إسماعيل جمع إليه بعض الأداني في ولايته على بغداد ولم يدع للشيخ علي اختياراً في أمر من الأمور بل غل يده ودامت هذه الحالة إلى أن كان في يوم جمعة من سنة ٧٨٠ هـ ذهب الأمير إسماعيل إلى الجامع فصادفه في طريقه رجل يدعى (مبارك شاه) فضربه بحسام كان معه فأرداه قتيلاً وفي الأثناء وبناء على استمداد القتيل خرج من داره الأمير مسعود عم الأمير إسماعيل والأمير زكريا (هو غير والد الأمير إسماعيل) فناداهما فتقدما وحينئذ أسرع مبارك شاه وآخر معه يدعى قرا محمد فقتلاهما فعلم الشهزاده الشيخ علي بالأمر فسر بذلك وقطع رأس الأمير إسماعيل وصلبه في بنايته وأتي إليه برأسه... فلما وصل الخبر إلى تبريز وعلم أبوه الأمير زكريا حزن على ولده وأصابه ألم عظيم من اغتيال أخيه مسعود أكثر لأنه كان يعلم ما سيحل بابنه... وكان امرأ طاعناً في السن أما السلطان حسين فقد أصدر منشوراً بإيالة بغداد وسلطتها إلى أخيه الشيخ علي وأرسله إليه وبين له أنه لا يضايقه في حاكمية بغداد فتمكن الشيخ علي في الإمارة وفوض الوزارة إلى عبد الملك التمغاتي وأوصل قاتلي الأمير إسماعيل إلى أوج العز والرفعة إلا أنه رأى أن الأمر لا يستقيم له بهؤلاء فسير وراء (پير علي باوك) من أمرائهم القدماء وكان حاكم تستر من جانب شاه شجاع فطلبه لبغداد وإن الشيخ پير علي باوك جاء إلى بغداد ليتولى زمام أمورها كما أن الشيخ علي تصرف ببغداد وسائر أنحاء العراق مستقلاً دون أن تكون له علاقة مع أخيه السلطان... فلما سمع السلطان حسين وعادل آغا بما جرى لم يوافقهما ذلك ولم يقع هذا الأمر موقع القبول فجهزا الجيوش وفي سنة ٧٨٢ هـ نهضا من تبريز وتوجها إلى أنحاء بغداد. أما الشهزاده الشيخ علي وپير علي باوك فقد تيقنا أن لا قدرة لهما في مقابلة الجيش فتركا بغداد وذهبا إلى جهة تستر... وكان من رأي عادل آغا أن يترك الشيخ پير علي باوك

في تستر وأن لا يتعرض له هناك وأن لا يعود مرة أخرى إلى بغداد ولا يتدخل في شؤونها...

أما عبد الملك التمغاتي فإنه استفاد من الوضع وتمكن أن يجمع من أعيان بغداد مبلغاً وافراً قدر بمبلغ ١٥٠٠ تومان وأرسله إليه واستدعى حضوره... وعلى هذا نهض تواً وسار إلى بغداد... وإن السلطان حسين سير إليه محمود واقي وعمر قبچاق لمقابلته وهذان قد وقعا أسيرين في قبضة پير علي باوك وقتل أكثر من معهم من الجيوش وعندئذ ولما سمع السلطان بالخبر أمال عنان عزمه نحو تبريز وهناك رأى من المشاق في عودته ما لا يوصف ووصف بحالة سيئة جداً[1]... هذا مجمل ما ذكره صاحب حبيب السير.

ومن هذا نرى دوام الحروب وطول المنازعات بين الأخوين. وفي روضة الصفا من التفصيلات ما لم نرها في غيره[2] سوى أن تاريخ الغياثي ذكر أن قد نال الناس [illegible] السلطان ولذا مالوا إلى أخيه ثانية وطلبوه من تستر [illegible] العودة إلى بغداد فعاد واستقر في الحكم. وجاء في الأنباء عن إسماعيل المذكور أنه أحد الأمراء ببغداد وكانت له في عمارتها بعد الغرق اليد البيضاء مات في رجب سنة ٧٨٠ هـ[3].

---

(١) حبيب السير ج ٣ ص ٨٣.
(٢) روضة الصفا ج ٥ ص ١٧٤.
(٣) الأنباء ج ١ والشذارت ج ٦.

حوادث سنة ٧٨١ هـ - ١٣٧٩ م

وفيات

١ - ابن عسكر البغدادي:

في سنة ٧٨١ هـ توفي الشيخ شرف الدين أحمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن عسكر البغدادي المالكي نزيل القاهرة كان فاضلاً قدم دمشق فولي قضاء المالكية بها ثم قدم القاهرة في دولة يلبغا فعظمه وولاه قضاء العسكر ونظر خزانته الخاصة وقد ولي قضاء دمياط مدة وحدث عن أبيه وابن الحبال وغيرهما ولم يكن بيده وظيفة إلا نظر الخزانة فانتزعها منه علاء الدين بن عرب محتسب القاهرة فتألم من ذلك ولزم بيته إلى أن كف بصره فكان جماعة من تجار بغداد يقومون بأمره إلى أن مات في ٢٦ شعبان وله ٨٤ سنة قال ابن حجر سمع منه جماعة من شيوخنا ومن آخر من كان يروي عنه شمس الدين محمد بن البيطار الذي مات سنة ٨٢٥ هـ.

٢ - تقي الدين عبد الرحمن الواسطي:

هو الشيخ تقي الدين عبد الرحمن بن أحمد بن علي الواسطي البغدادي نزيل مصر شيخ القراء قدم القاهرة وتلا على التقي الصائغ وسمع من حسن سبط زيادة ووزيره وتاج الدين دقيق العيد وجماعة خرج له منهم أبو زرعة ابن العراقي مدة مشيخته وهو آخر من حدث عنه سبط زيادة وتصدر للاقراء مدة وانتفع به الناس ودرس القراءات بجامع ابن طولون قال ابن حجر وقرأ عليه شيخنا العراقي وشرح الشاطبية ونظم غاية الإحسان لشيخه أبي حيان، توفي تاسع صفر عن ٧٩ سنة[١].

(١) الشذرات والدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٢٣ والأنباء ج ١.



جامع الشيخ سراج الدين - دار الآثار العراقية

٣ ـ قارا بن مهنا أمير العرب:

هو أحد أمراء آل فضل، مات في هذه السنة (٧٨١) بأرض السر من عمل حلب، أثنى عليه طاهر بن حبيب[1]. وقال في عقد الجمان «أمير آل فضل، كان عمود الجود وذروة سنامه، وحامية المستجيرين بحرمة ذمامه وحسامه...» اهـ[2].

وفي الأنباء أنه مات معتقلاً، وكان مطوياً على دين وشجاعة وسلامة باطن، وجاوز السبعين. وفي سنة وفاته أرسل نعير عمه صول بن حيار ليأخذ له الإمارة فلم يفلح في مسعاه وسجن[3]...

حوادث سنة ٧٨٢ هـ ـ ١٣٨٠ م

اضطراب الحالة:

لا تزال الاضطرابات كما عرفت في حوادث سنة ٧٨٠ هـ والحروب بين الأمراء (إخوة الملك) وبين السلطان حسين لم تسفر عن نتيجة بعد وقد امتد لهيبها إلى ما بعد هذا التاريخ أي إلى سنة ٧٨٤ هـ. وحادث قتلة الأمير إسماعيل أثار فتناً أخرى... فالسلطان بعد أن أقر أخاه الشيخ علياً في بغداد رآه قد مد يده على الأطراف الأخرى وتمكن من الاستيلاء على كافة أنحاء العراق... ذلك ما دعاه أن يسير إليه وأن ينتزع منه بغداد وغيرها... ثم إن الشيخ علياً عاد للمرة الأخرى وكان قد جهز له عبد الملك التمغاتي أموالاً كثيرة تبلغ ألفاً وخمسمائة تومان فاستعان بها وتقدم ومن ثم رأى أن البغداديين قد طلبوه لما رأوه من أخيه من العسف والتطاول... فرجع إليهم وحكم بغداد...

---

(١) الدرر ج ٣ ص ٢٣٦.

(٢) عقد الجمان ج ٣.

(٣) الأنباء ج ١.

حوادث سنة ٧٨٣ هـ - ١٣٨١ م

قصاد السلطان إلى الشام:

في هذه السنة ذهب من قصاد السلطان جماعة إلى الشام بينهم القاضي زين الدين علي بن جلال الدين عبد الله بن نجم الدين سليمان العبايقي الشافعي قاضي بغداد وتبريز، والصاحب شرف الدين ابن الحاج عز الدين الحسين الواسطي وزير السلطان وغيرهما[١].

وجاء في الانباء في جمادى الأولى حضرت رسل حسين بن أويس صاحب بغداد وتبريز إلى برقوق وهم قاضي البلد الشيخ زين الدين علي ابن عبد الله بن سليمان بن السامي المغربي العبايقي[٢] الآمدي الشافعي، وشرف الدين بن عطا، ابن الحسن الواسطي الوزير، وشمس الدين محمد بن أحمد البرادعي فأكرموا غاية الإكرام، وذكر العبايقي أنه غرم على سفرته عشرة آلاف دينار وأنه جاء في مائة عليقة، وكان يكثر الثناء على أهل الشام، وفرق الكثير من السلام عليهم حتى القضاة، ورتب لهم برقوق رواتب كثيرة، وطلبهم عنده مرة، ومد لهم سماطاً حافلاً. وكان سفرهم في ٢٥ من رجب[٣].

وهنا نرى الاختلاف في ضبط هذه الأعلام وتحقيقها يحتاج إلى مراجع أخرى. . وفي الغياثي أن هؤلاء الرسل إنما أرسلوا بناء على تملك السلطان حسين برقوق مصر وكان أول من تسلطن من المماليك الجراكسة.

---

(١) عجائب المقدور ص ١٦.

(٢) في الغياثي: الغناتقي.

(٣) الأنباء ج ١ حوادث هذه السنة، والغياثي ص ١٨٧.

وفيات

١ ـ حسام الدين النعماني:

هو حسام الدين بن أبي الفرج أحمد بن عمر بن محمد بن ثابت ابن عثمان بن محمد بن عبد الرحمن بن ميمون بن حسان بن سمعان بن يوسف بن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة النعمان بن ثابت الفرغاني النعماني نزيل بغداد. اشتغل كثيراً، وسمع الحديث من سراج الدين عمر القزويني، وله من أبي الفضل صالح بن عبد الله بن جعفر بن الصباغ إجازة، وأعاد بمشهد أبي حنيفة ببغداد، ونقلت نسبه من خط ابن أخيه القاضي تاج الدين البغدادي لما قدم علينا من بغداد بعد العشرين وثمانمائة وكان قدم في أواخر زمن المؤيد فاراً من ابن قرا يوسف لأنه كان آذاه وجدع أنفه ففر منه إلى القاهرة وألب عليه فهم المؤيد بغزو بغداد وصمم على ذلك، ثم فاته الأجل فتحول تاج الدين بعد موت المؤيد إلى دمشق وولي بها بعض المدارس ومات بها. وكان تاج الدين حدث بمسند أبي حنيفة جمع أبي المؤيد محمد بن محمود بن محمد الخوارزمي بروايته عن عمه عن ابن الصباغ عن مؤلفه وبروايته عن عبد الرحمن بن لاحق الفيدي عن علي بن أبي القاسم بن لميم الدهساني إجازة عن مؤلفه سماعاً. هذا ما قاله أنباء الغمر في أبناء العمر.

وقد مضى الكلام على تاج الدين في المجلد الأول وقد ترجمناه في حوادث سنة ٨٣٤ هـ. وابنه قد ترجم في حوادث سنة ٨٦٨ هـ...

جامع النعماني وجامع للشيخ سراج الدين

الآثار الإسلامية في هذا العصر كثيرة سواء كانت مدارس أو جوامع، أو مستشفيات أو عمارات أخرى.. والسبب في ذلك اتخاذ بغداد عاصمة، وأن الأمراء والأكابر صاروا يبذلون الثروة في سبيل الزينة

والعمارة من جهة، وفي ناحية الثقافة والدين والصحة من أخرى. وكذا أصحاب البر يراعون الثواب فيعملون لصالح الجماعة...

وبعض الجوامع لا تزال معروفة بأسماء أصحابها من أولئك المؤسسين، والشهرة محتفظ بها. مما يجعلنا نميل إلى التقريب بينهما ونرى صحة التسمية والنسبة إلى الأشخاص المعروفين الذين ذاع اسمهم في هذا العصر من المشاهير من أقوى الأدلة وللذيوع والشيوع حكمه..

ومن هذه الآثار:

١ - جامع النعماني:

وهذا لا يزال محتفظاً باسمه، وسعته تدل على مكانته السابقة وهو الكائن اليوم في شارع الكيلاني[1] ونرى أنه من مؤسسات العالم المشهور حسام الدين النعماني المذكور في وفيات هذه السنة..، أو من أحد أصحاب الخير فسماه باسمه تخليداً لذكره.. والشهرة والتسمية المحفوظة تنطبقان على هذا الجامع ومؤسسه وهما من أقوى ما نعول عليه، فلا مانع من الركون إليهما. وقلة النصوص لا يمنع من قبول ذلك. وقد اكتفى المرحوم الأستاذ شكري الآلوسي بقوله في هذا الجامع إنه من مساجد بغداد القديمة، فيه منارة بيضاء مطلة على الطريق..

واشتهر في هذا البيت تاج الدين[2] النعماني قاضي بغداد ابن أخي حسام الدين المذكور وهذا توفي عام ٨٣٤ هـ خارج بغداد. فزال احتمال بنائه منه... ولتاج الدين هذا ابن له مكانته أيضاً ومن دواعي بقاء هذا الجامع ظهور علماء كثيرين من أسرة واحدة مكنت من بقاء هذا الجامع ودوامه لما ناله علماؤهم من المكانة...

---

(١) وهذا لا علاقة له بـ «جامع النعمانية» المذكور في صحيفة ٧٥ من تاريخ مساجد بغداد فإنه من آثار القرن الثاني عشر الهجري...

(٢) ترجمته في الضوء اللامع ج ٢ ص ٨٢ وابنه في ج ٧ ص ١٦ منه.

وكان قد عمره داود باشا سنة ١٢٣٩ هـ وفي الأيام الأخيرة آل إلى الخراب وهدمت منارته سنة ١٣٥٣ والآن بدأت دائرة الأوقاف بتعميره في هذه السنة ١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٦ م.

٢ ـ جامع سراج الدين:

وفي هذا العصر اشتهر الشيخ سراج الدين عمر القزويني المتوفى سنة ٧٥٠ هـ ولا يزال الجامع معروفاً باسم (جامع الشيخ سراج الدين)، وفي بغداد اليوم محلة تسمى بـ (محلة سراج الدين) وقد مضت ترجمة هذا الشيخ في هذا الكتاب وهو من علماء الإجازة، والكثيرون يفتخرون في الأخذ عنه فلا إبهام في النسبة.. وإن عدمت الصراحة في النصوص التاريخية.. ويقوي هذا مكانة ابنه المترجم ومهما يكن فلا يبعد أن نجد ما يؤيد رأينا هذا فيما يظهر من الوثائق والمخلدات التاريخية...

وللتعرف بمنزلة الرجل ننقل نص ابن بطوطة فيه قال:

«لقيت بهذا المسجد ـ جامع الخليفة ـ الشيخ الإمام، العالم، الصالح، مسند العراق سراج الدين أبا حفص عمر بن علي بن عمر القزويني، وسمعت عليه فيه جميع مسند أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن فضل بن بهرام الدارمي وذلك في شهر رجب الفرد عام ٧٢٧ هـ... الخ» اهـ[١].

وفي هذا ما يعين أنه اشتغل بالتدريس بعد هذا لمدة ٢٣ سنة. وأمد مثابرته على الإفادة مما زاد في احترامه والاعتقاد في علمه ومكانته في القلوب[٢]...

---

(١) تحفة النظار ج ١ ص ١٣٥.

(٢) جاء في ابن قاضي شهبة عند الكلام على وفاة محمد بن عمر بن علي بن عمر الشيخ العالم الرئيس محب الدين ابن الشيخ العلامة سراج الدين الحسيني القزويني شيخ بغداد ومسندها وإمام جامع الخليفة المتوفى سنة ٧٧٥هـ أنه كان قد=

وكان قد عمر هذا الجامع الوزير حسن باشا سنة ١١٣١ هـ. وقال المرحوم شكري الآلوسي في مساجد بغداد إن الشيخ سراج الدين هذا من رجال الصوفية وله ذكر في تاريخ أولياء بغداد، والتفصيل هناك[1].

حوادث سنة ٧٨٤هـ ـ ١٣٨٢م

قتلة السلطان حسين: (ترجمته)

في عجائب المقدور كان قتل السلطان غياث الدين حسين في جمادى الآخرة من سنة ٧٨٣ هـ وفي الانباء ذكر هذا الحادث في تلك السنة وقال: وقيل في ربيع الآخر من السنة التي بعدها (سنة ٧٨٤ هـ) وترجمه في الموطنين وفي حبيب السير كانت قتلته بتاريخ ١٥ صفر سنة ٧٨٤ ومثله في الغياثي دون تعيين الشهر. وسبب قتله أنه اغتاله أخوه أحمد وكان استنابه السلطان على البصرة وتوجه إلى تبريز فمالأ الأمراء عليه حتى قتل واستقل أحمد بالسلطنة... وكانت هذه المواطأة بإشارة الشيخ الكحجاني... كانت في تصميم النزاع مع إخوته... فالسلطان أحمد يبدي أنه لم يطق الصبر على هذه الحالة من الاضطراب والتشوش وانحلال الأمور فنهض لطلب الحكم وخرج من تبريز فجمع له جيشاً وعزم على اكتساح تبريز والاستيلاء عليها فقتل السلطان وقيد شمس الدين زكريا والخواجة جمال الدين[2]..

= توفي في حدود الستين ودفن بتربة جده بالزرادين بباب الأزج. قاله الصديق الأستاذ مصطفى جواد وبين أن مقبرة الزرادين هي في محلة الصدرية وأقول المقبرة كانت مشهورة وقد رأينا وشاهدنا القبور فيها وكانت بالنظر لوصفها متصلة... وفي هذا النص ما يعين التربة وأنها اتخذت جامعاً وإن لم تكن نقطع في تاريخ بناء هذا الجامع...

(١) تاريخ مساجد بغداد ص ٤١.

(٢) حبيب السير ج ٣.

وجاء في ابن خلدون أن السلطان حسين لما رجع من بغداد إلى توريز (تبريز) عكف على لذاته وشغل بلهوه واستوحش منه أخوه أحمد فلحق بأردبيل وبها الشيخ صدر الدين (الصفوي) واجتمع إليه من العساكر ثلاثة آلاف أو يزيدون فسار إلى توريز وطرقها على حين غفلة فملكها واختفى حسين أياماً ثم قبض عليه أحمد وقتله[1]...

وقد كثرت الأقاويل في السلطان حسين بين مادح له وذام، وأكثر المؤرخين كانوا يميلون إلى مدحه والثناء عليه ولعل الذم كان موجهاً من جانب خصومه المنتصرين عليه مما دعا إلى تقولات كهذه... وقد قيل «ولأم المخطىء الهبل» وإلا فهذا صاحب الأنباء نعته بقوله كان شجاعاً شهماً؛ حسن السياسة، قتل غيلة... وفي عجائب المقدور:

«هو جلال الدين حسين، أفاض على رعيته فضله وإحسانه، وكان كريم الشمائل، جسيم الفضائل، وافر الشهامة، ظاهر الكرامة، أراد أن يمشي على سنن والده، ليحيي [illegible] من رسوم آثاره ومعاهده فخذلته الأقدار، وخالفت صفو [illegible] اهـ[2].

وفي هذا مخالفة لما جاء في النصوص الأخرى. وجل ما نعلمه عن خلقه السلطان أحمد يشير إلى خرق وشراسة وذم من مؤرخين لا يحصون...

وعلى كل كان السلطان حسين قد ولي الحكومة عام ٧٧٦ هـ وقد أسلفنا البحث عما وقع في أيامه من الاضطراب وانتقاض الأمراء عليه. قالوا هو مولع باللهو واللعب غافل عن تدبير المملكة، وبلغ به من حب النساء أن صار يتزيا بزيهن ويدخل الولائم والأعراس فيما بينهن ولم

---

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٥ ص ٥٥٣.

(٢) عجائب المقدور ص ٤٦.

يعلموا به ومما يحكى عن هؤلاء الأمراء أنهم شكوا ذلك إلى وزيره الأمير زكريا فقال لهم الوزير اشكروا الله الذي بلاكم بمن يجعل القناع على رأسه ولم يبتلكم بمن يضع القناع على رؤوسكم فقام عليه رجاله وعصوا عليه فاستعان عليهم بعادل آغا الذي استولى على عراق العجم... هذا ما دعا أن دبر مناوئوه وفي مقدمتهم الشيخ علي أخوه قتلة الأمير إسماعيل وقيام الشيخ علي الشهزاده مكانه في منصب بغداد فارتبك أمر السلطان حسين من جراء هذا الحادث فركن إلى عادل آغا فأمده وتقدم نحو بغداد فلما وصلها فر الشيخ علي من وجهه ومضى إلى دسبول وتستر واستقر السلطان حسين في حكومة بغداد ولما كان غير مدبر ولا ناظر لأمور الرعية بعقل وحكمة تكاثر ظلمه وزاد عتوه في بغداد... فاجتمع الأهلون عليه واتفقوا على معارضته وقتاله ودعوا الشيخ علياً الشهزاده ليجعلوه حاكماً عليهم فوافى إليهم وولي حكومة بغداد. وحينئذ التجأ السلطان مرة أخرى إلى عادل آغا فظهر عليه أخوه الآخر أيضاً وهو السلطان أحمد فقضى على السلطان حسين المذكور وقتله.

ولم يكن له من الأولاد سوى بنت يقال لها دوندي سلطان وهذه غير دوندي بنت دلشاد المذكورة في هذا الكتاب وسيأتي لها من الحوادث ما له علاقة بالعراق...

وفيات

١ ـ الوزير شمس الدين زكريا:

إن قتلة السلطان غطت على ما جرى على الخواجة شمس الدين زكريا بن حسن الدامغاني البغدادي صهر الخواجة الوزير غياث الدين محمد بن رشيد الدين فضل الله الوزير وابن أخته فلم نعد تدري ما حل



محراب جامع الشيخ سراج الدين ـ دار الآثار العراقية

الجبهة الأمامية لجامع سيد سلطان علي - دار الآثار العراقية

به والمعروف أن السلطان أحمد قتل الأمراء. ولذا انقطع بأنه قتله. وهذا نال الوزارة أيام الشيخ حسن سنة ٧٣٧ هـ وكان انتخابه لمحض التأثير والاستفادة من شهرة الخواجة غياث الدين محمد وقد مدحه الخواجه سلمان الساوجي بقصائد كثيرة مدونة في مواطن من ديوانه ثم إنه اعتزل ونالها مرة أخرى سنة ٧٥٧ هـ أيام السلطان أويس وكان هذا الوزير لا يزال حياً بعد قتلة ابنه الأمير إسماعيل والملك حسين وكان محترماً لدى هذه الحكومة ولمحض هذا الاحترام نال أخوه نجيب الدين الإمارة وأما إسماعيل ابنه فإنه نال الوزارة وحكومة بغداد[١] وفي دستور الوزراء «تصرف ـ الشيخ حسن الكبير ـ بممالك العراق.. وجعل الخواجة شمس الدين زكريا.. لمنصب الوزارة، وبقي في منصبه في جميع أيام دولته وفي أيام أولاده (أويس وحسين) وفي عهده اختار العدل والإنصاف والعلم حتى وفاته.. فكان له الذكر الجميل» اهـ[٢].

وباقي ما ذكره لا يختلف عن النص السابق وقد مر من البيان ما يبصر بحياته... ونرجح أنه توفي أو قتل في هذه السنة فقد طوي ذكره بعد حادث السلطان حسين والقبض عليه وتقييده بالوجه المار... والمعروف أن السلطان أحمد من حين ولي أوجس خيفة من الأمراء فقتل جماعة منهم.. فلا يبعد أن يكون الوزير أحدهم...

٢ ـ محمد بن عرب الهيتي:

في هذه السنة (٧٨٤ هـ) توفي محمد بن عرب الهيتي الحسني الحنفي العراقي نزيل حماة كان فصيح اللسان؛ عزيز الأخلاق، وصل من العراق إلى سلمية فاتفق توجه قاضي القضاة نجم الدين عبد الرحيم

(١) سلمان ساوجي تأليف رشيد ياسمي والأنباء ج ١ وديوان ساوجي المطبوع في الهند.

(٢) دستور الوزراء ص ٣١٨.

البارزي إليها فأعجب به فذهب إلى حماة وقرره مشغلاً في علم العربية بالجامع الكبير، والنوري بحماة، وانتفع به جماعة. فإن تقريره كان سهلاً، سريع المأخذ، توفي في الطاعون[1].

حوادث سنة ٧٨٥هـ - ١٣٨٣م

حرب السلطان أحمد والشيخ علي:

كان السلطان أحمد بعد قتلة أخيه أعلن سلطنته مستقلاً فكان كما وصفه صاحب حبيب السير سفاكاً، رديئاً للغاية، لا يستقر على حالة... وإنما يلتمس الشغب ويتحرى التشويش دائماً، وكان قاسي القلب، قليل الرحمة، شديداً وجاهلاً، وله ولع بالموسيقى... قال الغياثي: «ولما قتل أخاه السلطان حسيناً استشعر بالخوف من الأمراء والأكابر الذين قتلوا أخاه. فقبض على بعضهم وقتلهم فنفرت قلوب باقي الأمراء منه وجاؤوا إلى بغداد وأقاموا الشهزاده الشيخ علياً سلطاناً وتوجهوا به إلى تبريز[2]... وزاد في حبيب السير أنه تواترت الأخبار في أن الشهزاده الشيخ علياً وبير علي باوك بإغراء من عادل آغا عزموا على حرب السلطان أحمد فسارع السلطان أحمد للملاقاة والحرب وتصادموا عند السبعة أنهار (هفت رود)، وإن عمر قبچاق قد انفصل أثناء المعركة من السلطان أحمد والتجأ إلى الشيخ علي فاضطرب أمر السلطان فوقعت المغلوبية عليه وهرب من طريق خوي إلى نخجوان[3] والتحق بقرا محمد بن تورميش (والد قرا يوسف) صاحب الموصل وكان السلطان قد تزوج بنته فاستمده وهذا اشترط شروطاً وافقه السلطان أحمد عليها منها أنه ليس له أن يتقدم

---

(١) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٨٤.

(٢) ص ١٨٧.

(٣) بلد بأقصى آذربيجان واسمه القديم «نشوى» ويعرف بين العامة بنخجوان أو نقجوان «مراصد الاطلاع والمعجم».

إذا رأى النصر دون أمر منه، وأنه إذا فتح عليهم تكون الغنائم خالصة لهم فلا يطمع فيها. . . فوافق السلطان أحمد. . . وحينئذ رتب قرا محمد جيشاً ونظمه كما يريد وقصد الشيخ علي فحدثت المعركة بين الفريقين، وفي هذه المعركة قتل الشيخ علي أصابه سهم وغنم التركمان غنائم وفيرة جداً وكذا قتل پير علي باوك وإن السلطان أحمد أرسل رأسه إلى عادل آغا ليظهر له نتيجة أعماله. . ومن ثم ذهب السلطان إلى تبريز. . . وفي الغياثي أنه قبل الحرب راسل خضر شاه بن سليمان شاه السلطان أحمد وكان أجل أمراء بغداد فانهزم خضر شاه وأصيب الشيخ علي بسهم فحمل إلى أخيه السلطان أحمد وبه رمق فمات وذلك عام ٧٨٦ هـ. . . وتقرر الملك للسلطان أحمد. . وفي هذا إيضاح يوافق ما جاء في ابن خلدون. . .

وجاء في الأنباء في حوادث سنة ٧٨٦ هـ أن شيخ علي شاه زاده. . . كان من جملة الأمراء فلما قتل أحمد بن أويس أخاه حسيناً في سنة ٧٨٤ هـ قبض على أمراء الدولة فقتلهم وأقام أولادهم في وظائفهم فنفرت منه قلوب الرعية وتمالأوا عليه وأقاموا أخاه هذا سلطاناً وتوجهوا به من بغداد إلى تبريز فالتقاهم بمن معه ومعه قرا محمد بن بيرم خجا (بيرام خواجة) صاحب الموصل وهو صهره كانت بنته تحت أحمد فالتقى بمقدمة القوم فراسله خضر شاه بن سليمان شاه الإسلامي وكان أجل أمراء بغداد فانهزم خضر شاه وأصيب شاه زاده (الشهزاده علي) بسهم وحمل إلى أخيه وبه رمق فمات» اهـ.

أما صاحب حبيب السير فإنه يعين الحادث في سنة ٧٩٥[١].

ترجمة السلطان علي:

في أواخر أيام السلطان أويس أرسل الشيخ علي الشهزاده ـ إثر

---

(١) حبيب السير ج ٣ ص ٨٤.

الغرق ببغداد ـ مع الوالي الأمير إسماعيل فكان أمير البلد إلا أنه رأى استبداداً من الأمير إسماعيل فاغتاله وأعلن ولايته على بغداد وبعد وفاة السلطان أويس استمر في ولايته... ولما قتل الأمير إسماعيل بل بعد ذلك بمدة سار السلطان حسين من تبريز إلى بغداد فانهزم الشيخ علي ثم عاد بالوجه المار... ولما تسلطن السلطان أحمد مال الأمراء المخالفون إليه وشوقوا الشيخ علياً لمقارعة أخيه فكانت النتيجة أن قتل في المعركة... فكانت مدة حكمه ببغداد تقرب من عشر سنوات وترك ابناً اسمه شاه ولد.

جامع سيد سلطان علي:

مر بنا من الحوادث ما يبصر بقتلة الشيخ علي والكتب التاريخية لم تذكر أعماله التي قام بها ببغداد ومكثه فيها ولا يعلم بالتحقيق تاريخ بناء هذا الجامع إلا أنه يصادف العصر الذي بني فيه جامع مرجان والنظر إلى مأذنة كل منهما تجعلنا نقطع بأن البناء متقارب في الزمان إن لم يكن مماثلاً... ومأذنة جامع النعماني المذكور لا تختلف عنهما. على كل هذا الجامع من بناء هذه الحكومة والظاهر أنه بني لمناسبة وفاة وقد ضاعت عنا الأخبار الخاصة ولم يدون إلا ما يتعلق بالحروب والسياسة العامة وقد ذكر الأستاذ المرحوم الحاج علي علاء الدين الآلوسي في تعليقة له على كتاب كلشن خلفا عند ذكر قتلة الشيخ علي ما نصه:

«والظاهر أن شيخ علي هذا هو المنسوب إليه جامع السيد سلطان علي فإنه ولي بغداد وتوفي فيها وموضع الجامع في مرافق دار الخلافة العباسية وهو الأنسب بالسلاطين وأما ما يقال من أنه الرفاعي فذلك من الموضوعات» اهـ[١].

---

(١) حاشية كلشن خلفا ص ٥٠.

ويؤيد هذا النص ما ذكر من الاستدلال السابق... وأن الشيخ علي أعلن نفسه سلطاناً في بغداد وكان حكمها مدة ولعل اللفظ المشهور أصله (سيدي السلطان علي) فخفف بالوجه الشائع (سيد سلطان علي) وعلى كل نبدي ملاحظتنا ولا يبعد أن يظهر نص يعين الباقي...

أما الأستاذ المرحوم شكري الألوسي فقد قال هو من مساجد بغداد القديمة مطل على دجلة من نهر المعلى المعروف موضعه اليوم بمحلة سبع أبكار أو المربعة وقد جدد عمارته السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٣١٠ هـ[١].

وأقول كانت الكتابة على باب هذا الجامع بخط عثمان ياور[٢] ومنارته من بناء عصر الجلايرية وقد هدمت في هذه الأيام أي سنة ١٣٥٣هـ.

أحوال بغداد ـ طورسون:

أما أهل بغداد فإنهم بعد قتلة الشيخ علي أرسلوا خبراً إلى عادل آغا بأن يبعث معتمداً ليحكم بغداد دار السلام فأجاب الطلب وأرسل الأمير تورسن (طورسون)[٣] وهو من الأمراء وابن خالة عادل آغا ليتولى إدارة بغداد ونصب قوام الدين النجفي ليقوم بوزارة بغداد... ولما وصل الأمير طورسون إلى بغداد استقبله عبد الملك التمغاتي الذي كانت بيده

(١) تاريخ مساجد بغداد ص ٤١.

(٢) خطاط معروف من تلاميذ الخطاط الشهير سامي بك وله مخطوطات على الكاشي في مشهد الإمام الأعظم والشيخ معروف الكرخي وألواح خطية في هذه المشاهد دعاه الحاج حسن باشا والي بغداد أيام ولايته وفي أواخر أيامه عاد إلى استانبول فتوفي هناك...

(٣) جاء في ابن خلدون ج ٥ ص ٥٥٤ بلفظ ـ برسق ـ وتكرر مراراً وليس بصحيح وإنما الصحيح ما ذكرنا نقلاً عن حبيب السير وقد تكرر منه مراراً وأساساً إن هذا الاسم لا يزال معروفاً إلى اليوم وينطق به عندنا ـ طورسون ـ فالترك يسمون به وإن صاحب كلشن خلفا ذكره بهذا اللفظ ورقة ٥٠ ـ ١.

أزمة الأمور وجاء معه الذين كانوا قد قتلوا الأمير إسماعيل فأمر حالاً بقتل هؤلاء واستولى على ما بأيديهم من أموال وتقدر بعشرة آلاف تومان وكثر النهب والسلب واضطرمت نيران الفتن وأرسلت المبالغ المذكورة إلى عادل آغا... وفي هذا السبيل جرى ما جرى مما لا يكاد يحصيه قلم.. فانتهكت حرمات واستبيحت أموال[1].

السلطان أحمد وبغداد:

جاءت الأخبار إلى تبريز فعلم السلطان أحمد بكل تفاصيلها.. وحينئذ سار تواً وعلى وجه الاستعجال إلى بغداد وأن السلطان في هذه الأثناء ورد إليه شاه منصور من آل مظفر فاراً من حبس القلعة واتصل به... أما طورسون فإنه حينما علم بورود السلطان وتوجهه إلى بغداد فر منها وذهب من طريق بعقوبة فاقتفى بعض الرجال أثره وألقي القبض عليه فأمر السلطان بقتله وقتل قوام الدين الصوفي وقتل بعض من أوجس منهم خيفة وأعاد الشاه منصور إلى حاكمية تستر كما كان سابقاً وقضى السلطان الشتاء في بغداد وفي موسم الربيع من سنة ٧٨٥ هـ نصب الخواجة يحيى السمناني حاكماً على بغداد وعاد هو إلى تبريز[2]...

وقد وردت هذه الوقعة في ابن خلدون بما نصه:

«ثم سار أحمد إلى بغداد وقد كان استبدَّ بها بعد مهلك الشيخ علي الخواجة عبد الملك (التمغاتي) من صنائعهم بدعوة أحمد ثم قام الأمير عادل في السلطانية بدعوة أبي يزيد (أخي السلطان أحمد) وبعث إلى بغداد قائداً اسمه برسق (صحيحه تورسون) ليقيم بها دعوته فأطاعه عبد الملك وأدخله إلى بغداد ثم قتله برسق (تورسون) ثاني يوم دخوله واضطرب البلد شهراً ثم وصل أحمد من توريز (تبريز) وخرج برسق

---

(١) حبيب السير.

(٢) حبيب السير ج ٣ ص ٨٤ وروضة الصفا ج ٥ ص ٧٥.

(تورسون) القائد لمدافعته فانهزم وجيء به إلى أحمد أسيراً فحبسه ثم قتله وقتل عادل بعد ذلك وكفي أحمد شره وانتظمت في ملكه توريز (تبريز) وبغداد وتستر والسلطانية وما إليها واستوثق أمره فيها ثم انتقض عليه أهل دولته سنة ٧٨٦ هـ... اهـ[١].

ملحوظة:

كان أبو يزيد ابن السلطان أويس مع الأمير عادل قد مالا إلى شاه شجاع وبالمفاوضة والمخابرات السياسية تمكن السلطان أحمد من استمادة أخيه أبي يزيد إليه إلى بغداد وأمنه فأعيد كما أن عادل آغا انتهز فرصة مجيء تيمورلنك فذهب إليه وجعله حاكماً على تبريز ثم قتله... وكان عادل آغا ممن انتقض عليه من أهل دولته بالوجه الذي ذكره ابن خلدون... وسيجيء البحث عن ذلك.

الركب العراقي

وفيها ـ سنة ٧٨٥هـ ـ أخبر جماعة من الركب العراقي وصلوا إلى مكة أنه كان قد تجهز ركب كبير من شيراز والبصرة والحسا فخرج عليهم قريش ابن أخي زامل ومعه ثمانية آلاف نفر وكل معهم أموال كثيرة لؤلؤ وجوهر وذهب وفضة فنهب جميع ما معهم وقتل منهم خلقاً ومن سلم رد إلى بلاده ماشياً عرياناً وبعضهم حضر إلى مكة صحبة الركب العراقي على الصفة المذكورة. وأما ركب العراقيين فلم يمكنهم قريش من السفر حتى جمعوا له عشرين ألف دينار حساباً عن كل حمل خمسة دنانير ذكر ذلك ابن قاضي شهبة ومثله المقريزي في السلوك وأن مبشيري الحاج المصري هم المخبرون بذلك. بين ذلك كله الصديق الأستاذ مصطفى جواد وقال: قريش هذا ابن أخي زامل بن عيسى بن عمر بن مهنا من آل فضل الطائي وورد أيضاً زامل بن موسى بن عساف (عيسى).

---

(١) ج ٥ ص ٥٤.



الكتابة فوق مدخل مرقد سيد سلطان علي - دار الآثار العراقية



محراب ومنبر جامع سيد سلطان علي - دار الآثار العراقية

وفيات

١ ـ عبد الله بن خليل الأسدباذي:

هو جلال الدين البسطامي نزيل بيت المقدس، ولد ببغداد وصحب الشيخ علاء الدين العسقي البسطامي لما قدم من خراسان فلازمه وسلك طريقه وصحبه إلى الشام ثم إلى بيت المقدس وترك ما كان فيه ببغداد وكان قد قرأ واشتغل وأعاد بالمدرسة السلطانية للشافعية فترك وظائفه ووقف كتبه على الطلبة واستمرت إقامته ببيت المقدس مقبلاً على أنواع المجاهدة والرياضة وله رسالة معروفة فيها آداب حسنة وكانت وفاته في المحرم سنة ٧٨٥ هـ[١].

مدرسة الخواجة مسعود بن سديد الدولة وعمارته:

إن الخواجة مسعود بن سديد الدولة كان من أكابر بغداد فأسس مدرسة وأسواقاً (عمارة) في غاية الحسن جعلها وقفاً على المذاهب الأربعة على صفة المستنصرية ووقف عليها الأوقاف الكثيرة والخطوط التي على جدران المدرسة بيده ودار الكتب أكثرها بخط يده وكان يكتب خطاً حسناً وكتب اسمه على جدران المدرسة بهذه العبارة «وكتبه مسعود ابن منصور بن أبي الهارون نسباً الشافعي مذهباً» وكان يتصل بهارون أخي موسى بن عمران وكان أبوه يلقب سديد الدولة وكان دينه القديم اليهودية وله جاه عند السلاطين ثم أسلم...

ولما مات سديد الدولة عن مال كثير ورثه ولداه داود ومسعود ثم مات داود واستولى مسعود على الجميع ثم اقتضى رأيه أن يعمر هذه المدرسة فابتدأ بعمارتها في أيام السلطان أويس وانتهت في أيام السلطان

(١) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٥٩.

أحمد ولما تمت استدعى السلطان لينظرها وفرشوا تحت أرجله الديباج من مسافة ثلاثمائة ذراع والخواجة بهادر مملوك الخواجة مسعود على كتفه قربة السقاء مملوءة من الدراهم ينثرها تحت أرجله وأما باقي الولائم والتقاديم فلا يحصى شرحها ولم يكن الخواجة مسعود وزيراً وإنما كان من أعيان البلد...

وقال بعض الشعراء من جملة قصيدة يمدح بها الخواجة ويصف المدرسة:

وللقراءات في الأسحار هينمة	كالورق ما بين تسجيع وتغريد
أضحت مزامير داود ولا عجب	أن المزامير تتلى عند داود

يشير إلى أن المدفون في المدرسة هو داود[1]...

اليهود في هذا العصر:

قد مضى القول في المجلد الأول عن اليهود وعن سديد الدولة وما حصل عليه من المكانة. ولكن لم يذكر عن إسلام أولاده أثناء بيان الحوادث ولعل الوقائع [illegible] قبول الإسلامية، وإن الثراء وصل إليه من تلك السلطة أو المكانة التي حصلوا عليها..

إن تلك الحوادث التي جرت على اليهود بعد أن نالوا المنزلة الكبيرة في الدولة أخفتت صوتهم ولم نسمع عنهم ما يستحق الذكر لعدم العلاقة بمصالح الحكومة والتدخل في سياستها فأهملوا ولم يظهر لهم صوت إلا بعد أزمان طويلة سنعرض لذكرها في حينها.

---

(١) تاريخ الغياثي ص ١٨٥.

حوادث سنة ٧٨٦ هـ ـ ١٣٨٤ م

الانتقاض على السلطان أحمد ـ خروج تيمورلنك:

في سنة ٧٨٤ هـ ظهر الأمير تيمورلنك بمظهر الفاتح العظيم في تركستان وبخارى وسائر بلاد ما وراء النهر وخرج في جموع من المغول والتتر وساقها نحو خراسان ودامت حروبه إلى عام ٧٨٧ هـ.

وكان في أيام خروج تيمورلنك من وراء النهر انتقض على السلطان أحمد أهل دولته عام ٧٨٦ هـ وسار بعضهم وهو الأمير عادل آغا إلى السلطان تيمور فاستصرخه فأجاب صريخه وبعث بالعسكر معه على تبريز فأجفل عنها السلطان أحمد إلى بغداد واستبد بها ذلك الثائر وعاث تيمورلنك في تبريز وآذربيجان وخربها وجاء إلى أصفهان وطلائعه وافت تخوم العراق فأرجف الناس منه وأعاد إلى الذاكرة وقائع جنكيز وأولاده وكانت حروبه بآذربيجان مع التركمان سجالاً ثم تأخر إلى ناحية أصفهان وجاءه الخبر بظهور خارج عليه وهو قمر الدين فعاد إلى مملكته عام ٧٨٧ هـ وخفي خبره إلى سنة ٧٩٥ هـ... وانفرد السلطان أحمد ببغداد وأقام بها[1]...

وقد ذكر في الحديث عن أولية تيمور من هذا الكتاب وموضح أيضاً في الضوء اللامع...[2].

وفيات

١ ـ محمد بن مكي العراقي:

توفي في هذه السنة محمد بن مكي العراقي كان عارفاً بالأصول

(١) ابن خلدون ج ٥ ص ٥٥٤.

(٢) الضوء اللامع ج ١ ص ٥٢.

والعربية فشهد عليه بدمشق بانحلال العقيدة واعتقاد مذهب النصيرية واستحلال الخمر الصرف وغير ذلك فضربت عنقه بدمشق في جمادى الأولى وضربت عنق رفيقه عرفة بطرابلس وكان على معتقده»[1].

٢ ـ الشيخ شمس الدين الكرماني:

الشيخ شمس الدين محمد بن يوسف بن علي بن عبد الكريم الكرماني الشافعي نزيل بغداد ولد في ١٦ جمادى الآخرة سنة ٧١٧ هـ واشتغل بالعلم فأخذ عن والده ثم حمل عن القاضي عضد الدين ولازمه اثنتي عشرة سنة وأخذ عن غيره، ثم طاف البلاد ودخل مصر والشام والحجاز والعراق، ثم استوطن بغداد وتصدى لنشر العلم بها نحو ثلاثين سنة وكان مقبلاً على شأنه معرضاً عن أبناء الدنيا. قال ولده الشيخ تقي الدين يحيى: كان متواضعاً باراً لأهل العلم وسقط من علية فكان لا يمشي إلا على عصا منذ كان ابن بضع وثلاثين سنة. قال ابن حجي: صنف شرحاً حافلاً على المختصر، وشرحاً مشهوراً على البخاري وغير ذلك وحج غير مرة وصمم بالحرمين ودمشق والقاهرة، وذكر أنه سمع بجامع الأزهر على ناصر الدين الفارقي، وذكر الشيخ ناصر الدين العراقي أنه اجتمع به في الحجاز وكان شريف النفس مقبلاً على شأنه، وشرح البخاري بالطائف وهو مجاور بمكة وأكمله ببغداد، وتوفي راجعاً من مكة بمنزلة تعرف بروض مهنا في سادس عشر المحرم ونقل إلى بغداد فدفن بها وكان اتخذ لنفسه قبراً بجوار الشيخ أبي إسحق الشيرازي وبنيت عليه قبة، ومات عن تسع وستين سنة[2].

---

(١) الشذرات ج ٦ والأنباء ج ١، في حوادث هذه السنة وسنة ٧٨١ هـ.

(٢) الشذرات ج ٦. والدرر الكامنة ج ٤ ص ٣١٠، والأنباء في حوادث هذه السنة.



طاق كسرى

النصيرية

هؤلاء من الغلاة القائلين بإلهية الإمام علي، وهم لم ينقطعوا من العراق، ولا يزالون إلى اليوم ويعرفون بـ (النصيرية) وأسماء أخرى، يخفون عقائدهم ويتكتمون كثيراً. ويظن لأول وهلة أنهم مسلمون، ويظهرون أحياناً الشعائر الإسلامية خوفاً، فلا يبعد أن يقوم بعضهم مثل المترجم المذكور أعلاه فيجاهر بمعتقده فيفتضح أمره، ويناله ما يناله.. والروح الإسلامية لا تزال شديدة وقوية في هذا العصر، لا تسمح لأحد بمخالفة أساساتها بعقيدة زائغة... وقد اتفقت الفرق الإسلامية بأن هؤلاء خارجون عن الملة..

وليس من موضوعنا التعرض لأكثر من بيان تلخيص في معرفة تطور هذه العقيدة وهي منتشرة في أنحاء العراق المختلفة.. ومن المؤسف أن لم نعثر لهم على مؤلفات واضحة صريحة تعين معتقدهم تفصيلاً.. ولكن العلماء بحثوا وذكروا بعض معتقداتهم. ومن أوضح أساسات عقائدهم الاعتقاد (بعبادة الأشخاص) وأساسها الاعتقاد بإلهية الإمام علي وأولاده... واشتهروا باسم (النصيرية). و (العلي اللهية)، و (المشعشعين)، و (القزلباشية)، و (الشبك) وغيرهم... ومن عقائدهم التناسخ والحلول أو الاتحاد.

ونذكر بعض النصوص الخاصة بالنصيرية وبالعلي اللهية لنتبين أن المعتقدات الأخرى لا تفترق إلا بالأسماء.. وهذا ما قاله السمعاني:

«النصيرية... نسبة لطائفة من غلاة الشيعة يقال لهم النصيرية... ينتسبون إلى رجل اسمه نصير وكان في جماعة قريب من ١٧ نفساً، وكانوا يزعمون أن علياً هو الله. كان زمن علي فحذرهم، وقال: إن لم ترجعوا عن هذا القول؛ وتجددوا إسلامكم عاقبتكم عقوبة ما سمع مثلها في الإسلام، ثم أمر بأخدود، حفر في رحبة جامع الكوفة فأشعل فيه

النار، وأمرهم بالرجوع فما رجعوا، فأمر غلامه قنبراً حتى ألقاهم في النار فهرب واحد من الجماعة اسمه نصير واشتهر هذا الكفر منه.. وهذه الطائفة بالحديثة (بلدة على الفرات). سمعت الشريف عمر بن إبراهيم الحسيني شيخ الزيدية بالكوفة يقول: لما انصرفت من الشام رحلت إلى الحديثة مجتازاً فسألوني عن اسمي فقلت عمر فأرادوا أن يقتلوني لأن اسمي عمر حتى قلت إني علوي، وإني كوفي فتخلصت منهم وإلا كادوا يقتلونني...» اهـ[1].

وحديثة هذه تسمى حديثة الفرات وحديثة النورة[2] والآن ليس فيها نصيرية. وإنما المعروف أنهم لا يزالون في عانة في محلة الحقون.. ويحكي أهل عانة القصص الغريبة عنهم سواء في إظهار شعائر الإسلام، أو في الأمور الخفية التي يتعاطون العبادات أو الاجتماعات فيها.. وعندهم سر (عمس) لا يحلفون به كذباً ويقصدون بالعين (علياً)، وبالميم (محمداً)، وبالسين (سلمان الفارسي)... ويتقول عليهم المجاورون بعض الأمور مثل قولهم «يا أبا السعود يا أبا السعود منك خرجنا وإليك نعود» فيزعمون أنهم يجردون بنتاً يخاطبون فرجها بما ذكر.. ويعزون إليهم حادث الكفيشة أو الكفشة وتنسب أيضاً إلى كثيرين من أمثال هذه الطائفة بسبب التكتم من اتخاذ ليلة ساهرة تطفأ فيها الشموع ويتصل رجالهم بنسائهم ويكذبها الواقع فلا يعتمد على هكذا إشاعات... وقد نقلت هذه العادة قديماً وألصقت ببعض طوائف الغلاة كما نقل صاحب (الفرق بين الفرق) عن طائفة البابكية في جبلهم قال: «للبابكية في جبلهم ليلة عيد لهم يجتمعون فيها على الخمر والزمر وتختلط فيها رجالهم ونساؤهم فإذا أطفئت سرجهم ونيرانهم افتض فيها

---

(١) كتاب الأنساب، السمعاني ص ٥٦٢ ـ ٢.

(٢) معجم البلدان في مادة حديثة.

الرجال النساء..» اهـ[1] ويقصدون من ذلك أن هؤلاء إباحية.. والمعروف في أمثلة كثيرة أنهم يعتقدون بالتناسخ ويسبون الصحابة الكرام.. وفي كتاب الفرق: وتولوا عبد الرحمن بن ملجم.. وقالوا خلص روح اللاهوت من الجسد البراني..[2] والصارلية على هذا الاعتقاد.

وقد اشتهرت هذه الطائفة بواسط أيضاً، ومنها اشتق المشعشعون على ما يظهر.. ونظراً لعلاقة البحث سأذكر المراجع الخاصة في هذه العقيدة عند الكلام على المشعشعين لأن هؤلاء النصيرية لم يحافظوا على اسمهم بل تسموا بأسماء أخرى ففي غير العرب يقال لهم بصورة عامة (النيازية) (أصحاب النذور) لا يقيمون (شعائر الإسلام)، ولا يقصون شواربهم. ولهم مواسم معينة لإجراء النذور وينعتون سائر المسلمين بـ (النمازية) أي أهل الصلاة.. واللفظة فارسية وهي (نماز) يراد بها الصلاة.. ويعين هذه العقيدة المكتومة ـ عقيدة العلي اللهية ـ ما جاء في (دبستان مذاهب) فإنه عمدة في تدوين كثير من العقائد أمثالها قال:

«عقائد العلي اللهية: في جبال المشرق بالقرب من الخطا موطن يدعى (أرنيل) وأحياناً يسمى (رمال) ويقال لملكه (باب) فأهل هذا الموطن يقولون: من المعلوم لمن تبحر في حقائق الأمور وأدرك دقائقها أن لا مجال للتقارب بين السفليين والعلويين، ولا صلة للخلقة بين العنصريين والملكوتيين، وأن الرابطة بين الزمانيين واللازمانيين مفقودة، كما لا علاقة بين المكانيين واللامكانيين.. وهم جميعاً مع كل ذلك مكلفون بحكم العقل والشرع بمعرفة الله تعالى، والملائكة العلويون،

---

(١) «كتاب الفرق بين الفرق ص ٢٥٢».

(٢) كتاب الفرق مخطوط عندي نسخة منه وغالبه في طائفة الإسماعيلية يتكلم عليها بسعة وينقل من مؤلفات أصحابها فهو مفيد للتعريف بهذه الطائفة...

والأنبياء السفليون لا قدرة لهم ولا طريق إلى معرفة الله تعالى على حد «ما عرفناك حق معرفتك».

ذلك ما دعا أن يهبط تعالى من المرتبة الصرفية ودرجة البحتية والإطلاق.. ففي كل عصر ودور بمقتضى فرط لطفه يتصل بجسم من الأجسام ليبصره عباده فيمتثلوا أوامره عن معرفة فيصغوا إليها ويعملوا بموجبها...

وقد ورد في هذا الشأن آيات وأحاديث تتعلق بالرؤية وفيها إشارة واضحة إلى ذلك. فعليه ولما كان ظهور الروحاني في صورة جسمانية أمر ممكن وقد سلم العقلاء بذلك وجاء في الأخبار عند المسلمين وتقرر أن المجرد يتيسر تمثيله فجبرائيل ﷺ ظهر بصورة دحية الكلبي. وكذلك تظهر الجن والشياطين بصور البشر، فمن الأولى أن يبدو القادر المتعال للخلق بهذا التجلي، وهكذا أفراد الناس لا يستغنون عن الاستعانة بغيرهم...

وهذه الطائفة نظراً لتلك القواعد المتفق عليها تقول بأنه يجب أن لا يدوم ظلم وأن ينتظم العالم ويمضي بمقتضى قوانين ثابتة وسنن دائمة، وهذا لا يمكن أن يقوم به أحد سوى الله تعالى.. وعلى هذا قضت حكمته وإرادته أن يظهر بمظهر البشر إنفاذاً لأوامره فيضع لهم الشرائع لترتيب الأمور وتنظيمها.. والعقل والنقل يؤديان إلى أنه لم يكن هناك في دور الشمس والقمر من توفرت فيه الشرائط للقيام بهذه المهمة سوى علي المرتضى...

والحق أن النبي ﷺ الذي كان أعلم بكثير من سائر الأنبياء واجتمعت فيه كافة الصفات الحميدة التي اتصف بها الأنبياء قبله مما دعا أرباب العقول أن يروه يخرج من الجنة ويحل جسم أبي البشر فيشاهدوه بصورة آدم، وتارة يجدونه مجسماً بهيئة نوح فيصنع الفلك، وأحياناً يبصرونه في شكل إبراهيم يلعب بالنار، وينظرون في لباس الكليم ناطقاً

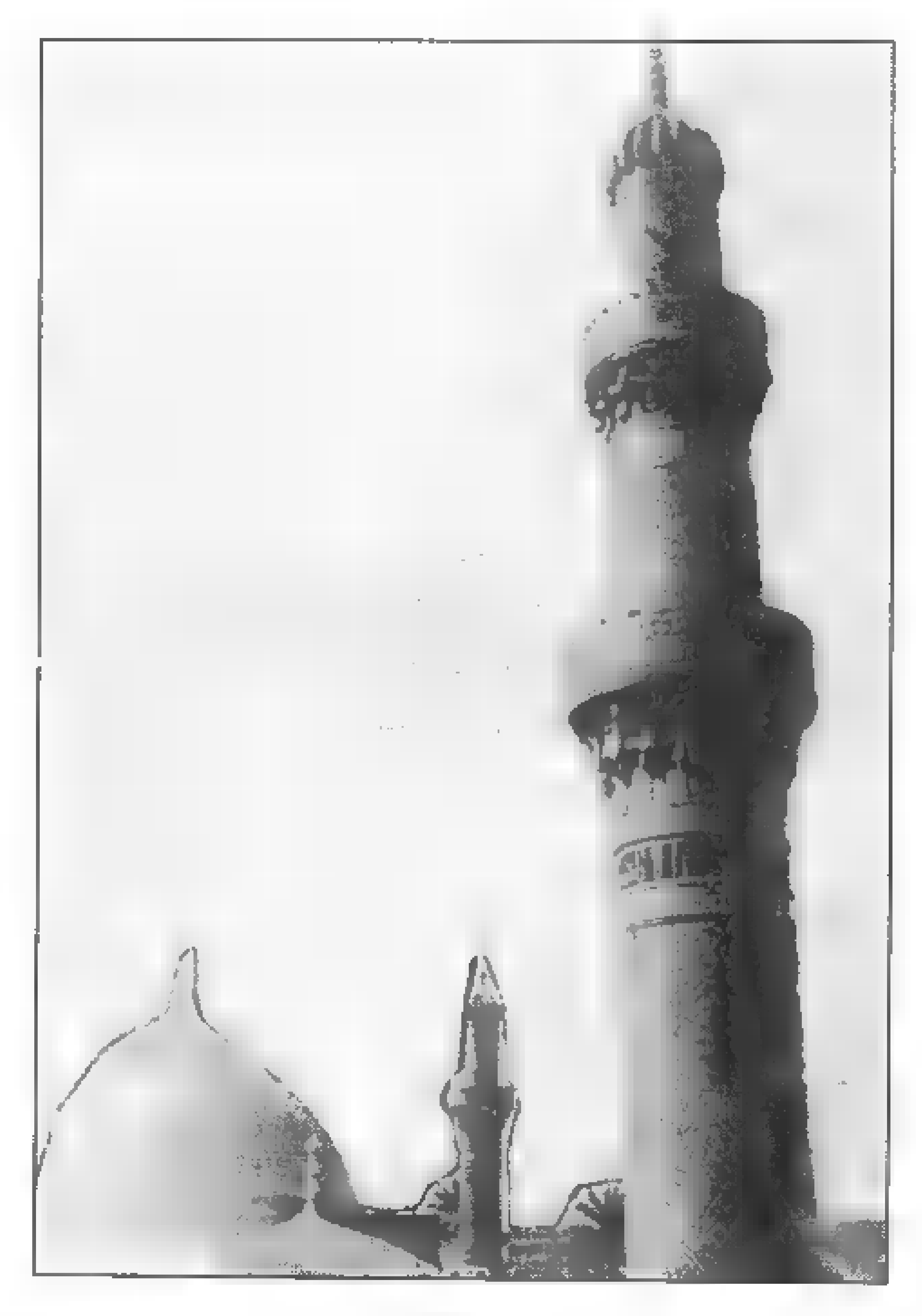
لهم. ومما يؤيد ذلك قول (من عرف نفسه فقد عرف ربه)، و(أن الله خلق آدم على صورته).. وما آدم أبو البشر سوى المرتضى بدليل (رأيت ربي في صورة امرىء) إشارة إلى قدم الذات التي تظهر بصورة نبي في جسم رجل عظيم فذٍّ كما أن البصير ذكر هذه الأبيات الدالة على حيرته في الأمر:

غرض زبت شكنيها جز اين نبود بني را
كه دوش خود بكف پاي مرتضى برساند

ومعناه: لم يكن يقصد النبي من كسر الأصنام سوى أن تمس قدم المرتضى كتفه. ويقولون إن الكعبة لم تأت إلى الوجود إلا بسبب حضرته، فإن كل دور يتصل فيه بأجساد الأنبياء والأولياء كما تدرج من آدم إلى أحمد وهكذا نور الحق أخذ بالتنقل (التناسخ) في الأمة...

وبعضهم يقول إن نور الحق ظهر في هذا الدور بمظهر علي فكان هو (الله) وبعده يحل في أولاده.. ويعتقدون أن (محمد علي) هو رسول (علي الله) ولما رأى الحق لم يتمكن رسوله من إتيان عمل فبادر إلى مقاومته، وحل في جسد رجل اسمه أحمد الذي كان يقول إن هذا المصحف الذي بين أيديكم لا يليق العمل به لأن هذا المصحف لم يكن المصحف المودع من (علي الله) إلى محمد بل إن هذا مرتب من أبي بكر وعمر وعثمان ليس إلا.

وقد كان شمس الدين ـ كما شوهد ـ يقول: إن هذا المصحف هو كلام علي الله إلا أنه نظراً لكونه مرتباً من قبل عثمان فلا تجوز تلاوته. وقد وجد أن بعضهم قد جمع ما كان هناك من نظم ونثر مما يتعلق بعلي وأدخله ضمن القرآن، وكانوا يرجحون هذا القرآن الأخير على القرآن الأصلي لاعتقادهم أنه وصل إليهم من علي الله بطريق مباشر، وأن القرآن الأصلي وصل إلى الناس بواسطة محمد بطريق غير مباشر وفيهم



جامع الآصفية

طائفة تدعى (علوية) وينتسبون إلى علي الله وأنهم منه فيشاطرون بقية إخوانهم في العقائد المذكورة إلا أنهم يقولون إن هذا المصحف الموجود ليس كلام علي الله إذ إن الشيخين قد سعيا في تحريفه فتبعهم عثمان، وتركه لفصاحته وصنف مصحفاً آخر بدله به وأحرق الفرقان الأصلي...

وشأن هذه الطائفة أنهم كلما وجدوا مصحفاً أحرقوه، ويعتقدون أن علي الله اتصل بالشمس فلا يزال شمساً وقد كان من الشمس وقد اتصل مدة بجسم عنصري. ولهذا رجعت الشمس بأمره إذ كان هو عين الشمس. وعلى هذا يقولون للشمس (علي الله)، وعندهم الفلك الرابع (دلدل)، وأصبحوا عبدة النيران، وصارت الشمس في نظرهم هي الله وهم خلق عظيم، ويزعمون أنهم حينما يدعون الشمس تجيب دعوتهم وتعينهم في الشدائد...

ومنهم رجل اسمه عبد الله قد نقل من أحوالهم عن آخر اسمه عزيز الأمر العجيب، كان قد ذكر (علي الله) بحرص وانهماك زائدين، وشوق تام، وأنه لم يكن [illegible] كما أن أحدنا أنكر هذا الأمر فأخذ عزيز يشتغل بذكر (علي الله) واستمر على انهماكه وحرصه إلى أن أزبدَ فمه وخاطب المنكر قائلاً:

- أيها الملعون اضربني فبادر المنكر في ضربه بالسيف فلم يؤثر فيه، فأدى ذلك إلى أن التحق المنكر بهم..

وهذه الطائفة لا يجوز لأهلها أن يذبحوا الحيوانات، ولا كل ذي روح، ويتجنبون أكل اللحوم بحكم مفاد ما قاله (علي الله): «لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوانات» وما ورد في المصحف من ذبح بعض الحيوانات وأكل لحومها إنما يراد به لحم أبي بكر وعمر وعثمان وأتباعهم، وأنهم المقصودون بالمحرمات، وأن إبليس والحية والطاووس

عبارة عن هؤلاء الثلاثة. وكذلك شداد ونمرود وفرعون يراد بهم هؤلاء الثلاثة. ويجوز السجود لصورة (علي الله)، وأن كسر الأصنام، وعبادتها إشارة إلى هؤلاء الثلاثة، وأن الشيخين هما صنما قريش، ويعتقدون بالتاريخ، ويقولون إن علياً لما ظهر بصورة الأنبياء قديماً كانت تتألب عليه جبهة المعارضين والمنكرين وهم هؤلاء الثلاثة» اهـ[1].

وهذا المؤلف افتضح عقائدهم، وأزال عنها الخفاء، ونشر المكتوم، وأعلن المبهم، وهتك الستر فصرنا كلما وجدنا الظواهر متماثلة قطعنا في العينية.. وكنا قد وصفنا كتابه (دبستان مذاهب) في تاريخ اليزيدية[2] فلا نرى باعثاً لإعادة الكلام عليه.. ومهما يكن ففي هذه الوثائق واختلاف المستندات في العصور المتوالية مما يعرف بعقائدهم ولا نزال نتحرى ونثبت ما تيسر لنا العثور عليه. وسيأتي في حوادث سنة ٨٤١ هـ وما يليها من النصوص ما يوضح أكثر ويبصر بحقيقة نحلتهم.. وكل ما تلخصه هنا للقارىء مما مر أن القوم من الغلاة وأغراضهم مصروفة إلى إهمال القرآن وأنه مبدل، ودعوة الناس إلى لزوم نبذه.. وفي هذا ما يكفي لمعرفة دخائلهم ونواياهم الهدامة... وما عبادة الشمس والخروج بألفاظ القرآن إلى أمور لا تقرها اللغة ولا يساعد عليها النص إلا نتائج يتوصلون بها إلى تبديل معانيه عند من لا يجسر على المجاهرة في تكذيبه.. وفي گوران عقائدهم شائعة ولكنهم يتكتمون فيها وفي عبادة الشمس. وقد حكى لي جماعة عن عبادتهم الشمس عند بزوغها وغروبها..

(١) دبستان مذاهب ص ٢٤١.

(٢) تاريخ اليزيدية ص ٢٢.

حوادث سنة ٧٨٧ هـ ـ ١٣٨٥ م

شاه شجاع من آل المظفر:

في هذه السنة توفي شاه شجاع وقد مر الكلام على تكون إمارتهم في إيران وأوضحت بعض علاقاتهم بنا.. وأن شاه شجاع ولي الحكم عام ٧٦٠ هـ وكان قد استبد بوالده هو وشاه محمود ابنه الآخر فكحلوه وسجنوه... وتولى ذلك شاه شجاع في قلعة من عمل شيراز سنة ٧٦٥ هـ وفي السنة المذكورة وقع الخلف بين شاه محمود وشاه شجاع فسار إليه شاه محمود من أصبهان بعد أن استجار بالسلطان أويس الجلايري فأمده بالعساكر وملك شيراز ولحق شاه شجاع بكرمان من أعماله وأقام بها، واختلف عليه عماله ثم استقاموا على طاعته، ثم جمع بعد ثلاث سنوات ورجع إلى شيراز فآل الأمر إلى انتصاره ففارقها أخوه محمود إلى أصبهان وأقام بها إلى أن هلك سنة ٧٧٦ هـ فاستضافها إلى أعماله وأقطعها لابنه زين العابدين وزوجه بنت السلطان أويس وكانت تحت محمود، وقد مرت الإشارة إلى وقائعه مع الجلايرية، ثم هلك شاه شجاع سنة ٧٨٧ هـ وصادف ذلك ظهور تيمورلنك في تلك الأنحاء أيام النزاع على السلطة بينه وبين أقاربه فقارع الملك بعضاً وقرب آخرين إلى أن عاد إلى مملكته. وقد مضى الكلام على شاه منصور والتجائه إلى السلطان أحمد...

وكان شاه شجاع ملكاً، عادلاً، عالماً بفنون من العلم محباً للعلماء وكان يقرىء الكشاف والأصول والعربية وينظم الشعر بالعربية والفارسية ويكتب الخط الفائق مع سعة في العلم والحلم والكرم. وكان قد ابتلي بالنهم (كثرة الأكل) فكان لا يسير إلا والمأكول على البغال صحبته فلا يزال يأكل، ولما مات صار ولده زين العابدين بعده، وفي

أيام هذا انقرضت حكومتهم كما سيجيء[1].

آل فضل ـ عثمان بن قارا:

في هذه السنة توفي أمير آل فضل وهو عثمان بن قارا بن مهنا بن عيسى وكان شاباً كريماً شجاعاً جميلاً يحب اللهو والخلاعة ومات شاباً قاله ابن حجر. كذا في الشذرات والأنباء[2] وهذا لم يكن أميراً منصوباً من الحكومة ولكنه من أبناء الأمراء وقد ورد في الدرر الكامنة بلفظ عثمان بن قارا بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حذيفة (حديثة) بن فضل أمير العرب من آل فضل بالشام والعراق... وهو ابن أخي نعير[3] ويؤيده ما جاء في الأنباء من أنه عثمان بن قارا بن مهنا بن عيسى وجاء في الشذرات بلفظ (فار) وليس بصحيح وكذا ما جاء في ابن خلدون بلفظ (قارىء) و (قارة) وهو غلط ناشئ.

وفي عقد الجمان جاء قارا بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع.. وقد مر الكلام عليه في حوادث سنة ٧٨٢ هـ كما ذكر الأمير حيار بن مهنا في حوادث سنة ٧٧٦ هـ.

وهنا نقول: إن هذه القبيلة لم تنقطع سكناها عن العراق بل لا تزال قاطنة فيه إلى اليوم... فالعلاقة والارتباط موجودان.. ويؤيد هذا ما جاء في ابن خلدون من أن هذه القبيلة وكذا أمراؤها من آل فضل رحالة ما بين الشام والجزيرة ونجد من أرض الحجاز يتقلبون بينها في الرحلتين وينتسبون في طيىء ومعهم أحياء زبيد وكلب وهذيل ومذحج

---

(١) الدرر الكامنة ج ٢ ص ١٨٧، وتاريخ محمود كيتي.

(٢) الشذرات ج ٦، والأنباء ج ١ حوادث هذه السنة.

(٣) ج ٢ ص ٤٤٧.

أحلاف لهم ويناهضهم في الغلب والعدد آل مراد[1] ثم ذكر ابن خلدون مواطن إقامتهم من سورية وكذا إقامة زبيد...

والناحية المهمة التي يجب الالتفات إليها هي أن آل فضل اتصلوا بالحكومة السورية وتعهدوا لها في إصلاح السابلة بين الشام والعراق فأقطعتهم الإقطاعات وولتهم الإمارة العشائرية والرياسة العامة لا لهذا الغرض وحده بل حذراً من أن يميلوا إلى التتر لعلمهم أن العربي لا يتقيد ببقعة خاصة ولا يقبل بالذل وقاعدتهم الطبيعية (وإذا نبا بك منزل فتحول) فاستظهروا برياستهم على آل مراء (مرى) وغلبوهم على المشاتي..

ومهنا هذا هو ابن مانع بن جذيلة (ورد بلفظ حديثة وهو الأشبه بالصواب نظراً لتكرره) بن فضل بن بدر بن ربيعة بن علي بن مفرج بن بدر بن سالم بن حصة بن بدر بن سنبس ويقفون عند هذا فلا يتجاوزونه في العد...

وقد مر بنا في حوادث عام ٧٤٩ هـ الكلام على إمارة أحمد بن مهنا... وقبله كانت الفتنة قائمة بين سيف بن فضل وبين فياض بن مهنا فسكنت في أيام أحمد المذكور...

ثم توفي في سنة ٧٤٩ هـ فولي مكانه أخوه فياض وهلك سنة ٧٦٢هـ فولي مكانه حيار[2] بن مهنا فولي مكانه ابن عمه زامل بن

---

(١) ورد فيما سبق من النصوص أنهم يطلق عليهم آل مرا وبينا ذبحة المرا المعروفة ولعله تخفيف لمراد التي جاءت في ابن خلدون وقد رأينا صاحب الدرر الكامنة يكتبها بلفظ ـ مرى ـ مقصورة وهم قبيلة من طيىء تنازعت مع هؤلاء الأمراء من آل فضل فكانت الحروب بينها على الإمرة طاحنة جداً...

(٢) جاء في ابن بطوطة ـ حيار ـ بالحاء والياء وهو الصحيح وورد في الدرر أيضاً في حرف الحاء... وفي ابن خلدون جاء بلفظ خيار وهو غلط ناسخ.

موسى بن عيسى سنة ٧٧٠ هـ وكان معه بنو كلاب فعاث في أنحاء حلب فولي مكانه معيقل بن فضل بن عيسى وفي سنة ٧٧٥ هـ أعيد حيار إلى إمارته فتوفي سنة ٧٧٧ هـ فولي أخوه قارا[١] إلى أن توفي سنة ٧٨١ هـ فولي مكانه معيقل بن فضل[٢] وزامل بن موسى المذكوران شريكين في إمارتهما ثم عزلا لسنة ولايتهما وولي نعير[٣] ابن حيار بن مهنا واسمه محمد ولا يزال أميراً على آل فضل وجميع أحياء طيىء[٤] بالشام والسلطان يزاحمه بحجر بن محمد بن قارا حتى سخط عليه وظاهر محمد بن قارا ثم سخط عليه وولي مكانهما ابن عمهما محمد بن كوكبتين بن موسى بن عساف بن مهنا فقام بأمر العرب وبقي نعير متبذاً بالقفر[٥].

والحاصل أن رياسة طيىء وإمارتها لا تزال إلى هذا العهد الذي تكتب عنه لآل فضل وبينهم آل مهنا وآل فضل وقد نازعهم الإمارة (آل علي) من طيىء أيضاً إلا أنهم لم تدم لهم الإمارة وعرف منهم محمد بن أبي بكر ثم عادت إلى آل فضل بالوجه الموضح.. ولا مجال للإطناب في أمر علاقة هؤلاء بالعراق... نظراً لقلة التدوينات فيها.

---

(١) ورد قارة وفي موطن آخر قارى وهذا هو قارا والد عثمان المترجم.

(٢) ورد في الأنباء معقل بن فضل بن مهنا أحد أمراء العرب من آل فضل كما في حوادث سنة ٧٨٦ هـ.

(٣) ورد بلفظ بعير وبصير في ج ٦ صحيفة ١٠ و ١١ من ابن خلدون مكرراً والصحيح نعير.

(٤) الجلد الخامس من ابن خلدون.

(٥) ابن خلدون ج ٥ و ٦ ص ١٠ ـ ١١.

حوادث سنة ٧٨٨ هـ ـ ١٣٨٦ م

اجتياح تبريز:

في هذه السنة اجتاح تيمورلنك مدينة تبريز نقل ذلك صاحب عقد الجمان وفصل القول عن ظهوره تفصيلاً زائداً وسيأتي الكلام على تاريخ ظهوره عند الكلام على اكتساح بغداد في حينه... وهنا نقول إن صاحب الأنباء ذكر أن اللنك قصد تبريز ونازلها وواقع صاحبها أحمد بن أويس إلى أن كسره وانهزم إلى بغداد ودخل تيمورلنك تبريز فأباد أهلها وخربها وجهز أحمد بن أويس إلى صاحب مصر امرأة يخبره بأمر تيمورلنك ويحذره منه ويخبره بأنه توجه إلى قراباغ ليشتي بها ثم يعود في الصيف إلى بغداد فوصلت المرأة إلى دمشق فجهزها بيدمر صحبة قريبه جبرئيل[1].

وكان في هذه السنة أيضاً طرق اللنك شيراز فحاربه شاه منصور وقد ثبت ثباتاً عظيماً. ذكر ذلك صاحب الأنباء.

النزاع على إمارة مكة المكرمة:

انقطعت العلاقة السياسية بين مكة المكرمة والعراق إلا من الناحية الدينية وهي الحج وتقديم بعض الهدايا والخيرات، وقصد البيت الحرام للزيارة وإلا فلم تقع تدخلات في الإدارة كما مضى القول عليه ففي هذه السنة في شعبانها توفي أمير مكة الشهاب أحمد بن عجلان بن رميثة بن نمي الحسيني واستقر ولده محمد بن أحمد فعمد كبيش بن عجلان إلى أقاربه فكحلهم منهم أحمد بن ثقبة وولده وحسن بن ثقبة ومحمد بن عجلان ففر منه عنان[2] بن مغامس إلى القاهرة فشكا إلى سلطانها من

---

(١) الأنباء ج ١.

(٢) جاء في ابن خلدون «عنان» بالنون ر: ج ٥ ص ٤٨١.

صنيعه والتزم بتعمير مكة وسعى في أمرتها فأجيب إلى ذلك. قال ابن حجر: كان أحمد بن عجلان عظيم الرياسة والحشمة اقتنى من العقار والعبيد شيئاً كثيراً إلى غير ذلك[1].

وهذا غير أحمد بن رميثة الذي مر الكلام عليه في حوادث سنة ٧٤٠ هـ وقد جاء ذكر هذا في ابن خلدون وفيه بيان لعلاقتهم بحكومة مصر وتدخلاتها بشؤونهم وتفصيل لمن ولي الإمارة منهم..[2].

وفيات

١ - شمس الدين محمد الحلي:

هو شمس الدين محمد بن الحسين بن أحمد الحلي ويعرف بابن البقال ولد بالحلة في جمادى الأولى سنة ٧٠٨ وتعاني الآداب فمهر وقدم حلب ومدح أعيانها كتب عنه أبو المعالي ابن عشائر من نظمه ما كتب به إلى الشريف عبد العزيز بن محمد الهاشمي ومن نظمه:

يا صاحبي بأرض النيل لي قمر بهجته أبهى من القمر
ورد الخدود ورمان النهود على بان القدود به قد عيل مصطبري

توفي في حدود سنة ٧٨٨[3].

حوادث سنة ٧٨٩ هـ - ١٣٨٧ م

اللنك وحوادثه:

في هذه السنة عاد اللنك مرة أخرى إلى عراق العجم فاستقبله ملوكها، وأذعنوا بالطاعة مثل اسكندر الجلالي، وإبراهيم العجمي، وأبي

---

(١) «الشذرات ج ٦».
(٢) ابن خلدون ج ٥ ص ٤٨٢.
(٣) الدرر الكامنة ج ٣.

إسحق السرجاني وسلطان أحمد ابن أخي شاه شجاع وابن عمه شاه يحيى، فكان جملة من اجتمع عنده من ملوك العجم ١٧ ملكاً فبلغه على أنهم تواعدوا على الفتك به فسبقهم وأمر بالقبض عليهم وقد اجتمعوا في خيمة وقرر في ممالكهم أولاده وأحفاده وبيع ذراري المقتولين فلم يبق منهم أحد. ثم توجه نحو عراق العرب فبلغ ذلك أحمد بن أويس فجهز له عسكراً كثيفاً مع أمير يقال له استباي[1]. فتلاقيا على مدينة سلطانية فانهزم جند بغداد فلم يتبعهم اللنك وعطف على همذان وما يليها وقبض على متوليها؛ واستناب فيها ثم كر راجعاً إلى بغداد وبلغ أحمد بن أويس ذلك فعرف أنه لا طاقة له بلقائه وكان أحمد بن أويس استولى على مملكة تبريز عوضاً عن أخيه حسين بعد قتله ولم يلبث إلا قليلاً حتى فاجأه عسكر اللنك فلما بلغه ذلك رحل عنها وترك أهلها حيارى فهجم عليهم العسكر عنوة فانتهبوها وقتلوا منها ما لا يمكن شرحه وأقاموا بها شهر رجب كله لاستخلاص الأموال وتخريب الدور وتعذيب ذوي الأموال بالعصر والإحراق والضرب وأنواع العذاب وانتهكوا الحرمات وسبوا الحريم والذراري وكان اللنك قبل ذلك قد استولى على تبريز وفعل بها الأفاعيل. وكان أحمد بن أويس قد أرسل ذخائره وحريمه وأولاده إلى قلعة يقال لها نجا في غاية الحصانة وقرر فيها أميراً يقال له آلتون مع ثلثمائة نفس من أهل النجدة فسار له اللنك فلم يقدر عليها وقتل في الحصار أميران كبيران من عسكره ثم رحل عنها لما سمع أن قد طرق بلاده طقتمش خان وأنه قد تعرض لأطراف بلاده راجعاً أيضاً. ولما بلغ ذلك قرا محمد التركماني انتهز الفرصة ووصل إلى تبريز فملكها وقرر فيها ولده مصر خجا (مصر خواجة) ورجع إلى بلاده وفي ٩ رجب أمر المحتسب بطلب ذوي الأموال واستخراج زكواتها منها وأن يتولى قاضي

---

(١) ورد في عجائب المقدور «سنتاي» وكان هذا قد ألبسه السلطان أحمد المقنعة وأشهره في بغداد بعد أن ضربه وأوجعه لما رأى من هزيمته. «ص ٤٠ منه».

الحنفية الطرابلسي تحليفهم فعمل ذلك في يوم واحد. فلما ورد الخبر برجوع تيمورلنك رد على الناس ما أخذ منهم وبطلت مطالبتهم في الزكاة وبالخراج أيضاً[1].

قلعة النجا:

لما رأى السلطان أحمد أنه لا قدرة له بمقابلة هذا الطاغية قرر الخروج من ممالكه بغداد والعراق وتبريز، وجهز ما يخاف عليه صحبة ابنه السلطان طاهر إلى قلعة النجا، ثم قصد البلاد الشامية في سنة ٧٩٥ هـ في حياة الملك الظاهر أبي سعيد برقوق، فوصل تيمور إلى تبريز ونهب بها، ووجه إلى قلعة النجا العساكر لأنها كانت معقل السلطان أحمد، وبها ولده وزوجته والذخائر، وتوجه هو إلى بغداد... وكان الوالي بالنجا رجلاً شديد البأس يدعى آلتون كان يعتمد عليه ومنه جماعة نحواً من ثلثمائة رجل، كان يزل بهم آلتون ليلاً ويشن الغارة... فوهن أمر العسكر فأبلغوا تيمور ذلك فأمدهم بنحو ٤٠ ألفاً مع أربعة أمراء كبيرهم يدعى فبلغ تيمور فوصلوا إلى القلعة ولم يكن إذ ذاك آلتون فيها فتعاضد ومن معه بهمة صادقة فاخترقوا الصفوف وقتلوا من العسكر أميرين أحدهما قبلغ تيمور.. فلما سمع تيمورلنك نهض إليها بنفسه وأحاط بجوانبها...

وكانت هذه القلعة أمنع من عقاب الجو فلم يتمكن منها تيمور، وكان آلتون عارفاً بشعابها، ويهاجم عدوه ليلاً وفي أوقات مختلفة فيسلب وينهب ويقتل ويرجع سالماً، ولم يزل هذا دأبه حتى أعجز تيمور وأصحابه، فلم ير تيمور بداً من الارتحال لضيق المجال فارتحل بعد أن رتب للحصار اليزك، واستمر الحصار مدة طويلة، قيل إنها مكثت في

---

(١) الأنباء ج ١.

الحصار اثنتي عشرة سنة ثم استولى عليها. وتمام القصة مذكور في عجائب المقدور[1].

والحق أن الدفاع والحصار والقدرة تابعة لقوة النفس وعزتها... فإذا أرادت أن لا تستذل قاومت وناضلت، ولو كان كل بلد قارع هذا القراع وجادل جدال رجال هذه القلعة لتمكن من المحافظة على استقلاله، والاعتزاز بكيانه... والخوف والخذلان ما استوليا على أمة إلا نالها ما نال الأقوام أمام تيمور... تفسخوا فتمكن منهم أكثر مما كان لديه من قوة...

وفيات

العز الموصلي:

وهو علي بن الحسين بن علي بن أبي بكر بن محمد بن أبي الخير، العلامة عز الدين الموصلي الشاعر نزيل دمشق مهر في النظم وجلس مع الشهود بدمشق تحت الساعات وأقام بحلب مدة وجمع ديوان شعره في مجلد وله البديعية المشهورة قصيدة نبوية عارض بها بديعية الصفي الحلي... وشرحها في مجلدة وله أخرى لامية على وزن (بانت سعاد) مات سنة ٧٨٩ هـ[2].

حوادث سنة ٧٩٠ هـ ـ ١٣٨٨ م

١ ـ شجاع الدين أبي بكر السنجاري:

في هذه السنة توفي شجاع الدين أبو بكر بن محمد بن قاسم

---

(١) عجائب المقدور ص ٤٤.

(٢) الدرر ج ٣ ص ٤٣.

السنجاري الحنبلي نزيل بغداد الشيخ الإمام المحدث كان فاضلاً مسنداً حدث بالكثير وحدث عنه الشيخ نصر الله البغدادي وولده قاضي القضاة محب الدين وتوفي عن ثمانين سنة[1].

٢ ـ ابن الدواليبي:

في هذه السنة توفي عبد المحسن بن عبد الدائم بن عبد المحسن ابن محمد الدواليبي البغدادي الحنبلي. ولد سنة ٧٢٣ هـ وروى عن جده عفيف الدين عبد المحسن بن محمد وغيره وكان واعظاً يكنى أبا المحاسن ذكره في الأنباء وقد مر الكلام على جده الأعلى وهو محمد ابن عبد المحسن المعروف بابن الخراط والدواليبي وهو عفيف الدين في كما جاء في المجلد الأول في هذا الكتاب[2].

٣ ـ بدر الدين محمد بن إسماعيل الإربلي:

وهو المعروف بابن الكحال عني بالفقه والأصول، وكان جيد الفهم، فقيراً، ذا عيال. .[3]

حوادث سنة ٧٩١ هـ ـ ١٣٨٩ م

التصلية بعد الأذان:

في هذه السنة كانت التصلية بعد أذان المغرب لضيق وقتها، وروعي فيها ما كان يراعى من التصلية كل ليلة جمعة ذكر ذلك في الأنباء. وهذا يعد تاريخ استعمالها في مصر وسورية. . .

---

(١) الشذرات ج ٦ وفي الدرر الكامنة أنه سمع من أحمد بن يوسف بن إبراهيم الكرسي، وعن التقي الدقوقي وأخذ عنه كثيرون عد بعضهم صاحب الدرر ـ ج ١ ص ٤٦١.

(٢) الأنباء ج١.

(٣) الأنباء ج ١.

حوادث سنة ٧٩٢ هـ - ١٣٩٠ م

وفيات

١ - شرف الدين إسماعيل الفروي:

في هذه السنة توفي شرف الدين إسماعيل الفقيه ابن حاجي الأزدي الفروي بفتح الفاء وسكون الراء نسبة إلى فروة، الفقيه الشافعي، كان أحد علماء بغداد، ثم قدم دمشق في حدود السبعين، فأفاد بها في الجامع وغيره ودرس بالعينية وغيرها وكان ديناً خيراً تصدق بما تملكه في مرض موته ومات في صفر[١].

حوادث سنة ٧٩٤ هـ - ١٣٩٢ م

شاه منصور من آل المظفر - تيمورلنك:

في هذه السنة رجع تيمورلنك إلى إيران وقصد عراق العجم في جمع عظيم فملك أصبهان وكرمان وشيراز وفعل بها الأفاعيل المنكرة ثم قصد شيراز فتهيأ شاه منصور لحربه فبلغ تيمورلنك اختلاف من في سمرقند فرجع إليها فلم يأمن شاه منصور من ذلك بل استمر على حذره ثم تحقق رجوع تيمورلنك فأمن فبغته تيمورلنك فجمع أمواله وتوجه إلى هرمز ثم انثنى عزمه وعزم لقاء تيمورلنك فالتقى بعسكره وصبروا صبر الأحرار لكن الكثرة غلبت الشجاعة فقتل الشاه منصور في المعركة ثم استدعى ملوك البلاد فأتوه طائعين فجمعهم في دعوة وقتلهم أجمعين[٢].

وكانت هذه الوقعة مقدمة المسير إلى بغداد فاضطرب الأهلون وأصابهم الخوف وكذا السلطان أحمد وسيأتي الكلام على ذلك عند ذكر

---

(١) الشذرات ج ٦، والأنباء ج ١، والدرر الكامنة ج ١ ص ٣٦٥.
(٢) الأنباء ج ١.

وقعة بغداد. وشاه منصور هذا من آل المظفر وقد مضت بعض وقائعه.
وهكذا فعل تيمورلنك بإمارة اللر إلا أن حاكمها الملك عز الدين العباسي أطاعه فأنعم عليه مؤخراً بإمارته وأعاده إلى مكانته...

حوادث سنة ٧٩٥ هـ ـ ١٣٩٢ م

انقراض آل مظفر:

إن زين العابدين كان قد ولي الإمارة بعد والده شاه شجاع بالوجه المذكور وهذا كان قد ناهضه شاه منصور وقام من تستر وسار إلى شيراز فامتلكها وأخوه يحيى ولي يزد وذهب هو إلى أصفهان وامتلك عمهما أحمد بن محمد بن المظفر كرمان.

ثم كان ظهور تيمورلنك بالوجه المشروح فقارع هؤلاء وقرب بعضهم، دام ذلك إلى سنة ٧٨٧ هـ وبعدها عاد تيمورلنك إلى مملكته وفي سنة ٧٩٥ هـ اكتسح مملكتهم وانقرضت حكومتهم في هذه السنة..

ولم تقف حوادثه عند هذا الحد فقد عاث في تبريز وشيراز. فذاع خبره في الأقطار فارتاع لما يحكى عنه كل قلب فسار إلى السلطانية فنازلها وقتل صاحبها، ثم قصد تبريز فدخلها عنوة ونهبها كعادته وأرسل إلى جميع البلاد نواباً من قبله ثم طلب بغداد ومن ثم توجه نحو العراق[1].

---

(١) الأنباء ج ١، ومحمود كبتي والغياثي.

حكومة تيمور في العراق

في 20 شوال سنة 795 هـ ـ 1383 م

تيمورلنك ـ فتح بغداد:

كان ظهور تيمورلنك في إيران سابقاً لهذا التاريخ وقد مر الكلام على أوليته في هذا الجزء من الكتاب وأشير إلى وقائعه المباشرة في حوادث سنة ٧٨٦ هـ إلى هذه السنة لم يظهر لها أثر بارز بسبب الذهول والاندهاش الذي أصاب الناس أو أن حوادث تيمور غطت على غيرها. وفي يوم الجمعة ١١ شوال هذه السنة دخل تيمورلنك بغداد[1] وجاء في كتاب (بزم ورزم) أنه استولى على بغداد في ٢٠ شوال سنة ٧٩٥ هـ ولعل هذا هو الصحيح لأنه من معاصر حاضر الوقعة.. وفي التواريخ الأخرى ما يخالف هذه مما لا محل لاستقصائه الآن... وفر السلطان أحمد الجلايري من بغداد فكان هذا مبدأ حكمه على العراق.

تفصيل وقعة بغداد:

إن تيمورلنك قد استولى على مملكة العجم بطولها وعرضها. وتناولها ضرره وأصابها وباله، ذلك ما ولد الاضطراب في مدينة بغداد والعراق كله، وأزعج سلطان العرب وهو السلطان أحمد الجلايري فالتهب غيظاً عليه، وثار ثائر غضبه وحميته فجهز جيشاً عظيماً جعل آمر قيادته مودعة إلى أميره سنتائي[2] فعينه سرداراً (قائداً) وفوض إليه مهمة صد غائلة الأمير تيمور والوقوف في وجهه.. فلما سمع تيمورلنك اتخذ

---

(١) تاريخ تيمورلنك لمرتضى أفندي آل نظمي ص ٥٤.

(٢) جاء في تاريخ تيمورلنك لمرتضى أفندي آل نظمي البغدادي بلفظ «وسناي» صحيفة ١٤٨. وقد ذكرنا فيما مر عن الأنباء وغيره الاختلاف في تلفظ اسم هذا القائد...

هذا وسيلة للتقدم نحو العراق والوقيعة بالسلطان أحمد.. وحينئذٍ تقابل الجيشان قرب مدينة السلطانية من ممالك السلطان أحمد فكانت جيوش تيمور لا تحصى عداً ولهجومها وقع كبير في نفوس الجيش الجلايري فقد هجموا هجوماً عاماً فكانت المعركة دامية فلم يطق القوم الصبر عليها ففروا من وجه عدوهم وتفرقوا شذر مذر في الأنحاء والأطراف فعاد الأمير قائد الجيش إلى بغداد بخفي حنين.. فغضب السلطان عليه وضربه فأوجعه بالوجه المارّ... أما تيمور فإنه لم يستمر على سيره وإنما اكتفى بهذه النصرة وعاد إلى مملكته..

هذه أول علاقة حربية وقعت له مع السلطان وهي مقدمة فتح العراق وأن عودته تفسر في اتخاذ الأهبة الكافية للاستيلاء على بغداد... وهكذا فعل المغول قبله فلم تمض مدة حتى ظهرت طلائعه في لرستان وتبين جيشه هناك فقد كان إذا أراد السير [illegible] جهة أظهر أنه عازم على غيرها.. وكان حاكم اللر آنئذ الملك عز الدين [illegible] فهذا انقاد للأمير تيمور وقدم له المملكة فكانت [illegible] وبهذه الصورة استولى على همذان وبلاد اللر ولم يبق [illegible]..

وهذه الأخبار قد اضطرب لها العراق وسلطانه.. أما السلطان فإنه انتابته الهواجس وأصابته الفكر وأعوزته الحيل في الدفاع والنضال وسدت الطرقات أمامه فكان يتوقع النازلة ويترقب القارعة... فلم يجد خلاصاً إلا بالهزيمة وأن يترك العراق وتبريز.. ولذا أخذ ما تمكن على أخذه من نقود وأموال، وجعل ابنه طاهراً مع أهله وعياله في قلعة (النجا)[1] القريبة من شروان بالوجه المشروح.. ورحل هو من بغداد

---

(١) وصف صاحب عجائب المقدور قلعة النجا وبين مناعتها كما أنه تكلم عن بسالة القائد آلتون وما أتى به من عجائب الشجاعة وما ناله في سبيل الشهامة إلى أن قتل مما أشير إليه فيما سبق...

عام ٧٩٥ هـ ملتجئاً إلى الملك الظاهر أبي سعيد برقوق..

أما تيمور فإنه سار إلى تبريز فنهبها وأذل أهليها ثم وجه قسماً من العسكر نحو (قلعة النجا) كما تقدم.. وسار هو نحو بغداد..

قال صاحب عجائب المقدور:

ولما استولى السلطان (السلطان أحمد) على ممالك العراق مد يد تعديه.. وشرع يظلم نفسه ورعيته، ويذهب في الجور والفساد... بالغ في الفسق والفجور، فتجاهر بالمعاصي. واتخذ سفك الدماء إلى سلب الأفراض وثلم الأعراض سلماً. فقيل إن أهل بغداد مجوه واستغاثوا بتيمور.. فلم يشعر إلا والتتار قد دهمته.. وذلك يوم السبت[1] (١١ شوال سنة ٧٩٥ هـ) فاقتحموا بخيلهم دجلة وقصدوا الأسوار، ولم يمنعهم ذلك البحر التيار، ورماهم أهل البلد بالسهام، وعلم أحمد أنه لا ينجيه إلا الانهزام فخرج فيمن يثق به قاصداً الشام فتبعه من الجغتاي طائفة. فجعل يكر عليهم ويفر منهم فيطمعهم وحصل بينهم قتال شديد، وقتل من الطائفتين عدد عديد، حتى وصل إلى الحلة فعبر من جسرها.. ثم قطع الجسر ونجا من ورطة الأسر، واستمرت التتار في عقبه تكاد أنوفها تدخل في ذنبه فوصلوا إلى الجسر ووجدوه مقطوعاً فترامو في الماء وخرجوا من الجانب الآخر ولم يزالوا تابعاً ومتبوعاً ففاتهم ووصل إلى مشهد الإمام وبينه وبين بغداد ثلاثة أيام.» اهـ.

ولم يوضح وقعة بغداد وإنما اكتفى بما سرده وقال في موطن آخر:

«فوصل تيمور إلى تبريز ونهب بها. ووجه إلى قلعة النجا العساكر...

---

(١) ومثله في تاريخ مرتضى آل نظمي موافقاً لما ذكره ابن خلدون وفي هذا مخالفة لما جاء في روضة الصفا وحبيب السير... وفي كتاب بزم ورزم والظاهر أنهم تابعوا صاحب عجائب المقدور ونقلوا منه... وذكر الغياثي أن هذه الحادثة وقعت بتاريخ ٢١ شوال يوم السبت من هذه السنة.

وتوجه هو إلى بغداد ونهبها ولم يخربها ولكن سلبها سلبها» اهـ[1].

وفي ابن خلدون جاء عنه بعد عودته من أصل مملكته ما نصه:

«ثم خطا إلى أصبهان وعراق العجم والري وفارس وكرمان فملك جميعها من بني المظفر اليزدي بعد حروب هلك فيها ملوكها وبادت جموعها. وشد أحمد ببغداد عزائمه وجمع عساكره وأخذ في الاستعداد ثم عدل إلى مصانعته ومهاداته فلم يغن ذلك عنه وما زال تيمور يخادعه بالملاطفة والمراسلة إلى أن فتر عزمه وافترقت عساكره فنهض إليه يغذ السير في غفلة منه حتى انتهى إلى دجلة وسبق النذير إلى أحمد فأسرى بغلس ليله وحمل ما أقلته الرواحل من أمواله وذخائره وحرق سفن دجلة ومر بنهر الحلة فقطعه وصبح مشهد علي (رض) ووافى تيمور وعساكره دجلة في ١١ شوال سنة ٧٩٥ هـ ولم يجد السفن فاقتحم بعساكره النهر ودخل بغداد واستولى عليها وبعث العساكر في اتباع أحمد فساروا إلى الحلة وقد قطع جسرها فخاضوا النهر عندها وأدركوا أحمد بمشهد علي (رض) واستولوا على أثقاله ورواحله فكر عليهم في جموعه واستماتوا وقتل الأمير الذي في اتباعه ورجع بقية التتر عنهم ونجا أحمد إلى الرحبة من تخوم الشام.» اهـ[2].

قال في الأنباء وفي هذه السنة (٧٩٥ هـ) طلب بغداد وذلك في أواخر شوال فنازلها في ذي القعدة[3] فلم يلبث صاحبها أحمد أن أخذ خزائنه وحريمه وهرب فبلغ تيمورلنك فأرسل ابنه مرزا في طلبه فأدركه فلما كاد أن يقضي عليه رمى بنفسه في الماء فسبح إلى الجهة الأخرى وسلم هو ومن معه، وأحيط بأهله وخزائنه وهجم تيمورلنك على بغداد

---

(١) عجائب المقدور ص ٤٧ و ٤٣.

(٢) «ج ٥ ص ٥٥٥ ابن خلدون».

(٣) في موطن آخر قال: «كان دخول تيمورلنك بغداد في شوال».

فملكها قهراً ثم شن الغارات على بلاد بغداد وما حولها وما داناها وعادوا إلى البصرة والكركر (كذا)[1] والحلة وغيرها وأوسعوا القتل والفتك والسبي والأسر والنهب والتعذيب وفر من نجا من أهل بغداد فوصل الشيخ غياث الدين العادلي إلى حصن كيفا هارباً فأكرمه صاحبها..

وإنما هرب أحمد بن أويس من بغداد لأنه كان شديد العسف بالرعية ولما قصده تيمورلنك كان إذا أرسل أحداً من الأمراء يكشف خبره يعيد إليه جواباً غير شاف فعميت عليه الأخبار إلى أن دهمه فلم يكن بد من نجاته فخرج من أحد أبواب البلد وفتح أهل البلد الباب الآخر لتيمورلنك فأرسل في طلب أحمد ففات الطلب ودخل الشام وكان تيمورلنك قد غلب قبل ذلك على تبريز وكاتب أحمد أن يذعن له بالطاعة ويخطب باسمه فأجاب لذلك لعلمه أن لا طاقة له بمحاربته فكاتب أهل بغداد تيمورلنك في الوصول إليهم فوصل وكان أحمد أرسل الشيخ نور الدين الخراساني إلى تيمور فأكرمه وقال أنا أتركها لأجلك ورحل، وكتب الشيخ نور الدين الخراساني يبشره بذلك وسار تيمورلنك من ناحية أخرى فلم يشعر أحمد وهو مطمئن إلا وتيمور قد نزل بغداد في الجانب الغربي فأمر أحمد بقطع الجسر ورحل وهرب أحمد لكن لم يعامل تيمورلنك البغداديين بما كسبوه فإنه سطا عليهم واستصفى أموالهم وهتك عسكره حريمهم وخلا عنها كثير من أهلها وأرسل عسكراً في أثر ابن أويس فأدركوه بالحلة فنهبوا ما معه وسبوا حريمه وهرب هو ووضع السيف بأهل الحلة ليلاً ونهبوها وأضرمت فيها النار. ولما وصل أحمد في هزيمته إلى الرحبة أكرمه نعير (أمير آل فضل) وأنزله في بيوته ثم تحول إلى حلب فنزل الميدان وأكرمه نائبها وطالع السلطان بخبره فأذن له في دخول القاهرة...» اهـ[2].

---

(١) يرى الفاضل مصطفى جواد أن صوابها (كسكر).

(٢) الأنباء ج ١ وفيه تفصيل عن نعير أمير آل فضل وأولاده أبي بكر وعمر وكانوا عصوا على حكومة سورية ثم طلبوا الأمان..

وفي حبيب السير يوضح أكثر عن تيمور ووصوله إلى بغداد بتفصيل قال: .

«إن الأمير تيمور كور كان بعد أن فتح مملكة العجم لم ير قاصداً من سلطان بغداد، ولا أذعن له بطاعة فكان همّ الأمير تيمور مصروفاً إلى فتح عراق العرب. وفي ٢٦ رجب سنة ٧٩٥ هـ توجه من أصفهان نحو همذان وبقي فيها بضعة أيام للاستراحة وفوض إدارة أنحاء آذربيجان إلى الشهزادة معز الدين ميرانشاه ويوم الثلاثاء ١٣ شعبان هذه السنة نهض من همذان وفي أوائل رمضان وصل صحراء قولاغي. . . وفي يوم الأحد ١٠ رمضان عاد من صحراء قولاغي ووافى آق بولاق وقضى أيام رمضان هناك. وأجرى في غرة شوال مراسيم العيد. وبعد يومين جاءه الشيخ عبد الرحمن الأسفرايني من أعاظم مشائخ العصر[1] وبين له أنه رسول السلطان أحمد الجلايري فعظمه الأمير تيمور واحترمه غاية الاحترام إلا أنه لم يقبل منه الهدايا من جراء أن السلطان أحمد لم يضرب السكة باسمه ولا خطب [illegible] الشيخ فإنه نال بشخصه من الأمير تيمور الخلعة وكل [illegible] ولم يتوان الأمير تيمور في السير وأعاد الرسول، وفي يوم الجمعة ١٣ شوال نهض الأمير تيمور من آق بولاق وفي ثلاثة أيام وصل مزار الشيخ يحيى المسمى بقبة إبراهيم وحين عاين أهل القبة غبار العسكر قبل وصولهم إليهم أرسلوا إلى بغداد حمامة بورقة تخبر بمجيء تيمور فلما وصل تيمور القبة سأل منهم هل أرسلتم خبراً قالوا نعم أرسلنا حمامة فطلب منهم حمامة أخرى وأمرهم في الحال أن يكتبوا كتاباً آخر يبينون فيه أن الغبار الذي رأيناه كان غبار التراكمة والأحشام الذين هربوا من عسكر تيمور وجاؤوا إلى هذه الأطراف وأرسلوها فلما وصلت الحمامة الأولى إلى بغداد عبر السلطان

---

(١) جاء في الأنباء أن رسول السلطان هو الشيخ نور الدين الخراساني كما تقدم.

أحمد إلى الجانب الغربي وعبر جميع أثقاله وبراقه وخيله وعسكره وعياله ولما جاءت الحمامة الأخرى سكن روعه إلا أنه توقف هو وأرسل الأثقال أمامه. أما تيمور فقد سارع في سيره نحو بغداد... وفي ٢٩ شوال[١] وافى الأمير تيمور بغداد... أما السلطان أحمد فإنه عبر إلى الجانب الغربي وأغرق السفن ورفع الجسر وفر إلى الحلة وكان عبر جيشه بسفينة[٢] الثقات كما أنه هو عبر بالسفينة الخاصة به المسماة شمس[٣] وحمل ما استطاع حمله من نقود ومجوهرات ونفائس على البغال والإبل ومضى في طريقه بسرعة لا مزيد عليها.. وكان معه جماعة من الأمراء. فتعقب أثره رجال الأمير تيمور ولم يمهلوه في سيره فانقطع جماعة من قومه وترك أثقالاً كثيرة. فلم يظفر العدو به... اهـ ملخصاً منه ومن الغياثي...

وفي روضة الصفا مثله وزاد أنه لم يتعرض جيش الأمير تيمور بالأهلين واستراح هناك مدة... ويروى أنه أخذ منهم (مال الأمان) ولم يقع أي تعد عليهم من الجيش وفيه موافقة لما جاء في عجائب المقدور نوعاً ونقل أن المؤرخ نظام الدين[٤] شاهد جيش تيمور في بغداد وبين

---

(١) في هذا مخالفة للتواريخ الأخرى وأن حبيب السير وروضة الصفا يكادان يتفقان في الموضوع إلا أن في كل منهما تفصيلات ليس في الآخر لمن أراد التوسع.

(٢) هذه تمكن أمراء تيمور من الحصول عليها دون أن يصيبها ضرر وكان ركبها الأمير تيمور كما أن أمير زاده ميرانشاه عبر من دجلة ومضى إلى العقابية.

(٣) جاء في الغياثي: «كان للسلطان أحمد سفينتان إحداهما يقال لها «الشمس» بيضاء ولها ثلاثون مجذافاً، والأخرى يقال لها «القمر» ولها ثمانية وعشرون مجذافاً أحمر فرأوا سفينة الشمس سليمة فدخل تيمور فيها وعبر إلى الجانب الغربي ص ١٩١.

(٤) ونظام الدين هذا هو المعروف بنظام الشامي كتب تاريخ تيمور على حدة في ـ كتاب ظفر نامه ـ وكان بأمر من تيمور وفي كتابه هذا أوضح عن قبائل الجغتاي وأحوالهم التاريخية ويحتوي وقائع تيمور إلى سنة ٨٠٦ هـ أي قبل وفاته بسنة، وعلى ما نقل بلوشه أن نسخة من هذا التاريخ في المتحفة البريطانية برقم ٢٩٨٠ ـ إسلامده تاريخ ومؤرخلر ـ.

أنه لا يحصى عدّاً ولا يحصر استقصاء.... فالناس اطمأنوا وطابت خواطرهم، وأما التجارة فإنها اتصلت بالعراق من سائر الممالك التي في حوزة الأمير تيمور بأمان وطمأنينة...

والحاصل من النصوص المتقدمة عرفنا بعض الشيء عن فتح بغداد والاستيلاء عليها فصارت العراق ضمن ممتلكات تيمور وتحت سلطته وسيطرته ومن ثم استولى على أنحاء بغداد الأخرى وسار بعض أمرائه إلى واسط والبصرة.. وأما كثافة الجيش وكثرته فإنها لم تقف عند هذا الحد وإنما انتشرت في الأنحاء الأخرى ووجهتها الموصل وفي طريقها مضت إلى تكريت... وأن تيمور توجه من بغداد إلى تكريت في ٢٤ ذي الحجة سنة ٧٩٥ هـ[1].

وفيات

1 ـ أحمد بن صالح البغدادي:

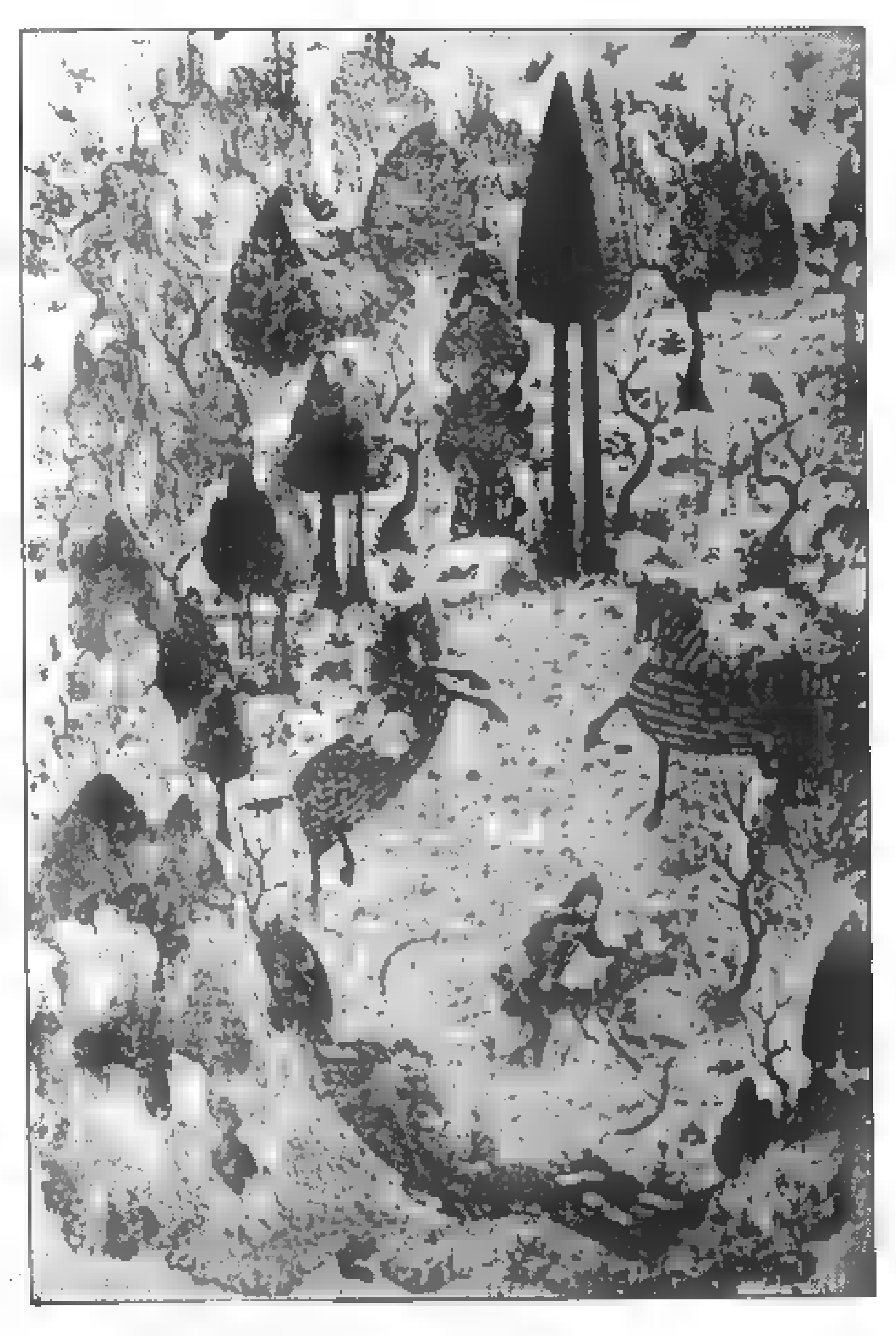
هو شهاب الدين أحمد خطيب جامع القصر ببغداد. كان من فقهاء الحنابلة مات قتيلاً بأيدي اللنكية (جيوش تيمورلنك) لما هجموا على بغداد سنة ٧٩٥ هـ[2].

(١) روضة الصفا ج ٦ ص ٦٧. وأورد المؤلف تعقيباً فيما يلي نصه:

في تاريخ ابن الفرات في حوادث سنة ٧٩٥ هـ جاء ذكر لابن قشعم (ثامر) تالم من الأمير نعير ومن حكومة الشام، فأمر عربانه بالرحيل إلى جهة نعير فجازوا على أملاكه بالبصرة فاستولوا عليها ونهبوها. وهناك تفصيلات عن آل مرى وعن نعير وأولاده مما لم نره في غيره (تاريخ ابن الفرات المجلد ٩ ج ٢ ص ٣٢٥ و٣٤٢).

وهكذا يستمر بسعة في حوادث بغداد والسلطان أحمد... وفي هذا ما يعين أول علاقة لابن قشعم وإمارته بالعراق، ولم يذكر اسم هذا الأمير في سلسلة الرؤساء الموجودين في المجلد الرابع، فجاء في هذا ما يبين عن أحد رؤسائهم.

(٢) الدرر الكامنة ج ١ ص ١٤٢، الأنباء ج ١.



هماي وهمايون ـ لوحة ١ ـ التصوير في الإسلام

٢ ـ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي:

هو الحافظ زين الدين عبد الرحمن البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي. ولد ببغداد سنة ٧٣٦ هـ، وسمع بمصر ودمشق ورافق زين الدين العراقي في السماع كثيراً ومهر في فنون الحديث أسماء ورجالاً وعللاً وطرقاً واطلاعاً على معانيه. صنف شرح الترمذي فأجاد فيه في نحو عشرة أسفار وشرح قطعة كبيرة من البخاري وشرح الأربعين للنووي في مجلدة وعمل وظائف الأيام سماه اللطائف، وعمل طبقات الحنابلة ذيلاً على طبقات أبي يعلى. وكان صاحب عبادة وتهجد، ونقم عليه إفتاؤه بمقالات ابن تيمية، ثم أظهر الرجوع عن ذلك فنافره التيميون فلم يكن مع هؤلاء ولا مع هؤلاء فكان قد ترك الإفتاء بآخره، وقال ابن حجر: أتقن الفن وصار أعرف أهل عصره بالعلل وتتبع الطرق وكان لا يخالط أحداً ولا يتردد إلى أحد، مات في رمضان رحمه الله تخرج به غالب أصحابنا الحنابلة بدمشق. هذا ما ذكره في الأنباء بصورة القطع دون تردد إلا أنه في الدرر الكامنة اضطربت كلمته فإنه بعد أن ترجمه بالوجه المذكور قال ويسمى عبد الرحمن بن الحسن بن محمد بن أبي البركات مسعود وبين أنه ولد في ربيع الأول سنة ٧٠٦ وفي مادة عبد الرحمن بن الحسن ترجمه أيضاً.. وهنا لم يتثبت من صحة الإعلام فاقتضت الإشارة والشرح هنا...[١].

٣ ـ عبد الرحيم ابن الفصيح:

عبد الرحيم بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن الفصيح الهمداني الأصل ثم الكوفي ثم الدمشقي الحنفي. قدم أبوه وعمه دمشق فأقام بها وأسمع أحمد أولاده من شيوخ العصر بعد الأربعين وقدم عبد الرحيم هذا القاهرة في سنة ٧٩٥. وفي هذه السنة حدث عن أبي عمرو بن المرابط بالسنن الكبرى للنسائي بسماعه منه في ثبت كان معه وقد وقعت

---

(١) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٢٢ وص ٣٢٧.

على الأصل بخط والده وثبته سماعه وسماع ولده بخط وليس فيهم عبد الرحيم. فلعله في نسخة أخرى. وحدث عن محمد بن إسماعيل بن الخباز بمسند الإمام أحمد كله، والاعتماد على ثبته أيضاً، وسمع منه غالب أصحابنا ثم رجع إلى دمشق فمات بها في شوال هذه السنة وهو والد صاحبنا شهاب الدين ابن الفصيح.

٤ ـ عمر بن نجم البغدادي:

عمر بن نجم بن يعقوب البغدادي نزيل الخليل، يعرف بالمجر وكان مشهوراً بالخير والعبادة مات في ذي الحجة وله ٦٣ سنة...

حوادث سنة ٧٩٦ هـ ـ ١٣٩٣ م
وقائع العراق الأخرى

وقعة تكريت:

بعد حادث بغداد وتخلص الإدارة للأمير تيمور لم يستقر جيشه في مكانه كما هو شأنه وإنما سار إلى ديار بكر فاستولى عليها... وفي الأثناء وجد أن قلعة تكريت قد عصت عليه وأنها لا تزال لم تذعن له بطاعة فسلط عليها مقداراً من عساكره فحاصروها يوم الثلاثاء ١٤ ذي الحجة من السنة الماضية فلم تسلم له بالأمان وصبر أهلها فراسلوا تيمور فأمدهم بأمير شاه ملك وأردفه بخواجة مسعود صاحب خراسان وأقام هو ببغداد إلى آخر السنة... فسلمت له بالأمان في صفر هذه السنة وكان متوليها حسن بن بولتمور وكانوا قد عاهدوه أن لا يراق دمه فقتل هو ومن بها من رجال وسبى النساء وأسر الأطفال والحاصل دمر تيمور القلعة ومضى عنها[1].

وفي ابن خلدون: «وقد كان بعد ما استولى على بغداد زحف في

---

(١) عجائب المقدور ص ٤٧، والأنباء ج ١.

عساكره إلى تكريت مأوى المخالفين وعش الحرابة ورصد السابلة وأناخ عليها بجموعه أربعين يوماً فحاصرها حتى نزلوا على حكمه وقتل من قتل منهم ثم خربها وأقفرها وانتشرت عساكره في ديار بكر إلى الرها.» اهـ.

وجاء في الأنباء أن تيمور في أول هذه السنة سار بنفسه وعساكره إلى تكريت، وحاصرها في بقية المحرم كله، ودخلها عنوة في آخر الشهر فقتل صاحبها وبنى من رؤوس القتلى مأذنتين وثلاث قباب، وخربت البلد حتى صارت نفرة، وكان استولى على قلعة تكريت وأميرها حسن ابن زليمور[1]، فنزل بالأمان فأرسله إلى اللنك إلى دار دس عليه من هدمها، ومات تحت الردم، ثم أثخن في قتل الرجال وأسر النساء والأطفال...

إربل:

وبعد وقعة بغداد سار عسكر تيمور إلى إربل فحاصرها فأطاعه صاحبها..[2] وجاء في روضة الصفا أن حاكم إربل الشيخ علياً جاء إلى الأمير تيمور وقدم له الهدايا اللائقة فتقبلها منها وعادت إربل بلدة تابعة له...

البصرة والبحرين:

ثم إن اللنك جهز ولده بعسكر حافل إلى صالح بن صيلان صاحب البصرة والبحرين فقاتلوه فهزمهم، وأسر ولد تيمورلنك وجرح في إحضاره عز الدين ازدمر وجهز السلطان إليه بثلثمائة ألف درهم فضة برسم النفقة، فبعث إليهم عسكراً آخر فظفر بهم...[3].

---

(١) جاء في عجائب المقدور بلفظ بولتمور كما تقدم.

(٢) الأنباء ج ١.

(٣) الأنباء ج ١. وعلق المؤلف على هذه الوقعة بما يلي:

الموصل وما جاورها:

ثم إنه بعد الاستيلاء على تكريت جعل يعيث ويستأصل ما مر به حتى أناخ يوم الجمعة ١١ صفر سنة ٧٩٦ هـ في الموصل... وكان واليها يار علي جاء إليه أثناء حصار تكريت وقدم له هدايا تليق به.. فلم يبال بذلك.. وإنما خربها ودمرها ثم أتى رأس عين ونهبها وأسرها ثم تحول إلى الرها ودخلها يوم الأحد ١٠ ربيع الأول فزاد عيثاً...»[1].

وفي الأنباء ثم نازل الموصل وصاحبها يومئذٍ علي بن برد خجا (خواجة) فصالحه وسار في خدمته...

وقد مر ابن خلدون بهذه الحوادث مجملاً قال: «نجا أحمد إلى الرحبة من تخوم الشام فأراح بها وطالع نائبها السلطان بأمره فسرح بعض خواصه لتلقيه بالنفقات والأزواد ثم استقدمه فقدم به إلى حلب وأراح بها، وطرقه مرض أبطأ به عن مصر. وجاءت الأخبار بأن تيمور عاث في مخلفه واستصفى ذخائره واستوعب موجود أهل بغداد بالمصادرات لأغنيائهم وفقرائهم حتى [illegible] وأقفرت جوانب بغداد من العيث. ثم قدم أحمد بن أويس على السلطان بمصر في شهر ربيع سنة ٧٩٦ هـ مستصرخاً به على طلب ملكه والانتقام من عدوه فأجاب السلطان صريخه ونادى في عسكره بالتجهيز إلى الشام... فاستوعب الحشد من سائر أصناف الجند واستخلف على القاهرة النائب سودون وارتحل إلى الشام على التعبية ومعه أحمد بن أويس... ودخل دمشق آخر جمادى الأولى وكان أوعز إلى جلبان صاحب حلب بالخروج إلى الفرات واستنفار العرب والتركمان للإقامة هناك رصداً للعدو... وكان

= جاء ذكر هذه الوقعة في تاريخ ابن الفرات. فورد اسم الأمير صالح بن حولان بدل (صالح بن صيلان)، ولا تزال التسمية بـ (حولان) معروفة.

(١) عجائب المقدور ص ٤٦ وروضة الصفا ج ٦ ص ٦٧.

قد شغل العدو بحصار ماردين فأقام عليها أشهراً وملكها... فارتحل إلى ناحية بلاد الروم...» اهـ[1].

ولاية الخواجة مسعود - مال الأمان:

في هذه السنة في غرة صفر رحل الأمير تيمور عن بغداد بعد أن استصفى أموالها جميعها كذا في الغياثي. وجاء في روضة الصفا أنه رحل عن بغداد في ٢٤ ذي الحجة سنة ٧٩٥ هـ وتوجه نحو تكريت بالوجه المار وكان أرسل إليها بعض الأمراء، وأخذ من الأهلين في بغداد مال الأمان. وقد نص الغياثي هذا الحادث بما نصه:

«دخل تيمور بغداد وأرمى على الأهلين مال الأمان (ضريبة حربية) فطالب أمراؤه الناس على غير طاقتهم. وكان المتولي ذلك شرف الدين البليقي (كذا) ومات في سبيل ذلك خلق من جراء التعذيب والعقوبة، وذكروا أن الموكلين أرادوا تعذيب رجل فأراهم موضعاً وقال احفروا ههنا. وأراد بذلك أن يشغلهم بالحفر عن تعذيبه ولم يكن له شيء فحفروا فلم يجدوا فأرادوا تعذيبه فأقسم لهم أن الذي يعرفه ههنا فحفروا ثاني مرة وعمقوا فوجدوا مالاً عظيماً، وذهباً كثيراً. فمن كثرته شرحوا حاله عند تيمور فأحضر ذلك الشخص، وسأله عن أصل هذا المال فقال لا أعلم له أصلاً، وإنما أردت أن يشتغلوا بالحفر عن تعذيبي فعند ذلك كف تيمور عن تعذيب الناس». اهـ.

ولما خرج تيمور من بغداد ولي بها الخواجة مسعود الخرساني...[2].

---

(١) ص ٥٥٦.

(٢) الغياثي ص ١٩٢ - ١٩٤.

السلطان أحمد إلى هذه الأيام:

إن صاحب كتاب بزم ورزم كان في بغداد أيام الوقعة وفر مع من فر مع السلطان أحمد إلا أنه قبض عليه... وهذا نعت أحمد لهذه المدة فقال ما ملخصه: إن السلطان أحمد من حين ملك زمام السلطنة واستولى على العراقين وآذربيجان صار يفتك بأمرائه الكبار، وأعاظم رجاله ممن كانت لهم التدابير الصائبة، والقدرة على إدارة المملكة الواحد بعد الآخر ولم يلتفت إلى أنهم كانوا أصحاب كفاءة ودراية، وأنهم أهل الرأي الصائب. والتدبير اللائق.. كانوا معروفين في التزام الأخطار، واقتحام الأهوال، فأضاع تجاربهم، وأغفل آراءهم... وكانوا كما قال الأول[1]:

إذا ما عدوا بالجيش أبصرت فوقهم ... عصائب طير تهتدي بعصائب
وهم يتساقون المنية بينهم ... بأيديهم بيض رقاق المضارب
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

قتل هؤلاء الواحد بعد الآخر، وأقام مقامهم الأذناب من المتجندة، ومن أوباش الناس ممن هم غير معروفي المكانة، ولا النسب، وخاملو الذكر، لا عقل لهم يدبرهم، ولا شجاعة تؤهلهم.. عطل من الفضائل... فنالوا المنازل الرفيعة بلا جدارة واستحقاق...

إن سوء هذا التدبير كان أكبر باعث للعدول عن محجة الصواب، فكثرت الفتن، وزادت الاضطرابات فظهرت من كل صوب وانحلت الأمور، والتذمرات بلغت حدها...

ففي هذه الأيام ظهر تختاميش خان (توقتامش) في مائة ألف من الجند في ذي الحجة سنة ٧٨٧ هـ اجتاز بهم باب الأبواب وساق جيوشه

---

(١) هو الشاعر النابغة الذبياني.

على تبريز دار الملك، وكانت آنئذ أشبه بالجنة فأغاروا عليها، قتلوا منها نحو عشرة آلاف من النفوس وفعلوا فعلات قاسية فأسروا أولاد المسلمين وذهبوا بهم إلى أقصى تركستان ولم يقصروا في هتك الأعراض، وقتل الأبرياء، وفعل الفساد... فكانت هذه مقدمة الشرور، وأول الآلام والرزايا على العباد والبلاد... إذ تبعتها وقائع تيمور وأعوانه... ولم يجد في القوم من يذب عن البلاد...

وذلك أن وقعة تختاميش (توقتامش) لم يمض عليها تسعة أشهر (في سنة ٧٨٨ هـ) إلا وظهرت في حدودها طامة كبرى، وداهية عظمى، جاء الأمير تيمور في جيش بلغت عدته ثلثمائة ألف فوصل همذان، وهاجم تبريز على عجل فانهزم السلطان أحمد إلى بغداد فوصل الجغتاي والتتار أذربيجان فاستباحوها مدة ٤٠ يوماً وقضوا على البقية الباقية من الحرب السابقة فكانت هذه الوقعة أشد قسوة، وأبلغ في انتهاك الحرمات، والمصادرات الشنيعة والمظالم الأليمة... فلم يدعوا منكراً إلا فعلوه، ولا فجوراً إلا أتوه، برزوا بمظهر أكبر، وشناعة لا يستطيع القلم وصفها...

ولم تقف الحوادث عند هذا الحد ففي ٢٠ شوال من سنة ٧٩٥ جاء البلاء، وعمت المصيبة بغداد بهجوم جيش الأمير تيمور، وذلك أن إيران أصابها سيل جارف من المغول والتتار فخرب بلادها وقلب ممالكها فقضى على ممالك فارس وكرمان وخوزستان ومازندران وأصفهان، وهذه الويلات من تخريب ودمار مما لا يسع القول ذكرها لطولها... وقصد همذان دار الملك فاكتسحها ومن ثم مال إلى بغداد.

وصلوا بغداد، ولم يدعوا رطباً ولا يابساً إلا قضوا عليه فأهلكوا الحرث والنسل، وأهلكوا المسلمين وأسروا من أبقوا عليه، ونهبوا الأموال... فهم في الحقيقة كما جاء في الآية: ﴿ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ

﴿مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فانتهكوا كافة الحرمات... وعليهم تصدق آية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأَخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

أما السلطان أحمد فقد توالت على مملكته الأرزاء من حين ولي. وكان كما قدمنا صار يقتل بالأمراء الواحد إثر الآخر فحدث ما حدث من وقائع توختامش وتيمور فهرب إلى العراق وجاء بغداد ولكنه لم ينتبه من غفلته ولا التفت إلى ما أصابه وإنما تمادى في غيه وانهمك في ملاذه وما كان فيه من أنس ومجالس لهو كأنه خلق لهذه الأمور ومضت الحال عليه وهو غارق في بحر المعازف والملاهي، وارتكاب المحرمات والمناهي بل مستغرق فيها استغراقاً لا يكاد يكون معه صحو... لحد أنه لم يلتفت ولو لحظة واحدة إلى إدارة الملك كأنه بعيد عنها لا تهمه.. ويرى وقته الثمين يجب أن لا يضيع في مثل هذه الالتفاتة. ومضت على ذلك مدة سبع سنوات وهو على ما عليه...

ويصدق فيه ما قيل:

إذا غدا ملك باللهو مشتغلاً	فاحكم على ملكه بالويل والحرب
أما ترى الشمس في الميزان هابطة	لما غدا برج نجم اللهو والطرب

ونتائج ذلك معلومة فقد سببت هذه الغفلة إهمال الأمور، واختلال القواعد، واضطراب الأوضاع وتشوش الأحوال... وفي الوقت نفسه كسد سوق العلم، وراج النفاق، وضاعت الحكمة أو ابتذلت... وأهملت الفضائل.. ومن ثم تسنم الجهال والمجاهيل أعلى المراتب، وأسنى المناصب... فجرى ما جرى ووقع ما وقع... فلم يحصل مدافع عن حوزة البلاد، ولا صاد عن حريمه فصار الناس بين قتيل وأسير، وكانت أموالهم نهباً وغنائم مقسمة وهكذا يقال عن الأمور الأخرى... فضربت على القوم الذلة والمسكنة...

أصابته الضربة وهو على حين غفلة فلم يسعه إلا الفرار إلى بلاد الشام، ولم ينتبه للحوادث قبل الواقعة، وإنما أضاع الحزم، وفقد العزم...

وعاجز الرأي مضياع لفرصته	حتى إذا فات أمر عاتب القدرا

فلله العجب! لابرز بروز الشجاع، ولا انهزم انهزام الحازم الجازم، غفل سهواً، واشتغل زهواً ولهواً؛ حتى جرى ما جرى من تقلب الأحوال؛ وتغلب الأهوال، واستقلال الأراذل، واستئصال الأفاضل، وازدحام الفتن، واقتحام المحن، وهتك الأستار، وقتل الأحرار، وسبي الحرم، وأسر الخدم والحشم، وانحلال نظام الأمور؛ واختلال مصالح الجمهور؛ وانكسار الناموس، وانحصار الناس في البأس والبوس، وتخريب البلاد، وتعذيب العباد، فبقيت المدارس مندرسة؛ والخوانق مختنقة؛ والبرايا عرايا، والأجلة أذلة، والصدور أهلّة، وبلغ الأمر إلى أن وقع في كربة الغربة، وحرقة الفرقة، وحيرة الغيرة، وكسرة الحسرة؛ ودهشة الوحشة، وابتلي بالـ[illegible] والذلة بعد العزة؛ والقلة بعد البزة، فأصبح نادماً على ما فات، وقال هيهات وهيهات «ما أغنى عني ماليه؛ هلك عني سلطانيه».

إلى الله أشكو عيشة قد تكدرت	عليَّ ودهراً قد ألحت نوائبه
تكدر من بعد الصفاء نميره	وأحزن من بعد السهولة جانبه

أما ميران شاه ابن الأمير تيمور فإنه عبر الفرات؛ وسار يتعقب أثر السلطان أحمد... وهذا مال إلى طريق الشام فسلكه خائفاً وجلاً «كم دب يستخفي وفي الحلق جلجل»، وناله من الندم ما ناله وأصابه من الرعب ما أصابه... ولكن لم ينفع ذلك الندم «ولات حين مناص».

إذا كنت ترضى أن تعيش بذلة	فلا تستعدن الحسام اليمانيا
ولا تستطيلن الرماح لغارة	ولا تستجيدن العتاق المذاكيا

عثر عليهم القوم في صحراء كربلاء؛ فلم ينج هو وأعوانه إلا بشق الأنفس...

نسوا أحلامهم تحت العوالي ... ولا أحلام للقوم الغضاب
إذا كانت دروعهم نحوراً ... فما معنى السوابغ في العياب

وعلى كل نجا السلطان أحمد من تلك المهلكة، وأن أعوانه كل واحد منهم سلك ناحية، فتفرقوا في الصحاري شذر مذر فاختفوا فيها.. الخ. ما جاء هناك مما ذكره المؤلف فكان مع القوم من ضرب إلى جهة النجف ولكنه ألقي القبض عليه وأحضر إلى ميران شاه في الحلة ومن ثم عفا عنه ميران شاه؛ وعطف عليه بنظر عنايته، ولحظه بعين رأفته فسلم من الأخطار... كما قال...

وهذا الجيش بعد أن أتم أعماله في بغداد من قلع، وقتل، وأسر مالت الجيوش إلى أنحاء ديار بكر فوصلوا جهات ماردين... ومن هناك سنحت لصاحب الكتاب المذكور الفرصة للهزيمة وهم بين آمد وماردين وحدثته نفسه بذلك فسار ليلاً ووصل قلعة صور ومنها توجه نحو سيواس فوصلها في ١١ شعبان سنة ٧٩٦ هـ(١). وبقي عند سلطانها وقدم له كتابه (بزم ورزم) وقد سبق وصفه.

ومن هذا النص المنقول عرفت حالة السلطان أحمد وأعتقد فيها الكفاية...

وقائع تيمور الأخرى:

ثم إن تيمورلنك نزل رأس العين فملكها ونازل الرها فأخذها بغير قتال ووقع النهب والأسر وانتهى ذلك في أواخر صفر واتفق هجوم الثلج والبرد. ولما بلغ ذلك صاحب الحصن جمع خواصه وما عنده من

---

(١) بزم ورزم ص ١٧: ٢٥.

التحف والذخائر وقصد تيمورلنك ليدخل في طاعته فقرر ولده شرف الدين أحمد نائباً عنه وسار إلى أن اجتمع به بالرها فقبل هديته وأكرم ملتقاه ورعى له كونه راسله قبل جميع تلك البلاد. ثم خلع عليه وأذن له بالرجوع إلى بلاده وأصحبه بشحنة من عنده ثم قصده صاحب ماردين فتنكر له كونه تأخرت عنه رسله وتربص به حتى قرب منه فوكل به فصالحه على مال فوعده بإرساله إذا حضر المال فلما حضر زاد عليه في التوكيل والترسيل ثم أخذ في نهب تلك البلاد بأسرها. واستولى على بلاد الجزيرة والموصل وسار فيهم سيرة واحدة من القتل والأسر والسبي والنهب والتعذيب. ثم أقام على نصيبين في شدة الشتاء فلما أتى الربيع نازل ماردين في جمادى الآخرة فحاصرها وبنى قدامها جوسق يحاصرها منها ففتحوها عن قرب وقتل من الناس من لا يحصى عددهم وعصت عليه القلعة فرحل عنها، ثم رحل إلى آمد فحاصرها إلى أن ملكها وفعل بها نحو ذلك. ثم توجه إلى خلاط ففعل بها نحو ذلك.

وسبب رجوعه عن البلاد الشامية أنه بلغه أن طقتمش (توقتامش) صاحب بلاد الدشت والسراي وغيرها مشى على بلاده فانثنى رأيه فقصد تبريز وصنع في بلاد الكرج عادته في غيرها من البلاد ثم رحل راجعاً إلى تبريز فأقام بها قليلاً ثم توجه قاصداً إلى قتال طقتمش خان صاحب السراي والقفجاق. وكان طقتمش قد استعد لحربه فالتقيا جميعاً ودام القتال وكانت الهزيمة على القفجاق والسراي فانهزموا وتبعهم الجقطاي بآثارهم إلى أن ألجأوهم إلى داخل بلادهم وراسل اللنك صاحب سيواس القاضي برهان الدين أحمد يستدعي منه طاعته فلم يجبه وأرسل نسخة كتابه إلى الظاهر صاحب مصر، وإلى أبي يزيد ملك الروم.

وفي رجب غلب على سائر القلاع وتوجه في ذي القعدة إلى بلاده وأمر بسجن الظاهر بمدينة سلطانية....

رسل تيمور ـ علاقات عراقية:

وفي هذه السنة وصل رسل تيمورلنك إلى الظاهر (برقوق) يتضمن الإنكار على إيواء أحمد بن أويس والتهديد إن لم يرسل إليه فجهز السلطان إليهم من أهلكهم قبل أن يصلوا إليه؛ وأحضر إليه ما معهم من الهدايا فكان فيها ناس بزي المماليك فسألهم عن أحوالهم فقالوا إنهم من أهل بغداد ومن جملتهم ابن قاضي بغداد وإن تيمورلنك أسرهم واسترقهم فسلمهم السلطان لجمال الدين ناظر الجيش فألبس ابن قاضي بغداد بزي الفقهاء. وكان في كتاب تيمورلنك إيعاد وإرعاد. وفي أوله:

«قل اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اعلموا أنا جند الله خلقنا من سخطه، وسلطان على من حل عليه غضبه، لا نرق لشاكي، ولا نرحم عبرة باكي» وهو كتاب طويل (منه) ودعاؤكم علينا لا يستجاب فينا ولا يسمع فكيف يسمع الله دعاءكم وقد أكلتم الحرام وأكلتم أموال الأيتام، وقبلتم الرشوة من الحكام[1].

قال صاحب الأنباء: قلت وأكثر هذا الكتاب منتزع من كتاب هولاكو إلى الخليفة ببغداد، وإلى الناصر بن العزيز بدمشق، وهو من إنشاء النصير الطوسي.

وكتب جواب اللنك ابن فضل الله (العمري) وهو كلام ركيك ملفق غالبه غير منتظم لكن راج على أهل الدولة وقرىء بحضرة السلطان والأمراء فكان له عندهم وقع عظيم وعظموه جداً وأعادوه[2].. وتجهز السلطان إلى السفر... ودخل دمشق ١٢ جمادي الأولى فأقام بدمشق خمسة أشهر وعشرة أيام واستمر الأخبار يتحقق رجوع اللنك فجهز

---

(١) أورده القرماني في أخبار الأول وآثار الدول بنصه ص ٢٠٦.

(٢) جاء نصه في أخبار الدول وآثار الأول صحيفة ٢٠٧ وذكر حضور الرسل في ١٣ صفر سنة ٧٩٩ هـ والصحيح ما جاء في الأنباء كما مذكور في الأصل..

أحمد بن أويس إلى بغداد ودفع له حين السفر خمسمائة ألف درهم (قيمتها ٢٠ ألف دينار) وخمسمائة فرس و ٦٠٠ حمل، وجهزه أحسن جهاز فخرج في مستهل شعبان وسار في ١٣ وسار معه عدة من الأمراء الكبار إلى أطراف البلاد، ثم صحبه سالم الدوكاري، ثم جهز السلطان كمشيغا وعدة من الأمراء إلى حلب... ثم توجه بعدهم في أول ذي القعدة فدخلها في العاشر وأقام إلى عيد الأضحى ورجع إلى الديار المصرية في الثاني عشر منه...

وذكر أحمد بن أويس في كتابه للسلطان أنه لما وصل إلى ظاهر بغداد خرج إليه نائب تمر وقابله فأطلق المياه على عسكر ابن أويس فأعانه الله وتخلص...

زبيد ـ طيىء:

في هذه السنة مات عامر بن طاهر بن جبار بن مهنا غريقاً بالفرات ومعه ١٧ نفساً من آل مهنا في وقعة بينهم وبين عرب زبيد، وقتل معه خلق كثير جداً... ومن هنا نجد [illegible] حدثت في هذه الأيام، ولم يتكدر ما بينهما من أيام المغول إلى هذا الحين...

قبائل زبيد(١):

من أعظم القبائل العراقية، لا تقل عدداً عن القبائل الأخرى، منتشرة في أنحاء عديدة من هذا القطر، وبمجموعات لها شأنها

---

(١) ورد ذكر قبيلة بني عزة في الجامع المختصر لابن الساعي، وفي كتب تاريخية مثل عشائر العرب للبسام، وتاريخ نجد للأستاذ الألوسي، وعنوان المجد في تاريخ بغداد والبصرة ونجد، وجزيرة العرب، وقلب الجزيرة... ومنهم الآن في نجد، وفي القدس عند حدود شرقي الأردن، وفي العراق في غالب ألويته في ديالى، وكركوك، والموصل، والدليم، والحلة، وبغداد، والكوت والتفصيل في عشائر العراق.

ومكانتها... إلا أن السياسة العشائرية كانت مكتومة، أو غير واضحة، وكانت الحكومات ترضى من العشائر بالقليل؛ وأحياناً بالطاعة الاسمية... أو استخدام البعض على الآخر... وكذا هذه القبائل لا أمل لها في التدخل بمقدرات المملكة ولا ترغب أن تكون رمية الأغراض فقد رأت في عصور مختلفة تلاعبات جمة يقصد منها الاستعانة بها للتسلط، أو الحصول على السلطة من هذا الطريق...

وزبيد في هذا العصر نراهم في سورية مع قبيلة طيىء، وبصورة منفردة، وفي الفرات الأعلى، وفي مواطن كثيرة... ويتكون منهم شطر كبير في العراق... وقد حافظوا أحياناً على اسمهم (زبيد) بالتصغير، أو اكتسبوا أسماء أخرى، وبينهم من ينتسب رأساً إلى (زبيد الأكبر) وهم العبيد والجبور والدليم وزبيد اليمن في لواء الحلة وبينهم من يمت إلى (زبيد الأصغر) وهم العزة وغالب من يمت إلى زبيد الأصغر في أنحاء بغداد ولواء ديالى وعمرو بن معد يكرب الزبيدي من أبطال فتح العراق من زبيد الأصغر...[1] وللكلام على قبائل زبيد بتفصيل محل آخر...

حوادث سنة ٧٩٧ هـ ـ ١٣٩٤ م

السلطان أحمد في بغداد:

إن والي بغداد الخواجة مسعود الخراساني دامت إدارته في بغداد مدة... ولما رأى السلطان أحمد أن قد سنحت له الفرصة استفاد من غياب الأمير تيمور في حروبه[2] مع توقتامش في صحراء القفجاق عاد

---

(١) عنوان المجد ص ١٤٥ و ١٥٠ و ١٥٥، ونهاية الأرب في أنساب العرب ص ٢٢٣ وغيرها..

(٢) تقويم الوقائع عام ٧٩٧ هـ وكلشن خلفا ورقة ٥٠ ـ ١.

إلى بغداد فوجد الوالي نفسه أمام أمر واقع فلم يستطع المقاومة إذ جاء السلطان أحمد بجيش عظيم. ففر الوالي من بغداد وحينئذٍ دخلها السلطان أحمد... وكان الأمير زاده ميران شاه ابن الأمير تيمور حاكماً بتبريز فأمر إذ ذاك بحصار قلعة النجا[1] وفيها السلطان طاهر ابن السلطان أحمد وجماعة من خواصه وأمواله وذخائره فمكث مدة في حصارها...

وجاء في روضة الصفا أن بغداد كان فيها الخواجة محمود السبزواري فتركها وتوجه إلى أنحاء البصرة وتمكن السلطان في بغداد سنة ٧٩٩ هـ والتخالف بين النصين ظاهر في حين أننا نرى كلشن خلفا يؤيد أن الوقعة جرت بالوجه المنقول سابقاً فرجحناه لأن الوقائع التالية ومحاربته مع الشهزادة أميران شاه جاءت بعد هذا الحادث كما أن وفاة ابن العاقولي[2] تعين تاريخ مجيئه وكلها تنطق بصحة هذا التاريخ.

ملحوظة:

جاء في الغياثي: «أن تيمور استصفى أموال بغداد جميعها ورحل عنها يوم السبت غرة صفر، دخل السبت وخرج السبت... وأما السلطان أحمد فإنه لما هرب على طريق مشهد الحسين (رضه) وصل إلى الرحبة فأكرمه نعير وأنزله في بيرته ثم تحول إلى حلب ونزل الميدان وأكرمه نائبها وطالع السلطان بخبره فأذن له في دخول القاهرة في سنة ٧٩٦ هـ. وصل أحمد إلى القاهرة في شهر ربيع الأول فتلقاه الأمراء وخرج إليه السلطان إلى الريدانية وكان السلطان حينئذٍ برقوق فقعد بالمصطبة المبنية له هناك فترجل له السلطان أحمد من قدر رمية سهم فأمر السلطان الأمراء بالترجل له، ثم لما قرب منه قام له فنزل من

---

(١) وردت في الغياثي بلفظ «النجق».

(٢) ستأتي ترجمته في حوادث الوفيات.

المصطبة فمشى إليه فالتقاه وأراد أحمد أن يقبل يده فامتنع فطيب السلطان خاطره وأجلسه معه على مقعده ثم خلع عليه، وأركبه صحبته إلى القلعة فأنزله في بيت طغا تيمور على بركة الفيل ونزل جميع الأمراء في خدمته، ثم أرسل له السلطان مالاً كثيراً وقماشاً ومماليك تخدمه يقال قيمة ذلك عشرة آلاف دينار ذهباً ثم حضر الموكب السلطاني فأذن له في الجلوس ثم أركبه معه إلى الجيزة للصيد، ثم تزوج السلطان برقوق بنت أخيه دوندي سلطان وبنى عليها قريب السفر، ثم تجهز... وبقي السلطان أحمد في القاهرة... وبعد مدة طلب إجازة التوجه إلى بغداد فتوجه وحين سمع الخواجة مسعود بتوجه السلطان رحل عن بغداد ودخل السلطان أحمد...» اهـ[1].

وباء وغلاء:

في هذه السنة وقع الوباء ببغداد وتخلى عنها أكثر أهليها فدخل سلطانها الحلة فأقام بها، وأعقب الوباء غلاء فلذلك تحول. وكان في المحرم توجه غلمان السلطان وحريمه إلى بغداد...[2].

وفيات

1 ـ أبو بكر الموصلي:

في هذه السنة توفي أبو بكر بن عبد البر بن محمد الموصلي الشافعي قال في ذيل الأعلام: الشيخ الإمام القدوة الزاهد العابد الخاشع العالم الناسك الرباني بقية مشايخ علماء الصوفية وجنيد الوقت، كان في ابتداء أمره حين قدم من الموصل وهو شاب يتعانى الحياكة وأقام بالقبيبات عند منزله المعروف زماناً طولاً على هذه الحال وفي أثناء ذلك يشتغل بالعلم

---

(١) الغياثي ص ١٩٥.

(٢) الأنباء ج ١.



هماي وهمايون ـ لوحة ٢ ـ التصوير في الإسلام

ويسلك طريق الصوفية والنظر في كلامهم ولازم الشيخ قطب الدين مدة واجتمع بغيره وكان يطالع أيضاً كتب الحديث ويحفظ جملة من الأحاديث ويعزوها إلى رواتها وله إلمام جيد بالفقه وكلام الفقهاء فاشتهر أمره وصار له أتباع وكان شعاره إرخاء عذبة خلف الظهر ثم علا ذكره وبعد صيته وصار يتردد إليه نواب الشام ويمتثلون أوامره وسافر بآخره إلى مصر مستخفياً وحج غير مرة ثم عظم قدره عند السلطان وكان يكاتبه بما فيه نفع للمسلمين ثم إن السلطان عام أول اجتمع به في منزله وصعد إلى علية كان فيها وأعطاه مالاً فلم يقبله وكان إذ ذاك بالقدس الشريف وقال في أنباء الغمر وكان يشتغل في التنبيه ومنازل السائرين وكان ولده عبد الملك يذكر عنه أنه قال: كنت في المكتب ابن سبع سنين فربما لقيت فلساً أو درهماً فأنظر أقرب دار فأعطيهم إياه وأقول لقيته قرب داركم توفي بالقدس في شوال وقد جاوز الستين.

٢ ـ محمد ابن العاقولي (مدرسة المستنصرية):

توفي غياث الدين [illegible] محمد بن صدر الدين محمد بن محيي الدين عبد الله بن أبي الفضل محمد بن علي بن حماد بن ثابت الواسطي ثم البغدادي الشافعي المعروف بابن العاقولي قال ابن قاضي شهبة في طبقاته: صدر العراق ومدرس بغداد وعالمها ورئيس العلماء بالمشرق مولده في رجب سنة ٧٣٣ هـ ببغداد ونشأ بها وسمع من والده وجماعة وأجاز له جماعة. قال الحافظ شهاب الدين بن حجي[1] كان (مدرس المستنصرية) ببغداد كأبيه وجده ودرس أيضاً (بالنظامية) كأبيه

(١) ورد في الشذرات ابن صحيي وليس بصحيح وقد مضت بعض النصوص التاريخية عنه والصواب شهاب الدين أحمد بن علاء الدين حجي الدمشقي وقد مرت الإشارة إلى أن المومأ إليه ممن سمع منه ابن حجر صاحب الأنباء كما ذكر في صحيفة من هذا الكتاب. فاقتضى التنبيه لئلا يلتبس الأمر. فيظن أنهما اثنان..

ودرس هو بغيرهما، وكان هو وأبوه وجده كبراء بغداد وانتهت إليه الرياسة بها في مشيخة العلم والتدريس وصار المشار إليه والمعول عليه فهرع القضاة والوزراء إلى بابه والسلطان يخافه وكان بارعاً في الحديث والمعاني والبيان وشرح مصابيح البغوي وخرج لنفسه أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً وفيها أوهام وسقوط رجال في الأسانيد وكانت نفسه قوية وفهمه جيداً وكان بالغاً في الكرم حتى ينسب إلى الإسراف ولما دخل تيمورلنك بغداد هرب منها مع السلطان أحمد فنهبت أمواله وسبيت حريمه وقدم الشام واجتمعنا به وأنشدنا من نظمه فلما رجع السلطان إلى بغداد رجع[1] معه فأقام دون خمسة أشهر وقال الحافظ برهان الدين الحلبي كان إماماً علامة متبحراً في العلوم غاية في الذكاء مشاراً إليه وكان يدخله كل سنة زيادة على مائة ألف درهم وكلها ينفقها وصنف في الرد على الشيعة في مجلد توفي في صفر ودفن بالقرب من معروف الكرخي بوصية منه. وقال ابن حجر شرح منهاج البيضاوي (في أصول الفقه) والغاية القصوى (في فقه الشافعية مختصر الوسيط للإمام الغزالي) وحدث بمكة وبيت المقدس وأنشد لنفسه بالمدينة: -

يا دار خير المرسلين ومن بها شغفي وسالف صبوتي وغرامي

نذر علي لئن رأيتك ثانياً من قبل أن أسقى كؤوس حمامي

لأعفرن على ثراك محاجري وأقول هذا غاية الإنعام

وقد ترجمه المقريزي في كتابه السلوك في دول الملوك[2] في

(١) في هذه إشارة إلى تاريخ رجوع السلطان بالوجه المبين سابقاً...

(٢) هذا التاريخ لتقي الدين المقريزي مفصل جداً ورأيت منه نسخة جميلة في مكتبة فاتح باستانبول تحت رقم يبتدىء من ٨٧٧ إلى ٨٨٠ وتمتد حوادثه إلى سنة ٨٤٤ هـ وقد ذكر المؤلف في حوادث سنة ٧٩٦ ورود كتاب تيمور إلى مصر وعين نصه كما أنه ذكر نص الجواب إليه... فاكتفي بالإشارة لمعرفة العلاقة آنئذ بين الحكومات الإسلامية مما لا محل لإيراده مفصلاً هنا...

الجزء السابع منه في حوادث هذه السنة قال: «إنه توفي يوم الأربعاء ١٦ ربيع الآخر ببغداد. وكان قدم القاهرة في الجفلة من تيمور، وهو من علماء الشافعية» اهـ.

قال في الأنباء: «كان وقع بينه وبين أحمد بن أويس وحشة ففارقه إلى تكريت، ثم توجه إلى حلب، وكان إسماعيل وزير بغداد بنى له مدرسة[1] فأراد أن يأخذ الآجر من إيوان كسرى فشق على الغياث ذلك وقال هذا من بقايا المعجزات النبوية، ودفع له ثمن الآجر من ماله.

ومن شعره:

لا تقدح الوحدة في عازب ... صان بها في موطن نفسا
فالليث يستأنس في غابه ... بنفسه أصبح أو أمسى
أنست في الوحدة في منزلي ... فصارت الوحشة لي أنسا
سيان عندي بعد ترك الورى ... وذكرهم أذكر أم أنسى[2]

جامع العاقولي:

إن هذا الجامع من أول أمره اتخذ مدرسة لطلاب العلم بصورة محدودة. والظاهر أنه اكتسب شكل جامع، ونال وضعه المشاهد أيام المترجم ومكانته وسخاؤه مما يجعلنا نميل إلى أنه لم ينس عمارة جده. ومنارته من بناء هذا العصر.. والآثار من النقوش والكتابات تنبىء عن صناعة هذه الأيام... وهي من بقايا العصور السالفة فلم تمت بعد ولا تزال سوقها رائجة بعض الرواج... ولا أدل على ذلك من نشر صور بعض الألواح...

---

(١) لعلها هي المعروفة «بجامع المصلوب» وقد مر النقل عن صلبه في عمارته وحكاية ذلك مفصلاً... وهذا قد أعيد مسجداً في الأيام الأخيرة وكان محلاً خرباً ليس فيه آثار تنطق ببانيه أو مؤسسه، شاهدناه كذلك مدة ثم صار مسجداً يصلي فيه الشيعة.

(٢) الأنباء ج ١.

حوادث سنة ٧٩٨ هـ ـ ١٣٩٥ م

قتلة توقتامش خان:

في هذه السنة قتل توقتامش خان وقد تكلمنا عليه في أحوال تيمور وهو صاحب بلاد الدشت(القفجاق)، فاستراح تيمور من أكبر مناضل له، شوش عليه أمره كثيراً، وكان يخافه، ويحذر أن يتوسع نفوذه بعد أن ناصره، وصار يحسب له حسابه... ولا يزال تيمور مشغولاً بحروبه حتى في هذه السنة، وكانت الحروب بينهما دامية جداً...

قتل بعد أن انكسر من اللنك، قتله أمير من أمراء التتر يقال له قطلوا[1]. وما جاء في الضوء اللامع من أنه لا يزال حياً إلى ما بعد سنة ٨١٤ هـ فغير صحيح. وفيه تفصيل زائد...[2].

وكان توقتامش من المشاهير بين ملوك القفجاق وقد ذكرنا بعض الشيء عنهم في الحوادث السابقة... وما نقوله هنا أن تيمورلنك كان من أكبر مناصريه حباً في خضد شوكة ... خان من ملوكهم لأنه كان من منافسيه. ولما استقل توقتامش خان بالملك وانتشرت شهرته صار يتوهم منه ويحاول وجود سبب ما لمحاربته فاتخذ وقائع آذربيجان وخراسان خير وسيلة للقيام في وجهه... وذلك أن تيمورلنك سمع بانحلال أمر الجلايرية، ووقوع الحروب بين أمرائهم فتعلقت نواياه بتلك المملكة، وتمهيداً لذلك أرسل أخص معتمديه الحاج سيف الدين إلى هذه البلاد بوسيلة الحج في الظاهر وتفحص أحوال البلاد وتجسسها في الحقيقة وهو في المكانة اللائقة من الدهاء بل هو أعظم من أعان تيمور في تأسيس الملك فلما رجع أخبره أن الغنم لا راعي لها والبلاد غنيمة

---

(١) الأنباء ج ١.

(٢) الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٢٥.

باردة لأن ملوكها في محاربة ومقاتلة فيما بينهم فيمكن الاستيلاء عليها واحدة بعد واحدة. فلما سمع ذلك لم يشك في أنه يستولي عليها وقصد هذه البلاد. وهنا ابتدأت حروبه، واكتسح السلطانية من أعمال تبريز، ورجع عنها بالوجه المشروح سابقاً...

وكانت بين السلطان أحمد وبين توقتامش خان مواصلة ومراسلات، والرسل بينهما تتردد... وفي العام الذي شتى فيه تيمورلنك بالري كان قاضي سراي قد توجه نحو تبريز برسالة من عند توقتامش خان إلى السلطان أحمد فتبين أن السلطان أحمد في بغداد وبين أمرائه ببلاد آذربيجان مقاتلة، وأن البلاد في هرج ومرج فأرسل إلى توقتامش يخبره بذلك ويحثه على لزوم حفظ الحدود والثغور، وأن لا يغفل ذلك، فأرسل توقتامش خمسين ألف فارس وأمرهم أن يقيموا هناك... وأما القاضي فقد وصل بغداد وأدى الرسالة وبينما هو مقيم ببغداد وكان معه واحد من أولاد المغل فائق الحسن والجمال فحصل للسلطان علاقة بذلك الغلام فرجع القاضي منفعلاً من هذا السلطان وأغرى توقتامش خان على ترك معاونته وحرضه على مخالفته فأرسل توقتامش عساكر كثيرة إلى دربند، وأمرهم أن يتوجهوا إلى تبريز وأن يقبضوا على السلطان أحمد فلما وصلوا إلى تبريز وجدوها في تحصن الأمير ستناي (مر ذكره) قائد جيش السلطان أحمد، وبعد حصار أسبوع دخل عسكر توقتامش خان تبريز عنوة ونهبوا ما فيها، ولم يروا السلطان أحمد فهو في بغداد وكان هو المقصود فرجعوا عنها... واستصحبوا معهم الشيخ كمال الدين الخجندي. وكان ذلك سنة ٧٨٧ هـ.

وهذه الوقعة أغضبت تيمورلنك، وعدها تجاوزاً على حدود منطقة نفوذه.. فاتخذها وسيلة لمخالفة توقتامش بحيث نسبه إلى كفران النعمة ونسيان الحقوق... والتواريخ التي كتبت في أيام تيمور وبعده وفي أيام

أخلافه مشت على هذه الوتيرة... وكان لمخابرات توقتامش ومراسلاته مع ملوك مصر وقع عظيم في تقوية هذا الظن... والصحيح يريد أن لا يزاحمه في النفوذ أحد... ومن ثم حاربه بمحاربات عديدة مضى بيان أكثرها وآخرها هذه المرة.. وتيمور لم يهمل أمراً وإنما كان يرعى مصالحه ويلاحظ كل دقيقة فيها ولا يتهاون... وقد فصل صاحب تلفيق الأخبار وقائع توقتامش الحربية مع تيمور وغيره إلى أن مات بالوجه المذكور وفي التواريخ الأخرى أن حادث قتله كان سنة ٧٩٩ هـ وهو الصحيح...[١].

وفاة سعد بن إبراهيم الطائي:

وفي هذه السنة توفي سعد بن إبراهيم الطائي الحنبلي البغدادي قال في أنباء الغمر كان فاضلاً وله نظم فمنه:

خانتي ناظري وهذا دليل ... لرحيل من بعده عن قليل

وكذا الركب إن أرادوا تقفولا ... قدموا ضوءهم أمام الحمول

حوادث سنة ٧٩٩ هـ - ١٣٩٦ م

الحرب بين أميران شاه والسلطان أحمد:

في هذه السنة توجه أميران شاه إلى بغداد وحاصرها وكان السلطان أحمد فيها فدافع عنها إلا أن أميران شاه لم يطل أمد حصاره لبغداد وإنما رجع بسرعة إلى تبريز من جهة أنه جاءته الأخبار في مخالفة بعض أعدائه له. أما تيمور فإنه كان في هذه السنة في الهند...[٢].

---

(١) تلفيق الأخبار ج ١ ص ٥٨٢: ٦٢٧.

(٢) تقويم الوقائع والغيائي.

السلطان طاهر ابن السلطان أحمد في بغداد:

وفي هذه السنة استفادة من غياب أميران شاه عن تبريز وصولته على بغداد خرج السلطان طاهر ابن السلطان أحمد وخواصه من الحصار في قلعة النجا (وفي الغياثي سماها النجق) بمعاونة أمراء الكرج واتصل بأبيه في بغداد...[1].

حوادث سنة ٨٠٠ هـ ـ ١٣٩٧ م

السلطان أحمد في بغداد:

في هذه السنة ـ على ما جاء في الجلد الرابع والعشرين من عقد الجمان ـ كان السلطان أحمد بن أويس ملكاً ببغداد. وصاحب العقد في غالب مباحثه عن هذه الأيام أسدل الستار عن بغداد ووقائعها، وتكلم على حوادث تيمور في حلب وأنحاء سورية وفصل ذلك بكثرة... وهو عارف بما يجري آنئذ...

وفي هذا العهد لم يكن للعراق علاقة مباشرة في السياسة الخارجية، وإنما هي تعود لحكومة العراق الأصلية (الجلايرية). لأنها المسيطرة على مقدراته وبيدها الحل والعقد. وهذه تأسست لها علاقة مع مصر بسبب حوادث تيمور كما ذكر والملحوظ هنا أن العراق كان ارتباطه بالجلايرية أقوى وأكثر من سائر الحكومات...

وفيات

وفاة تاج الدين أبي محمد عبد الله السنجاري:

في هذه السنة أو التي قبلها توفي تاج الدين أبو محمد عبد اللّٰه بن

---

(١) الغياثي ص ١٩٥.

علي بن عمر السنجاري الحنفي قاضي صور. ولد سنة اثنتين وعشرين وتفقه بسنجار وماردين والموصل وإربل، وحمل عن علماء تلك البلاد وحدث عن الصفي الحلي بشيء من شعره، وقدم دمشق فأخذ بها عن القونوي الحنفي، ثم قدم مصر فأخذ عن شمس الدين الأصبهاني وأفتى ودرس وتقدم ونظر المختار في فقه الحنفية وغير ذلك وكان يصحب أمير علي المارداني فأقام معه بمصر مدة وناب في الحكم ثم ولي وكالة بيت المال بدمشق ودرس بالصالحية وكان حسن الأخلاق، لطيف الذات، لين الجانب ومن شعره.

لكل امرىء منّا من الدهر شاغل ... وما شغلي ما عشت إلا المسائل

توفي بدمشق في ربيع الآخر كذا في صحيفة ٣٥٨ من الشذرات وأعاد ذكره في صحيفة ٣٦٥ من الجلد السادس ومن نظمه (سلوان المطاع لابن ظفر)...

حوادث سنة ٨٠١هـ - ١٣٩٨ م

خلاف أمراء بغداد - السلطان أحمد

قال الغياثي: إن تيمور أراد أن يحتال على السلطان أحمد بأن يقبض عليه حياً فلم يتم ما أراد وذلك أنه أرسل إليه أحد أمرائه وهو شروان[1]، لجأ على سبيل أنه انهزم من تيمور وانضم واستصحب معه مالاً كثيراً ليقسمه في أمراء السلطان خفية ليستميل به قلوبهم وليقبضوا عليه ويسلموه إلى تيمور، دخل بغداد فتلقاه السلطان بالإعزاز والإكرام وأعطاه القبة وزنكاباد واختصه بمزيد العناية واشتغل شروان سراً يدس الأموال إلى الأمراء والمقربين من عشرة آلاف إلى ثلثمائة ألف كل على قدر مرتبته حتى لم يترك أحداً من الأمراء والمقربين إلا أعطاه شيئاً

(١) جاء في روضة الصفا بلفظ «شروان شاه» - ص ١٠٢ ج ٦ -.

والسلطان غافل إلى أنه ذات يوم من الأيام سقطت الورقة المفصل بها أسماء الجماعة من كاتب شروان فالتقطها شخص يقال له كورة بهادر فأوصلها إلى السلطان في حين ورود الأخبار عن عساكر تيمور أنها وصلت البندنيجين وقد هرب منها أمير علي قلندر وهو آنئذٍ حاكمها ودخل بغداد والسلطان قد أمر بسد أبواب بغداد إلا باباً واحداً وهو في غاية الحيرة والاضطراب وإذا بهذه الورقة أوصلت إليه، مكتوب اسم حاملها قد خصص له عشرة آلاف دينار، فأمر حالاً بضرب عنقه ثم أرسل يادكار الأختجي إلى شروان ومعه عدة أمراء بينهم قطب الحيدري ومنصور وغيره لنهب الأويرات فجاؤوا برأسه...

ثم قتل جميع من له اسم في تلك الورقة بحيث كان يرسل واحداً ويقول له اقتل فلاناً ولك ماله وبيته فيما إذا تم الأمر حتى يرسل الآخر فيقتل ذلك القاتل وهكذا قتل الواحد تلو الآخر حتى قتل في خلال أسبوع ألفين من أمرائه وأقاربه ومقربيه وقتل عمته وفا خاتون[1] وأكثر الحرم والخدم الذين كانوا عنده... ثم بعد ذلك غلق الباب عليه ولم يترك لأحد من الناس سبيلاً إليه حتى الطعام الخاص كانوا يأتي به الباورجية ويطرقون الباب ويسلمون الطعام للخدام من الباب ويرجعون. ولما مضى على هذا الحال عدة أيام أمر ستة أنفار من الخدم المقربين بالخفية أن يأخذوا من الاسطبل سبعة خيول خاصة ويعبروها إلى الجانب الغربي وركب مع الستة أفراد وسار إلى قرا يوسف فاستنصره وقال له تعال انهب بغداد وجاء به وبعسكره بهذا الطمع على أنهم ينهبون بغداد وأنزلهم في الجانب الغربي ودخل إلى داره وندم على ما فعل فأخرج إليهم النقود والأقمشة والرخوت من خزانته والخيول والأموال الأخرى حتى أرضاهم ولم يدعهم يتعرضون بالمدينة ورحلوا إلى مواطنهم كذا في الغيائي.

---

(١) قال في روضة الصفا: وهي التي ربته... «ص ٢١٠٢».

وجاء في كلشن خلفا أن أمراء بغداد اتفقوا على دفع السلطان عنهم فلما علم بذلك قتل الكثيرين منهم ثم سار إلى ديار بكر واستعان بقرا يوسف فجاء معه إلى بغداد وألقى الهيبة والرعب في قلوب الباقين وتمكن هو ببغداد[1].

جامع الوفائية:

الظاهر من مكانة وفا خاتون أنها صاحبة الجامع المعروف اليوم (بجامع الوفائية) وهو الجامع القديم الكائن في سوق الكبابية ويرجع بالنظر إلى آثاره إلى هذا العهد واليوم بيد متولٍّ هو عبد اللطيف وله مرتزقة في فضلة الغلة. وإن مرور العصور حال دون اتصالهم بالواقفة.. ولكنهم أثبتوا بموجب إعلام شرعي التعامل القديم...

قال الآلوسي في مساجد بغداد: إنه من مساجد بغداد القديمة العهد... وسماه باسم من قام بعمارته من ولاة بغداد (مسجد الإسماعيلية). واليوم معروف بـ(جامع الوفائية) كما يستفاد من حجج التولية أيضاً وقد شاهدتها كما أني رأيت في وقفية (جامع علي أفندي)[2] ذكر المدرسة (الوفائية) عند تحديد أملاك الوقف هناك ولم يرد في تاريخ مساجد بغداد بيان لهذه التسمية[3]...

---

(١) كلشن خلفا ص ٥٠ ـ ١.

(٢) مساجد بغداد ص ٧٧.

(٣) كتب المؤلف تعليقاً على جامع الوفائية ما يلي:

لا يسمى (جامع الوفائية) بجامع الإسماعيلية. وإنما هذا الجامع هو جامع الصاغة. وكان يسمى (جامع الإسماعيلية). ولعله التسمية متأخرة. وللتفصيل محله من كتاب (المعاهد الخيرية في العراق)، والمجلدات التالية من تاريخ العراق.

عزيز بن أردشير الاسترابادي:

قد ذكرنا مجمل ترجمته عند الكلام على (كتاب بزم ورزم)، وكان ألفه للقاضي برهان الدين السيواسي وقد ضبط في الأنباء تاريخ وفاة هذا القاضي سنة ٨٠١ هـ قال: «فيها قتل القاضي برهان الدين أحمد السيواسي أمير سيواس قتله قرا يلك التركماني عثمان بن قطلبك، قتل وسبى وغنم فرجع.» اهـ[١]. وفي الدرر الكامنة والشقائق توفي في أواخر سنة ٨٠٠ هـ.

فارق سيواس إلى مصر أثناء هذه الوقعة فتوفي بعدها... ولم نعثر على وفاته والكتاب خير وثيقة لبيان مصاب بغداد بسلطانها أحمد وبتيمورلنك...

قال في كشف الظنون في مادة تاريخ القاضي برهان الدين السيواسي في أربع مجلدات للفاضل عبد العزيز البغدادي ذكر ابن عربشاه في تاريخه أنه كان أعجوبة الزمان في النظم والنثر عربياً وفارسياً، وكان نديم السلطان أحمد الجلايري ببغداد فالتمسه منه القاضي عند نزوله إليها فامتنع وأقام من يحرسه وهو يريد الذهاب فوضع ثيابه بساحل دجلة ثم غاص وخرج من مكان آخر، ثم لحق برفقائه فزعموا أنه غرق فصار عند القاضي مقدماً معظماً فألف له تاريخاً بديعاً ذكر فيه بدء أمره إلى قرب وفاته وهو أحسن من تاريخ العتبي في رقيق عباراته، ثم بعد وفاة القاضي رحل إلى القاهرة فتردى هناك من سطح عال ومات منكسر الأضلاع ذكره ابن عربشاه في حاشية الشقائق انتهى. ويفهم من هذا أن صاحب كشف الظنون لم ير الكتاب فقص نقله في هذه القصة ويكذبها ما جاء في نص كتاب بزم ورزم المذكور. وهو كاف

---

(١) الأنباء ج ١ وقد اضطرب ناشر كتاب بزم ورزم في تعيين وفاة القاضي المذكور وهنا ذكر مع القطع تاريخ الوفاة.

للتعريف به ومعرفة المخالفة وقد مر النقل منه، حكى ما شاهد؛ ولازم السلطان أحمد فألقي القبض عليه وعفا عنه ابن تيمور. واسمه الصحيح (عزيز) لا (عبد العزيز)...

حوادث سنة ٨٠٢ هـ - ١٣٩٩ م

ذهاب السلطان أحمد إلى العثمانيين:

كان السلطان أحمد في غاية الخوف من تيمور وكانت جواسيسه تأتيه بالأخبار دون انقطاع. ولما علم في أواخر سنة اثنتين وثمانمائة بعزم تيمور على السفر إلى سيواس توهم أن سوف يسد عليه طريق الروم وأن مصر والشام في اضطراب وتشوش، وأن السلطان برقوق قد توفي فخشي أن يقطع عليه طريقه فذهب توّاً إلى بلاد الروم[1] مع قرا يوسف وأخذ أهله وأولاده وأمواله ونفائسه وترك بغداد إلى وال يدعى (فرجاً) كذا في الغياثي وفي كلشن خلفا، وأما في روضة الصفا فقد جاء اسمه (فرخ) بتشديد الراء وتكرر مرارا وهو اسم أعجمي والتسمية به معروفة...

وهذا دامت إمارته على بغداد إلى حين مجيء الأمير تيمور وافتتاحه لها...

وجاء في الأنباء: «في شوال (سنة ٨٠٢ هـ) بلغ أهل بغداد عزم تيمور لنك إلى التوجه إليهم ففر أحمد سلطانها، واستنجد بقرا يوسف فأخذه ورجع إلى بغداد وتحالف على القتال، وأعطاه مالاً كثيراً، فأقام عنده إلى آخر السنة، ثم توجه هو وقرا يوسف إلى بلاد الروم قاصدين أبا يزيد بن عثمان... فوصل اللنك إلى قراباغ في شهر ربيع الأول

---

(١) مملكة العثمانيين وسلطان الروم المعاصر يلدريم بايزيد وسيأتي الكلام على حكومتهم....

وقصد بلاد الكرج فغلب على تفليس، ثم قصد بغداد فبلغه توجه أحمد وقرا يوسف إلى جهة الشام، وقصد بلاد قرا يوسف فحاث فيها وأفسد، وبلغ قرا يلك حال اللنك... فسار إليه ووقف في خدمته كالدليل، وعرفه الطرقات، واستقر في جملة أعوانه فدخل اللنك سيواس عنوة فأفسد فيها عسكره على العادة وخربوا فرد آخر السنة؛ وقد كثر اتباعه من المفسدين...» اهـ.

وهنا نرى صاحب الأنباء كرر المباحث وخلط فيها بين حوادث هذه السنة والتي بعدها فصرنا نشاهد البحث وقد سبق منه الكلام عليه...

حوادث سنة ٨٠٣هـ ـ ١٤٠٠م

دخول تيمور بغداد:

وهذه المرة الثانية التي دخل بها تيمور بغداد. قال الغياثي: وكان يوم السبت ٢٦ ذي القعدة لسنة ٨٠٣ هـ بخلاف كلشن خلفا فإنه عين دخول تيمور عام ٨٠٢ هـ وكان قد تركها السلطان أحمد وتفصيل الخبر أن السلطان أحمد بعد أن ذهب إلى مصر عاد إلى بغداد وحينئذٍ فر واليها الخواجة مسعود بالوجه المذكور فدخلها ودام حكم السلطان أحمد فيها إلى سنة ٨٠١ هـ فتركها إلى الوالي فرج وذهب إلى ييلديرم بايزيد سلطان العثمانيين وفي هذه الأيام وافى تيمور لاستعادة بغداد وانتزاعها من أميرها المذكور...

حاصرها الأمير تيمور بنفسه ومعه الأمير زاده سلطان خليل والشيخ نور الدين ورستم طغا فأحاطوا بها ولم يبالوا بمناعتها فدخلوها... أما الأمير فرج فإنه لم يجد مخلصاً، وسدت السبل في وجهه فلم يستطع الدفاع فركب السفن هو وأهله وذهب إلى أنحاء البصرة... وبينما هو

كذلك إذ ألقى المغول القبض عليه... وحينئذٍ توجه الجيش نحو بغداد وقتلوا الأهلين قتلاً عاماً؛ فكان المصاب عظيماً لا يستطيع البيان أن يعبر عن بعضه فلم يجد القوم ملجأ، وعاث فيهم التتر فلم يبقوا ولم يذروا، ودمرت الآثار العباسية وزالت بقاياها من البين، ودثرت الجوامع وخربت المساجد، وبلغ الظلم والقسوة حدهما. ودام البلاء والفتك لمدة أسبوع ثم كف عن القتل...

والحاصل صارت بغداد في قبضته وأضاف إليها الجزائر والبصرة وولى إمارتها إلى ميرزا أبي بكر بن ميران شاه وذهب هو إلى بلاد الروم (المملكة العثمانية)[1].

وجاء في تواريخ عديدة أن تيمور بعد أن عزم إلى الروم ثنى عزمه إلى الشام فسخرها ورجع إلى قلعة آلنجق (النجا) وكان لها عشر سنوات محصورة فتوقف هناك حتى سخرها وقتل سيدي علي الأوغل شاهي الذي كان بها وأرسل جيشاً إلى بغداد فامتنعت عليه ووقع الحرب بين أميرها فرخ وبينهم وجاء أمير علي قلندر من البندنيجين وغيره من الأمراء الآخرين وعبروا دجلة من جهة المدائن وسار فرخ شاه من الحلة وميكائيل من السيب فالتقوا جميعاً عند صرصر واجتمع معهم مقدار ثلاثة آلاف فارس فوقعت المعركة بينهم وبين الجغتاي حوالي عمارة أمير أحمد فانكسر الجيش العراقي... إلا أن الأمير فرخ لم يسلم المدينة وحاصر فيها وطلب أن يجيء الأمير تيمور بنفسه فبعث المغول بالخبر إلى تيمور فتوجه إليهم بنفسه من طريق آلطون كبري[2] وجمجمال وشهرزور فجاء إلى بغداد فلم يصدق الأمير فرخ وأصر على الدوام بالحرب. وليعتقد الأمير فرخ بصحة وجود تيمور جاءهم الشيخ بشر من الصلحاء في الأعظمية فخاطب أكابر الأهلين في بغداد الحاضرين على السور فحلف لهم أن هذا

(١) كذا في كلشن خلفا وكان ذلك في سنة ٨٠٢ هـ.

(٢) ويلفظ آلتون كوپري ومعناه قنطرة الذهب.

هو تيمور بعينه فكذبوه وشتموه ورموه بالنشاب..

فلما شاهد تيمور ذلك الحال نزل بعساكره إلى قرية العقابية وهناك نصب جسراً ومضى لجانب الرصافة فضيق الخناق وحاصر بغداد لمدة أربعين يوماً فملّ الناس الحرب وضجروا من فقدان المأكول وامضَّ بهم الحر... فتركوا الحصار ودخل الجغتاي من برج العجمي وعاثوا في المدينة فقتلوا الأهلين تقتيلاً فظيعاً فهلك أكثر الناس... ومن الأمراء المعروفين الذين جاؤوا معه أمير زاده خليل سلطان ومن القواد أصحاب لقب (نويان) أمير شيخ نور الدين ورستم طغاي بوقا والأمير زاده شاه رخ والأمير سليمان شاه وأمير زاده رستم وأمير شاه ملك وبرندق وعلي سلطان وغيرهم من أمراء التومان الآخرين.

أما الأمير فرخ فإنه ركب سفينة مع بعض أهله وخواصه إلا أنه تمكن الجغتاي من قتله فلم ينج منهم...

ثم إن تيمور بعد أن فرغ من قتل الناس انتشر قومه في البلد فأحرقوا الدور وأخربوا المدارس والعمارات...»[1].

وجاء في روضة الصفا أن فتح بغداد كان بعد محاصرة دامت أربعين يوماً يوم السبت ٧ ذي القعدة لسنة ٨٠٣هـ وقتل خلق لا يحصى واتخذت من رؤوسهم منارات وخرج منها في العشرة الأولى من ذي الحجة إلا أنه لم يصل إلى العلماء منه ضرر... ومن هناك زار مشهد الإمام موسى الكاظم (رض) ومضى إلى الحلة فزار مشهد الإمام علي (رض) وقضى نحو عشرين يوماً تثبيتاً للسطوة والسيطرة على تلك الأنحاء وعلى واسط وتجمع إليه علماء العراق وآذربيجان وغيرهم وكانت مجالسه مشغولة بالمناظرات العلمية وما ماثل.. ونرى التفصيلات عن دخوله وإقامته بالعراق وفتحه وذهابه في تاريخ روضة الصفا موافقة للغياثي وهي

---

(١) الغياثي وروضة الصفا وغيرهما.



هماي وهمايون ـ لوحة ٣ ـ التصوير في الإسلام

أولى بالأخذ لتعيينها أوقات حركته وعلى كل دامت حروبه من أواخر سنة ٨٠٢ هـ إلى هذا التاريخ... فذهب متوجهاً إلى الروم...

قال في الشذرات عن وقعة بغداد:

«ثم سار على بغداد وحاصرها أيضاً حتى أخذها عنوة يوم عيد النحر من هذه السنة (سنة ٨٠٣ هـ) ووضع السيف في أهلها وألزم جميع من معه أن يأتي كل واحد منهم برأسين من رؤوس أهلها فوقع القتل حتى سالت الدماء أنهاراً وقد أتوه بما التزموه فبنى من هذه الرؤوس مائة وعشرين مئذنة ثم جمع أموالها وأمتعتها وسار إلى قراباغ فجعلها خراباً بلقعاً...» اهـ[1].

وقد بالغ أيضاً صاحب الدر المكنون في قتلى بغداد على يد تيمور فقال إنهم تسعون ألفاً ولعله وغيره أرادوا التهويل منه والتنفير من عمله... كما بالغوا وهولوا بوقائع هلاكو وقتلى البغداديين عنها تخويفاً للناس واهتماماً بأنفسهم أن ينالهم ما نال أولئك بغرض التأهب للطوارىء والاستماتة في الدفاع إذ لا وراء ذلك إلا الموت.. وقد نقل ابن جزي قال:

«أخبرنا شيخنا قاضي القضاة أبو البركات ابن الحاج أعزه الله قال سمعت الخطيب أبا عبد الله بن رشيد يقول لقيت بمكة نور الدين بن الزجاج من علماء العراق ومعه ابن أخ له فتفاوضنا الحديث فقال لي: هلك في فتنة التتر بالعراق أربعة وعشرون ألف رجل من أهل العلم ولم يبق منهم غيري وغير ذلك وأشار إلى ابن أخيه». اهـ من رحلة ابن بطوطة[2]. وفي هذا ما فيه وقد ذكرنا علماء العراق هناك وبذلك إبطال

---

(١) الشذرات ج ٧.

(٢) ج ١ ص ٢٢٥.

لقول ابن الزجاج فلا تزال المدارس آهلة والعلماء على أوضاعهم وفي أيام الفتن جمع مال وافر إلى الأقطار الإسلامية الأخرى... فلا يعول على النشرات والإذاعات أيام الحروب ووقت الفتن إلا بتروٍّ وتوثق من صدق الخبر...

قال في الأنباء: «وفي شوال (هذه السنة) كان تيمورلنك وصل ماردين.. وأرسل من عنده رسولاً في خمسة آلاف نفس إلى بغداد يطلب من متوليها مالاً كان وعد به... فلما وصل الرسول ورآه أهل البلد في قلة طمعوا فيه فقتلوا غالب من معه فأرسل الرسول إلى تيمورلنك يطلب منه نجدة فتوجه نحوه بالعساكر فوصل في آخر شوال فملكها وبذل فيها السيف ثلاثة أيام، ثم أمر أن يأتيه كل فارس من عسكره برأس فشرعوا في قتل الأسرى حتى أحضروا إليه مائة ألف رأس فبناها مواذن أربعين، ثم أمر بنهب الحلة فنهبوا وخربوا بعدها ثم أمر بخراب بغداد» اهـ.

وفيات

١ ـ جلال الدين الشيرازي:

عرف بجلال الدين الشيرازي واختلف في اسمه فقد ذكر صاحب الشذرات أنه أسعد بن محمد بن محمود الشيرازي الحنفي، وفي الضوء اللامع سماه (أسداً)، وفي الأنباء (أحمد) والظاهر تغلب عليه اللقب.

قدم بغداد صغيراً فاشتغل على الشيخ شمس الدين السمرقندي في القرآن وفي مذهب الحنفية، ثم حضر مجلس شمس الدين وقرأ عليه البخاري... وجاور بمكة سنة خمس وسبعين وكان يقرىء ولديه ويشغلهما بشغل في النحو والصرف وغيرهما ودرس وأعاد وحدث وأفاد وكانت عنده سلامة باطن ودين وتعفف وتواضع، يكتب خطاً حسناً وولي آخر أيامه إمامة الخانقاه السميساطية بدمشق ومات بها في جمادى الآخرة

وقد جاوز الثمانين[1].

«... وارتحل بسبب الفتنة اللنكية في سنة ٧٩٥ هـ عن بغداد إلى دمشق فأقام بها بعد زيارته القدس والخليل حتى مات عن نيف وستين أو سبعين ودفن بظاهر دمشق...» اهـ.

٢ ـ عز الدين أبو أحمد الشاعر العراقي:

وتوفي عز الدين الحسن بن محمد بن علي العراقي المعروف بأبي أحمد الشاعر المشهور نزيل حلب، قال ابن خطيب الناصرية: كان من أهل الأدب وله النظم الجيد، وينسب إلى التشيع... وكان يجلس مع العدول للشهادة بمكتب داخل باب النيرب ومن نظمه:

ولما اعتنقنا للوداع عشية ... وفي كل قلب من تفرقنا جمر
بكيت فأبكيت المطي توجعا ... ورق لنا من حادث السفر السفر
جرى در دمع أبيض من جفوننا ... وسالت دموع كالعقيق لنا حمر
فراحوا وفي أعناقهم من عقيقنا ... عقيق وفي أعناقنا منهم در

وله مؤلف سماه (الدر النفيس في أجناس التجنيس) أوله:

لولا الهلال الذي من حيكم سفرا ... ما كنت أنوي إلى مغناكم سفرا
ولا جرى فوق خدي مدمعي دررا ... حتى كأن جفوني ساقطت دررا
يا أهل بغداد لي في حيكم قمر ... بمقلتيه لعقلي في الهوى قمرا

يشتمل على سبع قصائد في مدح البرهان ابن جماعة وله عدة قصائد في مدح النبي ﷺ مرتبة على حروف المعجم وتوفي بحلب في سابع المحرم[2].

---

(١) الشذرات ج ٧ والأنباء ج ١ والضوء اللامع ج ٢ ص ٢٨٠.

(٢) الضوء اللامع ج ٣ ص ١٢٦، والشذرات والأنباء ج ١.

٣ ـ عبد الجبار بن عبد الله الخوارزمي:

من علماء تيمور وكان معه في حروبه، قدم حلب معه في ربيع الأول سنة ٨٠٣ هـ. ودخل معه دمشق، ثم بلاد العجم فمات هناك في ذي القعدة من هذه السنة. وكان عالم الدشت، وهو موصوف بالفضل والذكاء، ويقال إنه معتزلي. وكان إماماً بارعاً متفنناً في الفقه والأصلين والمعاني والبيان والعربية، انتهت إليه الرياسة في أصحاب تيمور بحيث كان عظيم دولته، وكان يباحث العلماء، ولديه فصاحة بالعربية والعجمية والتركية وثروة وحرمة. كل ذلك مع تبرمه من صحبة تيمور بل ربما نفع المسلمين عنده، ولكن في الأغلب لا تسعه مخالفته.

قال المقريزي: كان من فقهاء تيمور الحنفية وهو معه على عقيدته وسمي أباه نعمان بن ثابت[1].



حوادث سنة ٨٠٤ هـ - ١٤٠١م

السلطان أحمد وقرا يوسف في العراق

جاء في كلشن خلفا: «وبعد ذهاب الأمير تيمور إلى مملكة الروم (الأناضول) وافى قرا يوسف إلى العراق مرة أخرى وجمع هناك جموعاً عند نهر العلقمي قرب الحلة وعقد همته لمقارعة آل تيمور... ولما سمع الميرزا أبو بكر ومن معه من الأمراء بادروا لدفع غائلته وسد الطرق في وجهه فلم ينل مأرباً ورجع بخفي حنين بل بخيبة تامة. ومن ثم تخلص العراق لآل تيمور»[2].

وهنا نرى الوقعة التي نقلها صاحب كلشن خلفا جاءت مجملة

---

(١) الضوء اللامع ج ٤ ص ٣٥.

(٢) كلشن خلفا ص ٥٠ ـ ٢.

بالنظر للنصوص التاريخية الأخرى كما أن التاريخ الغياثي جاءت فيه الوقعة مبتورة وإن كان نقلها من روضة الصفا وعلى كل يفهم من مراجعة هذه النصوص خروج تيمور من بغداد وتوجهه إلى تبريز كان في أوائل ذي الحجة لسنة ٨٠٣ هـ وقد مضى القول عنه فلما علم السلطان أحمد وقرا يوسف اللذان كانا قد هربا إلى الروم أن تيمور قد عزم على الذهاب إلى بلاد الروم وتأهب لمقارعة السلطان يلديرم بايزيد عادا وجاءا من طريق قلعة الروم على شاطىء الفرات إلى هيت ومن هيت عبر السلطان أحمد إلى بغداد فاستعاد بغداد وجمع ما تمكن عليه من أمرائه المشتتين في الأطراف واستقر بها فوجدها خاوية فاشتغل بعمارتها وزراعتها[1]... ولما سمع تيمور هذا الخبر وهو في تبريز أمر بالعساكر أن تتوجه نحو بغداد وسير أمير زاده أبا بكر وأمير جهانشاه وآخرين غيرهم فضبطوا الدروب وفي ليلة السبت ٨ رجب سنة ٨٠٤ هـ وصلوا بغداد على حين غفلة بحيث إن السلطان أحمد أصابه الارتباك والاضطراب والعجلة فلم يتمكن من لبس ثيابه بتمامها وإنما رمى بنفسه إلى سفينة فعبر إلى الجانب الآخر حيث كان ولده السلطان طاهر هناك فتوجه معه وجماعة معدودة من أمرائه إلى صوب الحلة ركبوا خيلاً جرداً. أما عسكر تيمور فإنه كان منهوك القوى من السير والغارة المستمرة فتوقفوا تلك الليلة ببغداد وفي الصباح سار الأمير جهانشاه إلى الحلة فرأى الجسر مقطوعاً والسلطان قد رحل إلى جزيرة خالد ومالك فتوقف الأمير جهان شاه في الحلة وأرسل قاصداً إلى تيمور لعرض الحالة إليه ومن ثم توارد الأمراء الآخرون من الأنحاء الأخرى وجاؤوا من مواطن مختلفة فنهبوا وسلبوا وغنموا غنائم لا حد لها وقضوا على كل من كانوا يرتابون

(١) «اشتغل بعمارتها وزراعتها...» يضاف إلى هذا ما رواه مؤلف عيون أخبار الأعيان «وبنى سورها فقال أهل بغداد: أحمد المسكين صرف ماله في الماء والطين..» اهـ. قاله الصديق الفاضل مصطفى جواد.

منه وعاد بعض هؤلاء الأمراء... واستقرت بغداد تحت إدارة تيمور...»[1].

إن الذي أوقع المؤرخين في الغلط هو أنه كانت حدثت وقعة مماثلة أو مقاربة لهذه كما سيجيء التفصيل عنها فاشتبه الأمر في حين أن هذه الوقعة جرت قبل أن يذهب إلى بلاد الروم ويقارع السلطان يلديريم بايزيد...

الحروفية ونحلتهم

فضل الله الحروفي:

«فضل الله بن أبي محمد التبريزي أحد المتقشفين من المبتدعة. كان من الاتحادية ثم ابتدع النحلة التي عرفت بـ (الحروفية) فزعم أن الحروف هي عين الآدميين إلى خرافات كثيرة لا أصل لها، ودعا اللنك إلى بدعته فأراد قتله فبلغ ذلك ابنه (ميران شاه) لأنه فر مستجيراً به فضرب عنقه بيده وبلغ اللنك فاستدعى برأسه وجثته فأحرقها في هذه السنة (٨٠٤ هـ). ونشأ من أتباعه واحد يقال له نسيم الدين (نسيمي) فقتل بعد ذلك وسلخ جلده في الدولة المؤيدية سنة ٨٢١ هـ بحلب.» قاله في أنباء الغمر. وقال صاحب الضوء وأظنه هو (فضل الله أبو الفضل الاسترابادي العجمي) واسمه عبد الرحمن ولكنه إنما كان يعرف بالسيد فضل الله حلال خور أي يأكل الحلال كان على قدم التجريد والزهد.. مع فضيلة تامة ومشاركة جيدة في علوم ونظم ونثر. وحفظت عنه كلمات عقد له بسببها مجالس بكيلان وغيرها بحضرة العلماء والفقهاء ثم مجلس بسمرقند حكم فيه بإراقة دمه فقتل بالنجا من عمل تبريز سنة ٨٠٤ هـ وكان له مريدون وأتباع في سائر الأقطار لا يحصون كثرة متميزون بلبس

---

(١) روضة الصفا والغياثي وحبيب السير.

اللباد الأبيض على رأسهم وبدنهم ويصرحون بالتعطيل وإباحة المحرمات، وترك المفترضات وأفسدوا بذلك عقائد جماعة من الجغتاي وغيرهم من الأعاجم. ولما كثر فسادهم بهراة وغيرها أمر القاءان معين الدين شاه رخ بن تيمورلنك بإخراجهم من بلاده وحرض على ذلك فوثب عليه رجلان منهم وقت صلاة الجمعة وهو بالجامع وضرباه فجرحاه جرحاً بالغاً لزم منه الفراش مدة طويلة استمر به حتى مات وقتل الرجلان من وقتهما شر قتلة. وهو في عقود المقريزي[1].

وهذا من أشهر دعاة الباطنية في القرن الثامن الهجري، ظهر بثوب آخر من الإبطان بل وسع ناحية من نواحي معتقد الباطنية وهي «طريقة الحروفية» فقد برع فيها، وأطنب في تفسيرها، وجاهر بها بحيث دعا إلى لزوم إغفال الأحكام الشرعية فأول الآيات وصرفها عن معناها بوجه آخر غير ما ركن إليه الغلاة أو بالتفسير الأصح جاهر بما لم يستطيعوا المجاهرة به..

ومن المؤكد أن هؤلاء لم يكونوا مسلمين وإنما دعوا إلى طريقة رأوها الأصلح في الإفساد فجربوها ونجحت عندهم وهي طريقة التأويل الذي لا يحتمله اللفظ، ولا تقارب بين الأصل والمعنى الذي قرروه، فعرفت مطالبهم، وكشف العلماء عن حقيقة نحلتهم... فهم من غلاة المتصوفة وعرفوا (بالحروفية)...

وكانت نوايا هؤلاء الباطنية ـ كغيرهم من نوعهم. هدم الديانة الإسلامية إلا أنهم رأوا المجابهة بالإنكار والمعارضة بالنقد، أو إعلان محاربة رجاله... غير مقدور لهم، وجربوه بتجارب عديدة فلم يولد نتيجة حسنة لما يتطلبونه بل رأوا معارضة شديدة؛ ونالتهم نكبة قاسية من جراء ما قاموا به فعادوا بالخيبة والخذلان ومن ثم ركنوا إلى ما ركنوا إليه...

---

(١) الضوء اللامع ج ٦ ص ١٧٤.

ولم يكن يهمنا البحث والتوسع في هذه الناحة لولا أن صاحب كتاب النواقض تعرض لداعيتهم هذا فقال: «وأما أمر فضل الله الاسترابادي فإنه جاور النجف مدة عشرين سنة... ولم يحصل منه ما يدل على أنه من زمرة المسلمين في الصفاء...» اهـ. فهل تلقى نحلته هنا أو أنه جاء لبثها، أو كانت لها علاقة بالإسماعيلية وهم يترددون إلى مشهد الإمام علي (رض) فاتصل بهم...؟ مما دعا للتفكير في شأنهم والتتبع لآثارهم خصوصاً بعد أن علمنا أن نسيمي البغدادي من تلامذة فضل الله الحروفي وفي آثار فضولي وروحي البغدادي ما يشير إلى أنهما من هؤلاء... فعلاقة نحلته بالعراق وإن كانت ضعيفة إلا أنها تستحق التدقيق وتستدعي النظر.. فلم يخل العراق من دخول عقائد متنوعة يستهوي اتباعها الناس بضروب مختلفة، تارة من طريق الآداب الفارسية، وطوراً من ناحية الشيعية وباسمها في وقت أن العقيدة الشيعية معروفة ومنتشرة بين ظهرانينا... وآونة من ناحية التصوف ونحله الغالية.. وهكذا مضوا في تطبيق نهجهم وساروا في عملهم دون أن يعتريهم كلل، أو ينالهم ملل....

ولا نتجاوز حدود موضوعنا. فهذه النحلة لم تلبث أن دخلت في نحلة التصوف المعروفة بـ (البكتاشية) وتوثقت العلاقة بين الحروفية والبكتاشية لحد أن صار يعد الواحد مرادفاً للآخر... وبعد استيلاء العثمانيين دخلت البكتاشية بغداد ورؤساؤهم حروفية قطعاً...

وللمترجم مؤلفات حصلت على مكانتها عندهم:

١ ـ جاودان كبير:

اشتهر المترجم بكتابه هذا وهو جاودان كبير فكان أساساً لغيره بحيث صار كل كتاب من كتبهم المعتبرة يسمى جاودان وكتاب فضل الله ينعت بجاودان كبير، والأخرى المعتبرة تسمى بجاودان أيضاً وهي نحو

ستة كتب ولا توصف بكبير. قال في كشف الظنون عن جاودان كبير «فارسي، منثور، ألفه في مذهبه وهو متداول بين الطائفة الحروفية» اهـ. ولأول مرة رأيت منه نسخة مخطوطة في مكتبة فاتح في استانبول برقم ٣٧٢٨ وكان قد ترجمه إلى التركية درويش مرتضى البكتاشي إلا أن هذه الترجمة لا توافق أصلها تماماً. ثم حصلت على نسختين من الأصل مخطوطتين. وهذا من الكتب التي لا يبيحون مطالعتها لكل أحد وإنما هو محرم على غيرهم. والمؤلفات الأخرى توضيح أو إجمال لمطالبهم وسائر ما يرمون إليه. يأخذ بعض الآيات ويفسر حروفها ولا يتيسر الاطلاع على إشاراته ما لم يعرف مفتاحه لحل رموزه.

٢ ـ عرفنامه:

ذكرها صاحب كشف الظنون وقال هي «للسيد جلال الدين فضل الله عبد الرحمن الاسترابادي....» اهـ ولم أرها. والقوم يحتفظون بآثار رئيس نحلتهم ويتهالكون في صيانتها.

٣ ـ عرشنامة. له:

ومما يلفت الأنظار أن غالب ملائية الصبيان كانوا منهم، والقول «يفضل بسم الله الرحمن الرحيم» من تأثيراتهم الباقية، وشاراتهم المعروفة... يلقنونها للناس بطريق الإيهام والتعمية... ومن تلامذة المترجم نسيمي البغدادي وسنتعرض لترجمته في حينها. وعندي ديوانه مخطوطاً. ومن بين تلامذته من نال المكانة الرفيعة في بلاد الترك (علي الأعلى) وله اسكندرنامه وعرشنامه ومحبتنامه...

ولا نجد تعريفاً وافياً برجال نحلتهم في مختلف العصور بصورة منتظمة وترتيب صحيح إلا أن المعلوم من مشاهيرهم يبصر نوعاً بأوضاعهم.. ودراستهم ملازمة لدراسة الطريقة البكتاشية وهي التي

أسسها بكتاش ولي الخراساني الأصل من مدينة نيسابور وكان أخذ الطريقة في خراسان عن شيخ لقمان. وفي أوائل القرن الثامن الهجري جاء مهاجراً إلى الروم فاشتغل في الإرشاد في الأناضول، وأن السلطان أورخان غازي العثماني زاره فدعا له وهو الذي وضع اسم الينكچرية (الانكشارية) لجيشه وانتزع كم خرقته ووضعه على رأس الينكرية فصار معتاداً لهم وضع ما يشبه الكم في رؤوسهم... توفي أيام السلطان أورخان ودفن بجوار قير شهري... والرسوم الموجودة ليست من وضعه وإنما ابتدعها درويش يقال له (باليم سلطان) وصار في الحقيقة هو المؤسس لهذه الطريقة...[1].

وعندنا في المثل العامي (شايل قزان بكتاش) لمن يتحمل أمراً عظيماً غير ملتزم بتحمله...

ومن كتبهم الموجودة عندي مخطوطة:

١ ـ جاودان كبير.

٢ ـ كشفنامهٔ محيطي دده.

٣ ـ قسمتنامهٔ محيطي بابا.

٤ ـ ديوان محيطي.

٥ ـ كتاب ويراني.

٦ ـ ديوان ويراني.

٧ ـ كرسي نامهٔ علي الأعلى.

٨ ـ ذره نامهٔ سيد شريف.

٩ ـ قيامتنامهٔ علي الأعلى.

---

(١) قاموس الاعلام ج ٢ ص ١٣٣٢.

١٠ ـ محشر نامه. للأمير علي.

١١ ـ مجموعه كلشني ونسيمي.

١٢ و ١٣ ـ فيضنامه ورسالة أخرى لم أعرف اسم مؤلفها.

١٤ ـ ديوان نسيمي.

١٥ ـ مبدأ ومعاد.

١٦ ـ مناقب بكتاش ولي.

أما الكتب المطبوعة فغالبها دواوين. ومن أهم الكتب للتعريف بنحلتهم وبيان دخائلهم كتاب (كاشف أسرار بكتاشيان) لاسحق أفندي وهو مطبوع فيه تتبع مهم وافتضاح لهذه الطائفة. ومن رسائلهم الأصلية بعض الكتب التي نشرت مصدرة بمقالة للدكتور الفيلسوف رضا توفيق وكليمان هوار... وفيها بيان للموجود في المكتبات المعروفة...

ومن كتبهم:

١ ـ بشارتنامه لرفيعي.

٢ ـ عشقنامه لابن فرشته (ابن ملك).

٣ ـ آخرتنامه. له.

٤ ـ وحدتنامه لمقيمي.

٥ ـ حقيقتنامه.

٦ ـ اطاعتنامه. لكمال السنائي.

٧ ـ حقايقنامه أو مقدمة الحقائق.

٨ ـ رساله فضل الله.

٩ ـ تحفة العشاق.

١٠ ـ رساله بدر الدين.

١١ ـ رساله نقطه.

١٢ ـ رساله حروف.

١٣ ـ ترابنامه.

١٤ ـ اسكندرنامه.

١٥ ـ محبتنامه.

١٦ ـ استوانامه.

١٧ ـ هدايتنامه.

١٨ ـ محرمنامه.

١٩ ـ ولايتنامه.

ومن مشاهير رجالهم خليفة الله علي الأعلى الشيخ أبو الحسن، وأمير غياث الدين، وكمال سنائي؛ وحسن حيدر، وسيد شريف، وويران ابدال، وابن فرشته وهو عبد المجيد. ومن رجالهم بابا نديمي وترجمته في تذكرة سهى[1] ومن شعره:

فلكك يازدي چاق بروجنده كه دونه م بن دخي براوجنده
نه زكاتن ايده م طمع مالك نه نمازكده، نه اوروجكده

والكلام في ذا يطول وقد يخرج بنا عما التزمناه وغاية ما أقول أن هؤلاء لا يختلفون عن غيرهم من الباطنية في إباحة المحرمات وترك الواجبات وحكاياتهم متداولة وهم من أهل الاتحاد والحلول وأهم خصيصة لهم (فكرة الحروفية) وهي قديمة ويرجع عهدها إلى (سفر يصيرا) عند اليهود وهو سفر الخليقة شاعت عند الباطنية هذه الفكرة في مختلف عصورهم، وأكتفي أن أشير إلى مراجعة كتب ناصر خسرو، والكتب التالية له من أهل نحلته، وأنقل النص التالي من «كتاب الفرق»[2] قال:

---

(١) ص ٦٢.

(٢) مر وصفه في هذا الجزء، وفي تاريخ اليزيدية هامش ص ٥٤.

«قالوا في تفسير كلمة التوحيد التي هي «لا إلّه إلا الله» إنها بتكرارها اثنا عشر حرفاً وأربع كلمات وصورورها منفردة (لا إلاه إلا الاه) فصارت اثني عشر حرفاً وإذا كانت بغير تفصيل كانت سبعة أحرف وصورورها هكذا (لا إله إلا الله) قالوا وهي دالة على المنافذ السبعة التي برأس ابن آدم التي هي أيضاً دالة على النطقاء السبعة.. الخ» وأوضحوا وجه الدلالة واستنتجوا غرائب من شأنها أن تصرف الناس عن مفهوم الكلمة... وأولوا آيات كثيرة مثل حرمت عليكم الميتة والدم.. بغير معناها، وكذا في إسقاط معنى الزكاة، وإبطال الصيام، والغرض من الحج وأولوا البعث، وأموراً أخرى كالغسل والوضوء... الخ.

أكتفي بهذا ولا محل للمقابلة بين نصوص الطائفتين...

حوادث سنة ٨٠٥هـ ـ ١٤٠٢م

السلطان أحمد ـ بغداد:

إن ذهاب جيش الأمير تيمور إلى بلاد الروم (الأناضول)، وخلو العراق من قوة... مما ولد في السلطان أحمد أمل العودة فاستولى عليها مرة أخرى فحكم بغداد وأنحاءها، وجعل ابنه السلطان طاهراً في الحلة والبقاع المجاورة لها... وأساساً في الوقعة السابقة لم يفارق السلطان العراق وإنما تجول في الأطراف البعيدة متخفياً ومتربصاً العودة.. فتم له الأمر وسنحت له الفرصة... أما الأمير قرايوسف فإنه بقي في جهات هيت والأقسام الشمالية من العراق يتجول فيها...

ثم إن السلطان أحمد أراد السفر إلى الحلة وكان فيها ابنه السلطان طاهر وفي الأثناء ألقى القبض على وزيره آغا فيروز فارتاب السلطان طاهر من ذلك وتوهم أنه المقصود وتذاكر مع أمراء والده مثل محمد بك وأمير علي قلندر وميكائيل وفرخ شاه. وهؤلاء لم يأمنوا غائلة السلطان

أحمد فاتفق الكل على لزوم القيام عليه والخروج من طاعته فرفعوا الجسر وكسروا المياه في منتصف الليل واتخذوا الأهبة... فعلم السلطان أحمد بما وقع وشاهد التدابير المتخذة فوقف مكانه ونصب خيامه تجاه جيش ابنه ولما خشي أن يقع خلاف مأموله أرسل قاصداً إلى الأمير قرايوسف والتمس منه أن يوافيه ووعده بمواعيد...

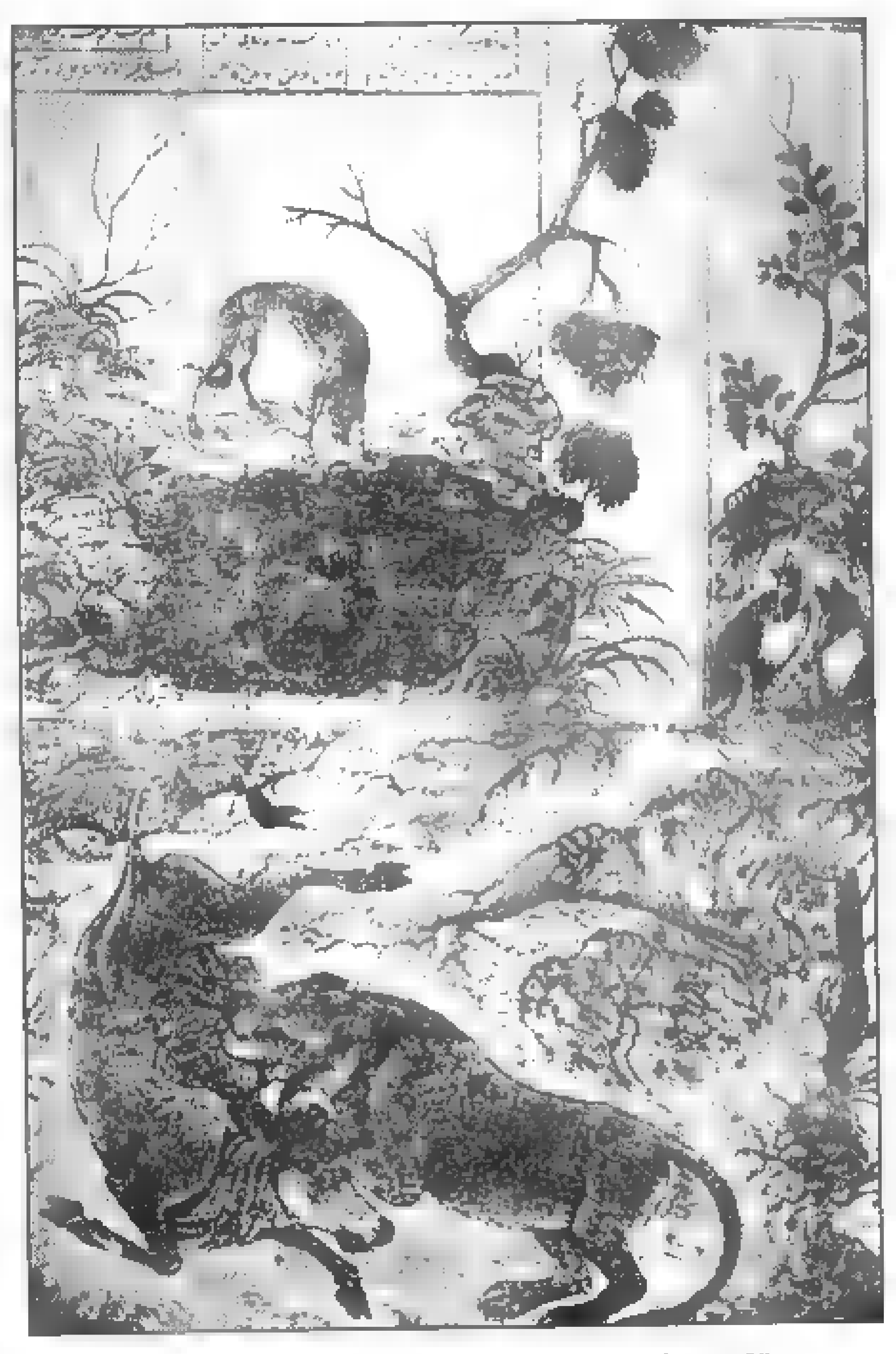
وعلى هذا سار قرا يوسف بجيش لجب مؤلف من تركمان وعرب ووافى السلطان أحمد فعبر هؤلاء جميعاً النهر ومضوا إلى ناحية السلطان طاهر فتقابل الجيشان وشرعا في المعركة فكانت بينهما طاحنة جداً فظهر فيها الانكسار بجانب السلطان طاهر وأثناء هزيمته عثرت فرسه في نهر فوقع ومات... ونال الجيش غنائم وافرة وربح قوم الأمير قرايوسف الشيء الكثير...

انتهت هذه السنة في الأثناء ودخلت السنة الجديدة.

أوضاع تيمورلنك:

إن الأمير تيمور لم يبق له منازع في الحقيقة إلا السلطان بايزيد (أبا يزيد) وكان كل واحد منهما يحاول القضاء على الآخر، أو صدّ غائلته، فكانت المقارعة بينهما أليمة وقاسية جداً، وتعد من أكبر الحروب العالمية آنئذٍ، وقد استعد لها كل واحد منهما بما لديه من قوة وما استطاع من قدرة... فكانت نتيجتها الانتصار على جيش الترك العثمانيين وأسر السلطان بايزيد وولده موسى ثم موته... وكانت الوقعة حدثت في هذه السنة، وكان هولُها كبيراً جداً...

ويقال إن بايزيد (أبا يزيد) أوصى الأمير تيمور بثلاث وصايا: أن لا يسفك دماء الروم (يقصد العثمانيين) فإنهم رده في الإسلام، وأن لا يترك التتار بهذه البلاد فإنهم من أهل الفساد، وأن لا يخرب قلاع المسلمين وحصونهم فتتسلط الكفرة عليهم... فقبل وصيته في الأمور



التصوير في القرن الثامن ـ لوحة ٤ ـ التصوير في الإسلام

الثلاثة وعمل حيلة قتل فيها غالب رجال التتار... ولعل هذه حكاية ما وقع ففسرت بوصية منه...

وعلى كل اكتسب الأمير تيمور منتهى القدرة والسطوة، وعزم بعد هذه الوقعة على حرب ممالك الصين فلم يمهله الأجل...

وفيات

١ ـ سلمان البغدادي:

هو ابن عبد الحميد بن محمد بن مبارك البغدادي ثم الدمشقي، الحنبلي، نزيل القابون سمع من جماعة وكان عابداً خيراً، صوفياً بالخاتونية، مستحضراً للمسائل الفقهية على طريقة الحنابلة، ولديه فضائل. مات في هذه السنة (٨٠٥ هـ)...[١].

٢ ـ قاضي تيمورلنك:

في هذه السنة توفي حميد بن عبد الله الخراساني الحنفي قاضي تيمورلنك. مات بعد رجوعه من الروم...[٢].

حوادث سنة ٨٠٦ هـ ـ ١٤٠٣ م

قرا يوسف ـ بغداد:

إن السلطان أحمد كان قد شعر بالخطر من هذه المساعدة، وأحس بنوايا الأمير قرا يوسف، وعلم أنه المقصود بالذات، وأن الآمال موجهة عليه... ذلك ما دعاه أن يعود إلى بغداد توّاً ليرى تدبيراً، ويفكر في

---

(١) الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٥٨.

(٢) الضوء اللامع ج ٦ ص ١٤٧.

الخلاص من هذا المأزق.. إلا أن الأمير قرا يوسف لم يمهله وسار وراءه بسرعة فلم يتمكن من النجاة بحياته إلا بشق الأنفس. فدخل قرا يوسف بغداد وهرب هو ليلاً، أخرجه منها امرؤ يقال له (قرا حسن) حمله على كتفه وقطع به نحو خمسة فراسخ وفي طريقه وجد بقرة ركبها السلطان أحمد وجاء بأسوأ حالة إلى تكريت. وكان هناك عمر الأويرات وهو أمير من جانب السلطان أحمد فأعد له ما استطاع من خيول. ووصل إلى تكريت جماعة من الأمراء الذين تشتتوا مثل الشيخ مقصود، ودولت يار، وعادل وغيرهم... فاجتمعوا هناك وساروا والسلطان إلى أنحاء الشام...

وجاء في تاريخ ابن أبي عذبية أنه «في سنة ٨٠٦ هـ دخل السلطان أحمد بن أويس إلى حلب في صورة فقير هارباً إلى الشام فمسك حسب المرسوم بطلب السلطان أحمد من حلب إلى دمشق ثم ورد مرسوم آخر بإمساكه والاعتقال عليه بها فمسك...» اهـ[1].

فاستولى قرا يوسف على بغداد وبقيت بيده مدة إلا أن المؤرخين لم ينقلوا شيئاً عن أعماله هناك... وإنما مضت ولا تزال في طي الغموض والخفاء... إلى أن استعادها جيش تيمور...

الميرزا أبو بكر - بغداد:

أما الأمير تيمور فإنه كان في حروب خطرة ووقائع دموية جرت له مع السلطان بيلديرم بايزيد فلم يكن يفكر في غيرها؛ وخلا الجوّ للسلطان أحمد وابنه فعاد إلى بغداد والحلة ثم جرى ما جرى بينهما وبين الأمير قرا يوسف وقد مضت حوادثه مع الميرزا أبي بكر... ولما عاد الأمير تيمور من حرب الروم ظافراً وسار إلى الكرج عام ٨٠٦ هـ بقصد

---

(١) تاريخ ابن أبي عذبية ج ٥ ص ٥١٢.

الاستيلاء عليها ووصل تفليس فكر في هذه الأثناء في لزوم عمارة بغداد وإصلاح ما اندثر منها بسبب الوقعة المؤلمة عام ٨٠٣ هـ ففوض حكومتها إلى الميرزا أبي بكر وهذا سارع في الذهاب إليها.. وجاء أمير زاده أبو بكر إلى أنحاء الحلة، ووافى إليه الأمير زاده رستم من بروجرد وآخرون كان الأمير تيمور قد أرسلهم لمعاونة الميرزا أبي بكر فتوجهوا من ناحيتين إلى بغداد فقابلهم الأمير قرا يوسف وبجوار نهر الغنم[1] قرب الحلة التقى الفريقان وكانت الحرب شديدة والمعركة طاحنة وقتل أثناء النضال أخو قرايوسف وانهزم هو إلى أنحاء سورية... كما انهزم قبله السلطان أحمد...

أما الميرزا رستم فإنه رجع إلى فارس كما أن الميرزا أبا بكر وصل إلى بغداد فاستقر بها... وبناء على رغبة الأمير تيمور في عمارتها بادر في القيام بالأمر، وشرع بما يلزم لإصلاح الحالة ولم يعلم بما قام به هذا الأمير إلى أن سمع بموت الأمير تيمور واستيلاء السلطان أحمد على بغداد مرة أخرى[2].

في هذه السنة نهض أمير العرب هذا على قرايوسف التركماني، فهرب منه قرايوسف وجاء إلى الشام، فشفع فيه نائب الشام شيخ المحمودي الذي صار سلطاناً بعد ذلك عند السلطان الملك الناصر، فقبلت شفاعته، واستقر في الشام أميراً يركب في خدمة النائب.

ثم في شعبان أرسل الناصر كتاباً إلى نائب الشام بقتل قرايوسف، وقتل سلطان بغداد أحمد بن أويس أيضاً وكان جاء أيضاً عنده، فتوقف الأمير شيخ في ذلك، وعوق السلطان أحمد عنده بدار السعادة، ثم قيدهما وسجنهما ببرجين في قلعة دمشق، ثم هرب السلطان أحمد. وأما

---

(١) جاء في حبيب السير أنه نهر القيم بالقاف.

(٢) روضة الصفا وحبيب السير ص ١٦٦ ج ٣ جزء ٣ وتزوكات تيمور.

قرايوسف فإن نائب الشام/شيخ لما خامر على السلطان الناصر ودخل القاهرة لمحاربته استصحب معه قرايوسف أيضاً مستعيناً به، وهو الذي أشار على شيخ وهم بمنزلة السعدية أن يكسرا بالليل على الملك الناصر، ومع هذا لم يبلغوا مقصودهم منه وانكسروا ورجعوا ومعهم قرايوسف المذكور، ثم إنه رجع إلى بلاده، وعظمت حاله، وصار أكبر أعداء شيخ لما تسلطن وحصل منه الإفساد بهذه المملكة... (مجموعة تواريخ التركمان وفيها تفصيلات مهمة عن هذه الأيام وما قبلها..).

وفيات

١ ـ زين الدين العراقي:

هو الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم المهراني المولد العراقي الأصل الكردي الشافعي حافظ العصر قال في أنباء الغمر: ولد في جمادى الأولى سنة ٧٢٥ هـ ولازم المشايخ في الرواية وسمع من عبد الرحيم ابن شاهد الجيش وابن عبد الهادي وعلاء الدين التركماني وقرأ بنفسه على الشيخ شهاب الدين ابن البابا وأدرك أبا الفتح الميدومي فأكثر عنه وهو من أعلى مشايخه إسناداً وسمع أيضاً من ابن الملوك وغيره ثم رحل إلى دمشق فسمع من ابن الخباز ومن أبي عباس المرداوي ونحوهما وعني بهذا الشأن ورحل فيه مرات إلى دمشق وحلب والحجاز وأراد الدخول إلى العراق ففترت همته من خوف الطريق ورحل إلى الإسكندرية ثم عزم على التوجه إلى تونس فلم يقدر له ذلك وصنف تخريج أحاديث الإحياء واختصره في مجلد... ونظم علوم الحديث لابن الصلاح وشرحها وعمل عليه نكتاً وصنف أشياء أخر كباراً وصغاراً وصار المنظور إليه في هذا الفن من زمن الشيخ جمال الدين الإسنائي وهلم جراً ولم نر في هذا الفن أتقن منه وعليه تخرج غالب أهل عصره ومن أخصهم به نور الدين الهيثمي،

دربه وعلمه كيفية التخريج والتصنيف وهو الذي عمل له خطب كتبه وسماها له وولي شيخنا العراقي قضاء المدينة سنة ثمان وثمانين فأقام بها نحو ثلاث سنوات ثم سكن القاهرة وأنجب ولده قاضي القضاة ولي الدين. توفي عقب خروجه من الحمام في ثاني شعبان وله ٨١ سنة وربع سنة. انتهى. باختصار[١].

حوادث سنة ٨٠٧ هـ ـ ١٤٠٤ م

أحمد بن أويس:

في ذي الحجة من هذه السنة هرب أحمد بن أويس من دمشق إلى جهة بلاده (أنحاء العراق) وكان النائب قد أطلقه من السجن فخشي من عوارض الزمان من جهة الدولة فهرب من دمشق بمن معه...[٢].

تيمورلنك في سمرقند ـ خطط حربية جديدة:

في أول هذه السنة وصل اللنك إلى سمرقند، واستقبله ملوك تلك البلاد، وقدموا له الهدايا، وأمر بعقد لقومه بتزويج ولده شاه رخ، وعمل له عرساً عظيماً بلغ فيه المنتهى وراعى وصية ابن عثمان في التتار، فاستصحبهم معه في جملة العسكر إلى أن فرقهم في البلاد، ولم يجعل لهم رأساً فتمزقوا...

وهناك دبر خطة حربية جديدة فعزم على الدخول إلى بلاد الخطا، فأمر أن تصنع له خمسمائة عجلة تضبب بالحديد، وبرز في شهر رجب، ورحل إلى تلك الجهة فلما وصل إلى أترار[٣] فاجأه الأمر الحق فوعك، فاستمر في وعكه أياماً، ولم ينجع فيه الطب إلى أن قبض يوم الأربعاء

---

(١) الشذرات ج ٧ والأنباء ج ١...

(٢) الأنباء ج١ وعقد الجمان ج ٢٤.

(٣) أترار هي فاراب القديمة وقد مر ذكرها في المجلد الأول.

١٧ شعبان وحمل إلى سمرقند[1].

وفاة تيمورلنك:

مات هذا الفاتح العظيم بعلة الإسهال القولنجي؛ وله ٧٩ سنة، كان قد دوخ الممالك وأدهش العالم، وملك أقطاراً كثيرة، وعزم في آخر عمره على الدخول إلى الصين فمضى في الشتاء فهلك من عسكره أمم لا يحصون، وهلك هو... وكان قد شغل العالم الإسلامي مدة في أيام اضطرابه، وحالة تعدد حكوماته، ولا يزال ذكر وقائعه تردده الألسن... فلا تقل أثراً في النفوس عن وقائع جنكيز وأخلافه أيام صولتهم وتمكن دولتهم...

والغريب أن هذا الفاتح ترك وقعاً في النفوس وأثراً في الأذهان يستحق الدرس والاعتبار ويدعو للبحث والتنقيب، والمشروع الذي قام به كفاتح عظيم؛ وسياسي كبير محنك يهم أمر مطالعته كل أحد، ويجب الالتفاتة إليه برغبة زائدة لكل مفكر، وخاصة من يحاول إدارة مقدرات البلاد...

ويختلف عن أكثر الأبطال غير أنهم غالب أحوالهم عادت خرافية، وصارت حوادث بطولتهم أساطيرية مخلوطة غثاً بسمين... وهذا جاءت أخباره واضحة، ووقائعه مدونة، وآثاره مسجلة في تواريخ كتبت في أيامه، وبعده بقليل انتقلت إلينا من ثقات الرواة وفي كل حروبه وغزواته لم يخل مجلسه من علماء، ولا من مباحث علمية وتاريخية...

وأكابر الرجال الذين أدركوا وقته بصروا بوقائعه؛ وقدروا عظمته، ونقل عنهم الرجال المشاهير بعض خصاله ومزاياه... فهو من الفاتحين الذين يحق للمرء أن يقف على نزعاتهم في الفتوح والطريقة التي مضوا

---

(١) الأنباء ج ١.

عليها في إدارة الممالك للحصول على المعرفة، والاستفادة مما قام به بحيث كان النصر حليفه في غالب مواقفه.

خلف هذا الفاتح في كل قطر من الأقطار التي افتتحها أثراً من آثار عظمته وظاهرة من ظواهر قدرته... وقد التزمنا الإجمال في تاريخ حياته لنلم بنوع من نهجه إلماماً توضيحاً لما قدمنا من بعض وقائعه في العراق...

أحوال الأمير تيمور

تيمورلنك: (حياته)

إن تاريخ الرجل العظيم هو في الحقيقة ما قام به من الأعمال الكبرى، وما أحدثه من دوي في [illegible] الحياة وتظهر عظمة مترجمنا بما زاوله من الأعمال والمشاريع، أو مما اختطه من المناهج... ليسير بها البشرية كما شاء... لا من ناحية مولده، والطالع الذي صادفه، ولا من البيئة التي برز فيها، ولا من القوم الذين عاش معهم... فكان من الغلط الاعتماد على المجتمع، أو المحيط، أو الطقس وتفاعلاته والإلزم أن يظهر للوجود دائماً أمثال هذا العظيم في حين أن الأمم لا تستطيع أن تعد من نوابغها الأفذاذ إلا القدر اليسير... وغاية ما يمكن تلقيه من البيئة أنه استفاد من الأوضاع وربح من الظروف... ولو لم يجدها لأوجد أمثالها، وأبدع نظائرها... ذلك ما دعانا أن نجمل القول في ماضيه قبل ظهوره كفاتح، وأن نراعي خطته التي نهجها؛ وما يتراءى من خطيئات أو أغلاط مما شعر به نفسه، أو ما عرف في نتائج التجارب الحياتية لفاتحين كثيرين...

يقص علينا أهل الأخبار أن المترجم من ذرية تومنه خان، من ملوك المغول القدماء، حكم على قبائل نيرون سنين عديدة؛ وكان له من

الأولاد تسعة. ومن كل من أولاده تفرعت القبيلة والقبيلتان، أو الثلاث، والأربع... وأن من أولاده (قابول) و (قاجولي) قد وضعتهما أمهما توأمين كما أن هؤلاء ثالث البطون من أولاده وأن أحدهما (قاجولي) صار له ابن اسمه ايرومجي أو (ارده مجي) بارلاس وأن القبيلة المعروفة باسم (بارلاس) تفرعت منه... وأن الأمير تيمور من هذه القبيلة. ومعنى (بارلاس) في لغة المغول (القائد)[1]...

وتيمور يعرف بـ (تيمورلنك) و (تيموركوركان) و (اقساق تيمور)... وهو ابن تاراغاي[2] ويلفظ (طراغاي) و (طوراغاي) أيضاً وساق صاحب وقائع تاريخية[3] وهو الفريق حافظ إبراهيم باشا نسبه أنه تيمور[4] بن طوراغاي بن أمير يركل بن الشكر بهادر. وأمه تكين خاتون من آل جنكيز. ولد يوم الثلاثاء ٢٥ شعبان سنة ٧٣٦ هـ في مدينة كش من بلاد ما وراء النهر (في قرية خواجة ايلغار). وكان والده تابعاً للسلطان غازان ملك الترك وما وراء النهر. وقد أطنب المؤرخون في بيان ما وقع أيام ولادته أو ما [illegible] في يده من دم... ويقصدون إلفات الأنظار من طريق أساطير [illegible] صغره مما لا يهم كثيراً في التطلع على أحواله إلا أنه من صغره كان مولعاً في الألعاب التي من شأنها أن تكون فيها أمرة وسيطرة وإدارة ليتولى القيادة ويدبر شؤون رفقائه خصوصاً التي هي بشكل حربي... لحد أن قيل إنه كان يشعر

---

(١) شجرة الترك في المجلد الأول من هذا الكتاب.

(٢) هو الصحيح ويخفف إلى تراغاي وله أصل في لغتهم ويعني السرو، أو الفاختة وغير ذلك من المعاني اللغوية الغة جغتاي!.

(٣) وقائع تاريخية ص ٢٦٦.

(٤) ويلفظ تمر أيضاً والاختلاف في أسماء أجداده وضبطها كبير جداً وقد ساق صاحب الشذرات نسبه بشكل آخر وفي عجائب المقدور ساقه بما يخالف غيره وهكذا... وفي الأنباء تيمورلنك بن طظرغان راجع عن أوليه فيما سبق من هذا المجلد.

بذلك وأن رؤيا بعض أجداده أشارت إلى ظهوره... وكان في أوائل أيامه يمرن نفسه على الركوب واستعمال الأسلحة والتصيد مستمراً... ولما بلغ العشرين أو تجاوزها صار يزاول الحروب ويشترك في شؤونها... وفي أيام فراغه يميل إلى المطالعة ومجالسة العلماء فلا يدع وقته يمضي هباءً.. وعلى كل ظهر في الخامسة والعشرين من سنه واشتهر أمره في الشجاعة...

وكانت أحوال ما وراء النهر آنئذٍ من الاضطراب والاختلال ما يضيق القلم عن تبيانه وذلك من أمد ليس باليسير فإن ملك الجغتاي (غازان خان) كان قد قتله الأهلون لما رأوا من جوره واستبداده، وكذا لم يقف الأمر عند ذلك وإنما قتل ثلاثة آخرون من أخلافه... ومن ثم افترقت المملكة إلى أمراء عديدين كل صار يتولى إمارة ناحية من تلك المملكة... ويحارب بعضهم البعض يتنازعون السلطة.

وفي هذه الأثناء أعلن (طغلوق تيمور) خانيته على الجغتاي وهو من أحفاد جنكيزخان والأول في مملكة ما وراء النهر فأراد القضاء على الأمراء المتعددين هناك، المتحاربين دائماً فساق جيوشه عليهم إلى ما وراء النهر فخاف أكثر هؤلاء الأمراء وفروا إلى خراسان عام ٧٦١ هـ. أما تيمور فإنه لم يهرب وإنما وافى إلى قائد الجيش وتكلم معه أن يفاوض طغلوق تيمورخان في إشراكه معه في حروبه فوافق وولاه قيادة عشرة آلاف أي صار (نوياناً) ثم ولي قيادة ما وراء النهر برضى من (طغلوق تيمور)...

ثم ظهر الأمير حسين من أحفاد أحد الأمراء القدماء في ما وراء النهر وصار يدعي السلطنة فأقام زعزعة الحروب هناك فاضطر (طغلوق تيمور) أن يسير عليه جيشاً عام ٧٦٢ هـ فانتصر على الأمير حسين واكتسح مملكته وأجلس ابنه (الياس خواجة) في حكومة ما وراء النهر

وجعل الأمير تيمور وزيره وقائده.. إلا أن تيمور لم يرض بأعمال الياس خواجة ونقم عليه أموراً كثيرة ذلك ما دعاه أن يميل إلى (الأمير حسين) وهو صهره تزوج تيمور بأخته... ومن هناك تولد العداء فساق الياس خواجة جيشاً عليهم فتأهبوا له وقابلوه فتمكنوا من طرد جيشه إلى خارج المملكة فذهب الياس خواجة إلى مغولستان وصار ملكاً عليها إذ وجد أباه قد توفي...

إن هذه الأعمال التي قام بها تيمور حببته من أفراد الجيش فإنه لم يدع فرصة ترغبهم فيه إلا اغتنمها... ومن ثم صار الأمير حسين يخشى من تيمور وعزم على البطش به والقضاء عليه فلم يوفق فأخفق الأمير حسين في المعركة وغلب عليه فقتل في رمضان سنة ٧٧١ هـ.

وعلى هذا انقادت لتيمور مملكة ما وراء النهر وأعلن سلطنته ولقب (بصاحب قران) إلا أنه لم يلقب نفسه بخان وإنما لقب به أحد الأمراء من أحفاد جنكيزخان [illegible] وجعله (قائداً) عنده وهكذا نال الحكومة بعد أن رأى من اضطراب السلطنة ما لا يوصف فلم يبال بها وقابلها بعقل رزين وتدبير فائق... وفي كل هذا لم يهمل استشارة ولم يضع حزماً...

ثم إنه قضى بعد إعلانه السلطنة نحو ست سنوات في حروب مع مملكة المغول وخوارزم وانتصر فيها على أعدائه.. أسس الصلح مع سلطان خوارزم وتزوج من أسرته ببنت كما أنه قضى على ثائرين كثيرين عليه فلم ينل أحد منهم مأرباً... وبينا هو في حرب وانتصار وما ماثل إذ دهمه خبر وفاة ابنه جهانكير فكان لها وقع كبير في نفسه وتأثر للمصاب الجلل وذلك عام ٧٧٧ هـ فأهمل الأمور، ولم يلتفت إلى إدارة المملكة إلا أن وزراءه كانوا لا يبرحون مجدين في تسليته... وفي الأثناء هجم المغول على مملكته فاضطر للكفاح فكانت هذه من أكبر

دواعي نسيانه الرزء فأدب القائمين وأرجعهم على أعقابهم خاسئين. . .

ولما عاد ركن (توقتامش) من أحفاد جنكيزخان إلى تيمور ورجا منه أن يناصره ويساعده لنيل إمارة تاتارستان الكبرى نظراً لحق سلطنته فيها وكان حاكمها آنئذٍ الأمير (أروس) (أرص) فوافق تيمور على ذلك وأجاب الملتمس فأقام (توقتامش) مكان (أروس) عام ٧٧٨ هـ.

وهذا زاحم الأمير تيمور أو أن تيمور خاف من توسعه واتخذ بعض حروبه في إيران وسيلة وحاربه مراراً إلا أنه في جميع حروبه قد خذل. . . وتوفي بالوجه المذكور سابقاً فخلفه في سلطنته ابنه محمود. . .

هذه الانتصارات الكبرى المتوالية بالقضاء على إمارات صغرى والمظفريات العظيمة على المجاورين. . . مما شجع الأمير تيمورعلى امحاء الإمارات المتعددة في إيران وعزم على أن يضمها إلى مملكته لإنهاء أمر هذا التذبذب والاضطراب الذي مله الناس وضجروه. . . فمضى إلى خراسان فاستولى عليها عام ٧٨٢هـ وهكذا سار في طريقه حتى اكتسح جميع ممالك العجم وساق جيوشه إلى العراق فكان ما كان مما مر تفصيله. . . وهكذا جرت له الوقائع الأخرى في سورية والأناضول والهند. . . حتى أيام وفاته. . .

وأكبر داع لانتصاراته أنه لم يغتر بقوة، ولم يضع فرصة، ولا يزال في اتصال من أخبار المجاورين ومعرفة حركاتهم وسكناتهم، والتطلع إلى مواطن الضعف فيهم. . . كما أنه لم يقصر في تأهب، ولم يخاطر بمقامرة، ولا سلم للطالع. . . ولم ينم، أو يغفل عن أمر. فهو أشبه بالذئب نعته العربي بقوله:

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي ... بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

ومن كانت هذه حالته، سار على طريق الحكمة والسداد، ولم

يضع الحزم واليقظة.. وحصل على مطلوبه مهما عز وغلا.. هذا ولا ينسى ما زاوله من سفك وما قام به من قتل فقد ندم عليه مؤخراً وأراد أن يكفر به عن سيئاته في محاربة الخطا والقضاء على حكوماتهم... ولات حين مندم... وكان رأيه بل فعله ينطق أن الغاية تبرر الواسطة...

وكان لم يقصر في وسائل الحضارة وضروب العمارة ولكن في مملكته ووطنه فقد عرف عنه من الأنباء وغيره أنه كان أنشأ بظاهر سمرقند بساتين وقصوراً عجيبة وكانت من أعظم النزه وبني عدة قصبات سماها بأسماء البلاد الكبار كحمص ودمشق وبغداد وشيراز...

كان حادث وفاته من أكبر الحوادث في هذا العالم بعد أن كان في قراع ونضال مع ممالك عظيمة وحكومات متعددة... فإنه من حين فتح بغداد لأول مرة افتتح ماردين وحلب والشام وبلاد الروم (الأناضول) وأقساماً كبرى من الهند وحارب القفجاق ومن في أنحائهم... وفي خلال هذه الحروب قضى على إمارات كثيرة مختلفة الأهواء لم يكن لتألفها الممالك والأقوام وكانت هذه الممالك بين نيران ملتهبة وحروب دامية وتغلب متوال... فلا راحة، ولا استراحة.. ضجر الناس من هذه الحالة وملوها... بل العالم في حاجة إلى من يقضي على هذه الدويلات وسيطرتها وتحكمها بأهليها وأموالهم، وليس لها من همّ إلا أن تنال حظاً أو قسطاً من مجاوريها... فكان هذا الدواء ـ ظهور تيمور ـ بلاءً فتاكاً ولكن لا مندوحة منه للقضاء على أمثال هذه الحكومات...

أبدى في ظهوره حتى أواخر أيامه من الشدة والقسوة ما أرعب قلوب الناس وذكرهم بأيام جنكيز الأولى وحذرهم بطشه، وأخافهم صولته. لا يعرف التواني، ولا يبالي بالتعب، ولا يقف عند غلبة... فتراه يقضي على حكومة من الحكومات بمعركة دامية انهكت قوى

الفريقين... ويتأهب أثرها للوثوب على أخرى فيسير لمفاجأتها والصدام معها... فكأنه قرر فتح العالم، والسيطرة عليه والمنقول عنه أنه يرى الدنيا لا تكفي لأكثر من واحد كما أن الله واحد... ونجد عمله لا لنفسه وإنما كان لمن يخلفه وأراد أن يكون ملكه أبدياً، وضع التصاميم للمحافظة على ما في اليد، والحصول على الباقي... وهكذا.

ويتبادر لأول وهلة أن الذي ولد فيه شعور الفتح، والاستمرار على فكرته المتأصلة فيه عاملان مهمان أحدهما فتوح جنكيز وسيطرته على العالم الشرقي الإسلامي المحتضر بسبب قوة جيشه وحسن قيادته وتدريبه على قوانين خاصة (الياسا) رأى لزوم تطبيقها بشدة لا تقبل الرأفة ولا الرحمة... والآخر الفتح الإسلامي واكتساحه عوالم شرقية وغربية عديدة... ولكنه بعد أن علم أن قد زالت مهمة الفتوح الإسلامية المصروفة للصلاح العام الشامل وتغيرت تلك الفتوح وعادت الأقوام الإسلامية بسبب الحرص على الملك فأغفلت النهج الإسلامي وتركت العمل بأحكامه.. فصارت في تذبذب واضطراب وتشعب إدارات وتعدد حكومات واختلاف أهواء!.

وهنا يرد سؤال سهل الإيراد وهو هل كان من رأيه تطبيق الخطة الحربية كما جاء بها جنكيز عيناً أو الفكرة الإصلاحية لتوحيد قيادة المسلمين وجمعهم بحيث يكونون قوة وجهتها موحدة... ليسيروا على سنن لا يتغير؟!.

شوهد من الأدلة على أنه قرر المضي بمقتضى فكرة جنكيز في قسوته وقتله في المسلمين وتخريب بلادهم، والقضاء على حكوماتهم بقصد الاستيلاء عليهم... أو قل إن ذلك كان سجية فيه وفي قومه ببذل الجهود لهذه الناحية... كما أن عمارته لمملكته، واطماعه لقومه، وعدم اكتراثه بالممالك الأخرى مؤيدات وطنيته الشديدة وحرصه القوي، أهلك غيره ليعيش هو وقومه ولتعمر مملكته...!

أما الوجهة الأخرى فلم تعدم أدلة أيضاً وأهمها الصلة التجارية بين الأقطار التي تحت سلطته وأن تسير بحرية وأمن لم تر نظيرهما. وعدله في حكومته وبيانه أنه لم يقطع رؤوس المسلمين ويتخذ منها منارات إلا من القتلى إرهاباً للناس وتخويفاً وهكذا.. واحترامه للعلماء وصحبتهم. وللصلحاء وإظهاره الحب والتكريم لهم والاستمداد بشيخه السيد بركة. وقوله للسلطان ييلديرم بايزيد العثماني حينما انتصر عليه معاتباً له: «إنك رأيت ما زرعت، كنت أود أن أصافيك فاضطررتني للحرب كارهاً.. وهذه نتائج عنادك، كنت أفكر في نصرتك لحرب أعدائك، ولو كانت المخذولية أصابتني في حربك لرأيت وجيشي ما لا يدور في حسبان، كن واثقاً سأحتفظ بحياتك وأؤدي واجب الشكر لله» هذا وأمله أن سيكون قوة ظهر له على أعدائه وأنه ركن ركين له في حراسة مملكته من الأعداء.

وعلى كل رأى أن المملكة الإسلامية يجب أن يحكمها أمير مسلم لا أكثر وأن تتجمع القوى لتتمكن من أن تقوم بما قامت به الإسلامية في أوائل أمرها... كما أنه [illegible] أيامه على ما فعل لأنه لم يتيسر له تحقيق أغراضه فعزم على الجهاد في سبيل الله ومحاربة غير المسلمين فمات في هذه الطريق..

ومهما كانت الآمال، أو التصاميم فقد وقع ما وقع، وجرى ما جرى. والظاهر أنه حاول مزج الطريقة الإسلامية بشدة جنكيز في الصرامة والقطع... يشهد بذلك وصاياه في إدارة الجيوش من غير الترك والاستفادة من مجموع قوة الكل... وإرادة الله غالبة، وعمل الإنسان في هذه الحياة ضئيل فيجب أن يصرف للإصلاح، والعمارة والعدل، ولراحة الناس واطمئنانهم وتآلفهم لا السيطرة عليهم والتحكمات المتنوعة فيهم فالطمع والحرص على ما في يد الآخرين لم يولد نتائج مرضية... وإنما الانكشاف الفكري والمدني في الأمة من أقوى دعائم الاستقلال والعزة...

إن حالة العصر الذي ظهر فيه تيمور كانت مشتتة الأهواء في السياسة، مفرقة الآراءفي النحل والعقائد، مختلفة العوائد.. وهكذا في عقولها وعلومها.. فلا أمل في التأليف بين هذه الأمم إلا بمراعاة طريقة هذه الفاتح التي اختطها وعلم أنها الناجحة لما عزم على القيام به...

قال في الشذرات: «كان له فكر صائب ومكايد في الحروب وفراسة قل أن تخطىء، وكان عارفاً بالتواريخ لإدمانه على سماعها، لا يخلو مجلسه عن قراءة شيء منها سفراً ولا حضراً، وكان مغرى بمن له صناعة ما حاذقاً فيها، وكان أمياً لا يحسن الكتابة وكان حاذقاً باللغة الفارسية. والتركية والمغولية خاصة، وكان يقدم قواعد جنكيزخان ويجعلها أصلاً... وكانت له جواسيس في جميع البلاد التي ملكها والتي لم يملكها، وكانوا ينهون إليه الحوادث الكائنة على جليتها ويكاتبونه... فلا يتوجه إلى جهة إلا وهو على بصيرة من أمرها...[1]» اهـ.

وعلى كل كان في أيام تغلب وكان قد فاق الكل وتمكن من الاستيلاء على ممالك كثيرة وكاد يضارع جنكيز في حروبه.. بل فاقه في نواح عديدة... وقد مر من حوادثه ما له علاقة بالعراق، وقد وصفه صاحب الضوء اللامع بقوله:

«كان شيخاً، طوالاً، مهولاً، طويل اللحية، حسن الوجه، أعرج، شديد العرج، سلب رجله في أوائل أمره ومع ذلك يصلي عن قيام مهاباً، بطلاً، شجاعاً، جباراً، ظلوماً، غشوماً، فتاكاً، سفاكاً للدماء، مقدماً على ذلك أفنى في مدة ولايته من الأمم ما لا يحصون. جهير

(١) الشذرات ج ٧ ص ٦٦٠.

الصوت، يسلك الجد مع القريب والبعيد، ولا يحب المزاح، ويحب الشطرنج وله فيها يد طولى ومهارة زائدة وزاد فيها جملاً وبغلاً، وجعل رفعته عشرة في أحد عشر بحيث لم يكن يلاعبه فيه إلا أفراد، يقرب العلماء والشجعان والأشراف وينزلهم منازلهم. وكانت هيبته لا تداني.. كان ذا فكر صائب ومكائد في الحرب عجيبة، وفراسة قل أن تخطيء، عارفاً بالتواريخ لإدمانه على سماعها، لا يخلو مجلسه عن قراءة شيء منها سفراً أو حضراً، مغرى بمن له معرفة بصناعة ما إذا كان حاذقاً فيها... وله جواسيس في جميع البلاد التي ملكها والتي لم يملكها وكانوا ينهون إليه الحوادث الكائنة على جليتها، ويكاتبونه بجميع ما يروم، فلا يتوجه إلى جهة إلا وهو على بصيرة من أمرها.. مات وهو متوجه لأخذ بلاد الخطا على مدينة أترار... وبالجملة فكانت له همة عالية وتطلع إلى الملك.. والقدر الذي اقتصرت عليه هنا اعتمدت فيه ابن خطيب الناصرية وشيخنا (ابن حجر في أنبائه)، وترجمته في عقود المقريزي نحو كراستين. اهـ[1]

وفي هذا وغيره من النصوص العديدة ما يعين خطته وأنه لم ينهج نهجاً مغلوطاً ولا تحرك دون حساب وأهبة للأمر...

ويطول البحث بالكلام عليه كثيراً إلا أننا نرى محل استفادتنا في دراسة نهجه الحربي والسياسي ومعرفة التعديل في مناهج الفاتحين لإنقاذ البشرية من أوضاعها السيئة التي ولدتها آمال خسيسة والسير بها نحو الطريقة المثلى وهي طريقة الإصلاح لا التخريب، والعمارة لا الإبادة، والعلوم لا الجهل والسخافة، والرأفة لا القسوة...

---

(١) الضوء اللامع ج ٣ ص ٥٠ والتفصيل هناك لا يسعه هذا المقام ومثله في الأنباء ج ١.

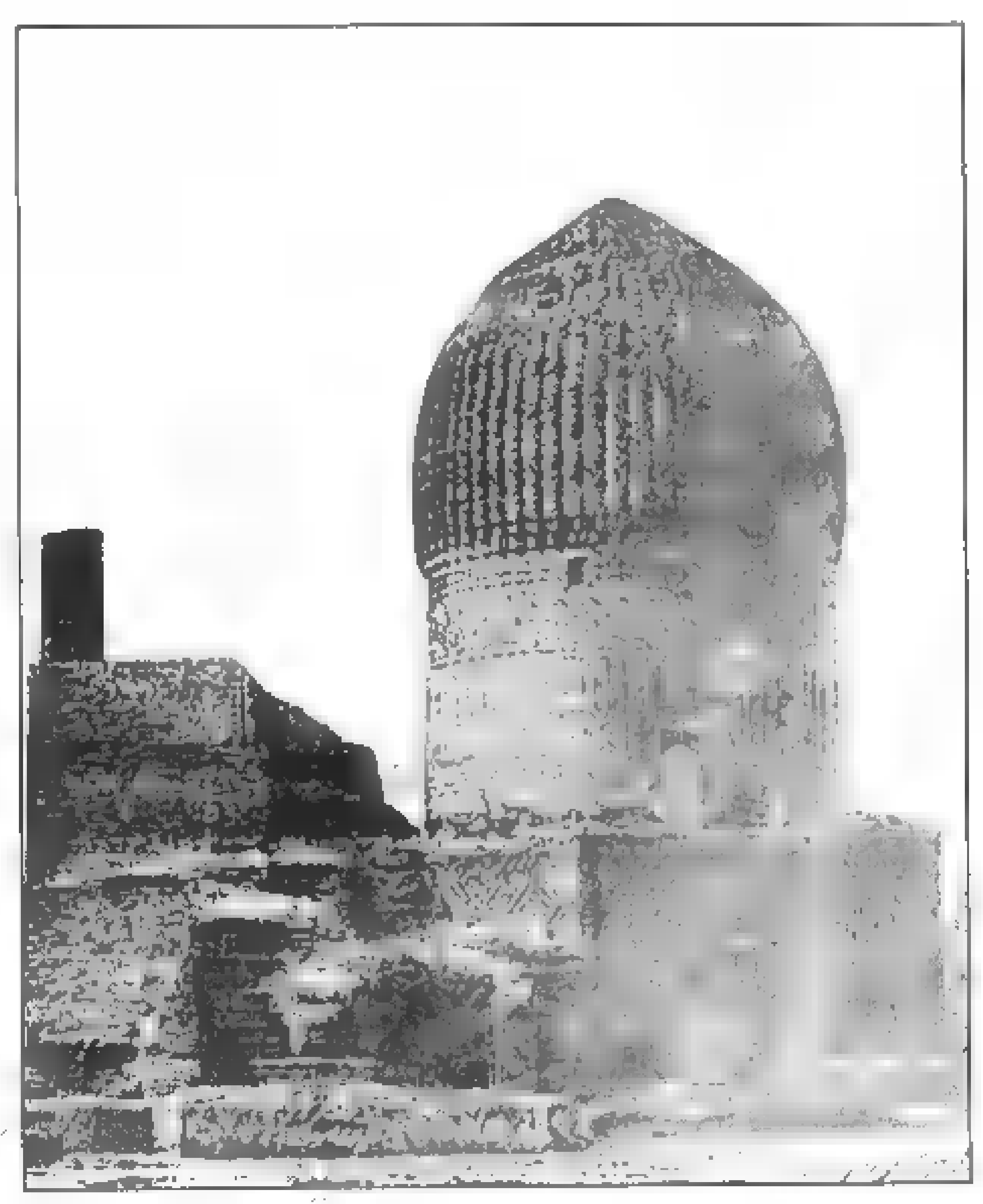
وقد مر بنا الكلام على أوليته ثم وقائعه في العراق حتى وفاته...

نهجه السياسي والحربي:

من المعروف أن تيمور أوصى أولاده وهو في فراش الموت قائلاً: «أولادي! لا تنسوا وصيتي التي تركتها لكم لتأمين راحة الأهلين، كونوا دواء لأمراض الخلق، احموا الضعفاء وأنقذوا الفقراء من ظلم الأغنياء. ليكن نهجكم في كل أعمالكم العدل والإحسان. فإذا أردتم دوام سلطتكم فاستعملوا السيف بيقظة واحتياط ولياقة، اعتنوا كثيراً واحترسوا أن يدخل الشقاق والنفاق بينكم، ولا تدعوا للصديق الحميم، أو العدو الألد طريقاً ينفذ فيه لإلقاء البذور من هذا النوع أو أن يسعى لها... وإذا مضيتم على وصيتي وبقيتم عليها دائبين وبدساتيرها آخذين احتفظتم بتاجكم دائماً، اسمعوا وصايا أبيكم الذي هو في فراش الموت وتمسكوا بها، ولا تنسوها.» اهـ... ومنه تعرف حسن نيته؛ وعنايته بحكومته وإدارته القويمة وقد قررها بنظام قطعي متين...

الوصاية المنوه عنها:

إن وصاياه في خطابه هي المذكورة في (تزك تيمور) وقد مر وصفها.. وفيها تتجلى نفس هذا الرجل العظيم أكثر مما قام به في حروبه وما اشتهر في مقارعاته الفعلية وما عرف عنه نقلاً عن أعدائه من أصحاب الحكومات المغلوبة، فهي تجاربه وأعماله الإدارية والسياسية وفيها علاقته بأمرائه ووزرائه وجيوشه وسائر أتباعه وبالأهلين ممن دخل تحت سلطته.. وهنا يجب أن نقول إن هذا الرجل متمسك بعقيدته الإسلامية تمسكاً ليس وراءه... واشتهر تواتراً عنه حبه للعلماء ومصاحبتهم حتى في حروبه وأسفاره... ولعله أول من استفاد من أصحاب العلوم والمواهب للحياة العملية والسياسة المدنية فجمع بينهما... ونرى في تاريخ ابن الشحنة صفحة من مجالسه العلمية،



قبر تيمور في سمرقند

وحمايته العلماء، وسعة الصدر لهم وأن يتكلموا بحرية تامة... ومخابراته السياسية مع الحكومات الأوروبية لا تتجاوز حدود المجاملة والمقابلة بالمثل؛ ومراعاة المصافاة لمن ليس بينه وبينه علاقة جوار؛ أو احتمال حرب.. وليس أصح للبرهنة على ذلك من كلامه للسلطان يلديرم بايزيد حين أصر في حروبه معه... ومن بكائه لفقده يوم وفاته، وانعامه على أولاده... والمنقول أنه لم يقتله وإنما مات كمداً مما أصابه في الاعتقال...

- نعم نرى أعداءه من رجال الحكومات كثيرين وأكبر من شنع عليه الترك العثمانيون والعرب ونخص بالذكر صاحب عجائب المقدور وصاحب الأنباء وبعض العجم...

ومما نقله ابن أبي عذية في (تاريخ دول الأعيان) عن وقائع تيمور ما نصه قال: «رأيت الشيخ جلال الدين بن خطيب داريّا كتب على هذه الوقعة - وقعة التتر - في الهامش من تاريخ الذهبي:

لقد عظموا فعل التتار ولو دروا بما فعل تمرلنك لعدوه أعظما
لقد خرب الدنيا وأهلك أهلها وطائره في جلق كان أشأما

قال لي الشيخ شهاب الدين ابن عرب شاه الأمر كما قال ابن خطيب داريّا. فإن تيمور سار بأعوان قيل كالجراد المنتشر فالجراد من أعوانها. أو كالسيل المنهمر فالسيل يجري من خوضانها، أو كالفراش المبثوث فالفراش يحترق عند تطاير شهابها، أو كالقطر الهامي فالقطر يضمحل عند انعقاد قتامها، برجال توران، وأبطال إيران، ونمور تركستان، وصقور الدشت والخطا، وكواسر الترك. ونسور المغول، وأفاعي خجند وأندكان، وهوام خوارزم وجرجان، وعقبان صغانيان، وضواري حصار شاه ومان. وفوارس فارس، وأسود خراسان، وليوث مازندران، وطلس أصبهان، وضباع الجبل، وسباع الجبال، وأفيال

الهنود، وهنود الأفيال، وعقارب شهرزور، وعسكر سابور مع ما أضيف إلى ذلك من التراكمة والعرب والعجم ما لا يدخل تكييفه ديوان، ولا يضبطه دفتر ولا حسبان. وبالجملة كان معه يأجوج ومأجوج، والرياح العقيمة الهوج...

وذكر ابن الشحنة أن المدوّن من عسكر تيمور كان ثمانمائة ألف وما عمل أحد عمله من إحراق البلاد وإزالة رسومها. قال ابن عرب شاه «وكان معه أهل الثلاث وسبعين فرقة الإسلامية ما عدا أهل الكفر وهم كثير، من كل فرقة خلق كثير متظاهرون بمذاهبهم» اهـ.

هذا ما نقله ابن أبي عذيبة عن المؤرخين المعاصرين في الجلد الخامس من كتابه[1]. ونحوه في تاريخ الخلفاء للسيوطي...

ومما نقل أن تيمور قال على قبر الفردوسي صاحب الشهنامة:

سراز كوربردار وايران ببين   بدست دليران توران زمين

وحينئذٍ تفاءل بالشهنامة فظهر له هذا البيت:

چوشيران برفتندزين مرغزار   كنند روبه لنك اينجاشكار

فكان جواباً مسكتاً له وذلك أنه في البيت الأول قال أخرج رأسك من القبر وعاين ما يكابده الإيرانيون من أيدي الطورانيين. وأما الجواب فهو أن هذه الأرض المترعة بطيورها دخلتها السباع فولت عنها الطيور فصارت قنصاً للثعلب الأعرج يتصيد دون أن يخشى بطشاً، ولا أصابته رهبة... والمظنون أنه تقوّل عليه.

والظاهر كما يستدل من أوضاع تيمور، وحالاته أنه لم يعتن بالشعراء، ولم يقرب منهم أحداً وإنما يكره لقياهم... ومن المشهور

---

(١) ص ٣٦٩.

(٢) مرتع.

عنه تخريب قبر الفردوسي ولعل ذلك من جراء انصرافه للخيال، ومبالغاته الزائدة في شعره بما نسبه للقدماء من الفرس كأنهم خلق آخر غير هؤلاء البشر...

هذا ونقف في ترجمته هنا ونقول إن المترجم كان في نيته أن يعمر بغداد بعد أن خربها ودمرها ولكنه لم يتحقق له ذلك ولا تيسر لأولاده من بعده فبقيت على خرابها، وكان قد هدم آثارها الناطقة بالعظمة؛ ومخلفاته الجليلة... فلم ينتفع منه العراق وإنما تضرر كثيراً... هذا ومن أراد التوسع وأحب التفصيل عن وقائعه وإتقانها من ناحية سوق الجيش، أو عن سياسته وإدارته الممالك ومعرفة وزرائه مع مقابلة سائر أعماله بالإدارات الحاضرة، وبأعمال الفاتحين الآخرين... لاستخلاص نتائج عصرية نافعة فليرجع إلى المصادر التي تستحق النظر والمطالعة مما مر بيانه من المراجع التاريخية المعاصرة له، أو التالية لعصره بقليل... وهذه التواريخ مكتوبة في أيامه:

١ ـ ظفر نامة نظام الشامي:

وهذه مر الكلام عليها في هذا الكتاب. ومنها نسخة في المتحفة البريطانية برقم ٢٣٩٨٠ ومؤلفها نظام الدين الهروي المعروف بـ (شنب غازاني) وهذا هو أول من قدم مستقبلاً للأمير تيمور من بغداد حين قصد إليها فصار مكرماً عنده...

٢ ـ جوشن وخروشن:

للشيخ محمود زنكي الكرماني، قارب إتمامه ومات، سقط في النهر من قنطرة تفليس سنة ٨٠٦ هـ. وهذا لم ينتشر كما ذكر صاحب حبيب السير.

٣ - تاريخ صفي الدين الختلاني من علماء سمرقند:

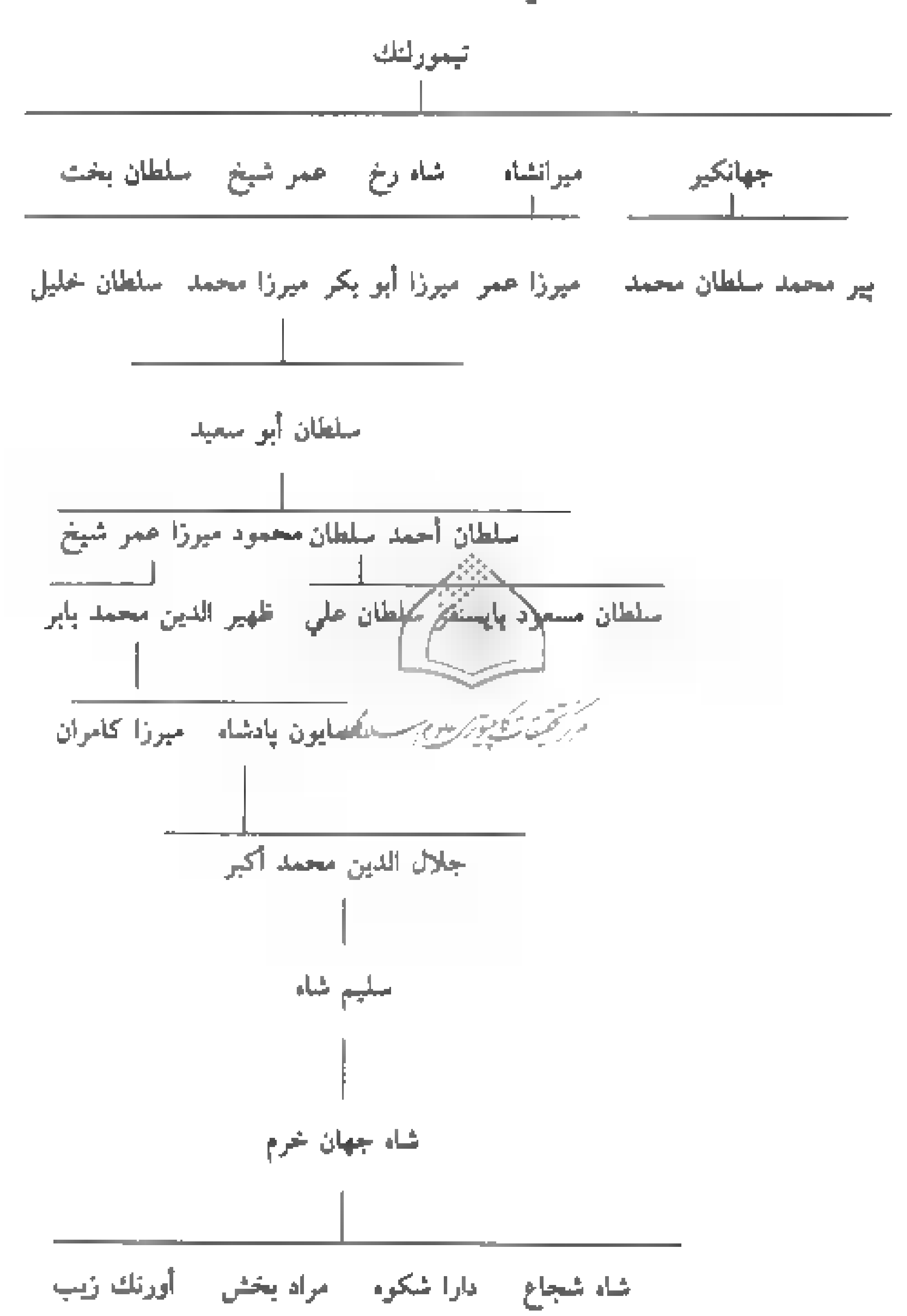
كتب طرفاً من وقائعه باللغة التركية. كذا في كشف الظنون.

وهذه الكتب لم تنل رواجاً ولا عرفت مواطن وجودها، غطت عليها الكتب التاريخية المدونة بعد هذا التاريخ في أيام أولاده منها ما ذكرناه في المراجع أو مر أثناء البحث ومنها ما سنتعرض لذكره... فلم يبق غامض من تاريخ حياة تيمور ووقائعه وإنما عرف (تزك تيمور) الذي مر وصفه. وفيه ما يفوق كثيراً من الكتب... والكتب العربية المعاصرة أو التالية لهذا العصر كتبت بسعة زائدة... ولا يستغنى عنها نظراً لما نراه من كتاب آل تيمور من الإغراق في المدح غالباً...

أولاد تيمور وأحفاده:

وهنا نجمل عن أولاده وأحفاده لنكوّن فكرة مختصرة والأولى أن نقدم مشجراً في أولاده وأحفاده ومن وليهم... فهو أعلق في الذهن وأقرب للفهم. وملخص القول أن أخلافه من حين وفاته خرقوا وصيته وانتهكوها ومضوا على الضد منها... ووقع ما كان يتوقعه من الفتنة وسوء الحالة والتقاتل على الإمارة فتوزعت المملكة إلى إمارات عديدة وطمع فيها المجاورون والأمراء ممن كانوا يعدون بمنزلة ساعد له فصاروا يتطلبون الإمارة، ويولدون الشغب وهكذا... على أن بعض الحكومات دامت لأحفاده طويلاً.

مشجر في تيمورلنك وأولاده:



تابع مشجر في تيمورلنك وأولاده:

تيمورلنك

جهانكير ميرانشاه شاه رخ عمر شيخ سلطان بخت

محمد، الوغ بك، اسبورغتمش إبراهيم أحمد جوكي بايسنقر

عبد العزيز، عبد اللطيف عبد الله أبو بكر، محمد

محمد علاء الدولة

يادكار محمد شاه محمود إبراهيم

ميرزا أحمد ميرزا رستم بايقرا ميرزا پير محمد ميرزا اسكندر

سلطان غياث الدين منصور

سلطان حسين بايقرا

محمد محسن (كيك)، بديع الزمان، مظفر حسين، محمد حسين، أبو المحسن

هذه اللوحة في أولاد تيمور وأحفاده، نظرة سريعة أخذت من تواريخ عديدة مثل دستور الوزراء وكلشن خلفا وتاريخ تيمورلنك لمرتضى أفندي آل نظمي ووقائع تاريخية ودول إسلامية وغيرها.. وجعلنا أساس بحثنا يدور على فروع كل من أولاد تيمور بذكر المشاهير منهم ذكراً مختصراً...

١ ـ معين الدين شاه رخ وأولاده:

إن شاه رخ حكم بالاشتراك مع والده الأمير تيمور ممالك خراسان سنة ٧٩٩ هـ وقضى ثماني سنوات في عهد والده ودامت حكومته في إيران وطوران ٤٠ سنة وتوفي سنة ٨٥٠ هـ في نيسابور وفي أيامه كتب تاريخ (مغز الأنساب). وهذا في التاريخ لم يعرف اسم مؤلفه انتهى منه في رجب سنة ٨٣٧ هـ كتبه بأمر شاه رخ. وقد أكمل به جدول الأنساب من جامع التواريخ ومنه نسخة في دار الكتب في باريس..

وأولاده قد أوضحوا في اللوحة منهم بايسنقر. وهذا توفي في حياة أبيه شاه رخ سنة ٨٣٧ هـ. وفي أيامه كتب له حافظ ابرو (نور الدين بن لطف الله) المتوفى سنة ٨٣٤ هـ تاريخه المسمى (زبدة التواريخ) انتهى به إلى سنة ٨٢٩ هـ اختصر به جامع التواريخ إلى أيامه ومضى إلى ما بعده فصار مكملاً له، وأصلاً يرجع إليه في تاريخ هذه الحكومة شرع بتأليفه سنة ٨٢٦ هـ وسمي (تاريخ مبارك بايسنقري) ومؤلفه من العلماء والأدباء المعروفين. ترجم هذا التاريخ إلى التركية ومنه نسخة في نور عثمانية.

ومن أولاد شاه رخ إبراهيم ميرزا. وهذا كان قد أعطاه والده منصب الإمارة في فارس والعراق. وهو الذي أمر شرف الدين علياً اليزدي[1] أن يكتب تاريخ تيمور المسمى أخيراً بـ (ظفر نامه). وفيه مقدمة

---

(١) ترجمة شرف الدين اليزدي مبسوطة في تذكرة دولتشاه السمرقندي.

سماها (تاريخ جهانكير) أوضح فيها أنساب الجغتاي وقبائلهم ومجمل الوقائع أيام تيمور حتى أيام إبراهيم ميرزا. أمر بتحريرها سنة ٨٢٢ هـ وأتمها سنة ٨٢٨ هـ وعليها ذيل التاج السليماني يحتوي وقائع السنين من المحرم ٨٠٧ هـ إلى ٨١٣ هـ واشتمل على وقائع شاه رخ. ترجم ظفر نامه المذكورة إلى التركية حافظ الدين محمد بن أحمد العجمي. وقد اعتمد الغياثي عليها في أخبار تيمور.

ومن أولاد شاه رخ ميرزا محمد توفي في حياة أبيه سنة ٨٣٨ هـ كما أن أحمد المعروف بـ (چوكي) توفي أيضاً في حياة أبيه في شعبان سنة ٨٣٩ هـ وكان من أعيان أولاد أبيه المتميزين، وله سطوة وإقدام وشجاعة، كان يرسله بالعساكر إلى الأقطار، فتح عدة بلاد وقلاع، ووقع بينه وبين اسكندر بن قرا يوسف متملك تبريز حروب ووقائع آخرها في سنة وفاته... فاشتد حزن أبيه لحادث وفاته، وذكره ابن حجر في أنبائه باختصار قال: «واتفق أن والده مات له في هذه السنة ثلاثة أولاد كانوا ملوك الشرق بشيراز وكرمان وهذا كان من أشدهم»[1].

وأما أولغ بك فإنه أنشأ رصداً في سمرقند سنة ٨٢٨ هـ وهناك عمل الزيج المشهور بأولغ بك وجمع له جماعة من العلماء مقدمهم قاضي زاده الرومي والمولى جمشيد كاشي والمولى علي القوشجي وصار زيجه هو المعمول به وانتسخ به (الزيج الايلخاني) وابتدأ تاريخه يوم الخميس أول المحرم سنة ٨٤١ هـ. وعندي نسخة مخطوطة منه.

ولما توفي شاه رخ خلفه أولوغ بك المذكور في السلطنة عام ٨٤٩ هـ وهذا كان مشغولاً بالعلوم ولم تكن له من الشدة ما يقضي على أهل الشرور والزيغ من رجال مملكته ذلك ما دعا أن يعصيه ابنه عبد اللطيف ويودي بحياته عام ٨٥٢ هـ ففقد العلم أكبر نصير ومشجع.. ومن ثم

---

(١) الضوء اللامع ج ١ ص ٢١١.

قامت الفتن في كل صوب. وجاء في تاريخ الغياثي أنه توفي بتاريخ ١٠ رمضان سنة ٨٥٣ هـ.

وأولغ بك هذا له تاريخ (ألوس أربعه جنكيزي) المسمى أيضاً (بشجرة الأتراك) ويتضمن الوقائع التاريخية من أقدم عهدها الأساطيري إلى سنة ٨٥١ هـ والمهم من حوادثه يبتدىء من سنة ٧٠٣ هـ وأما ما كان قبل ذلك فلا يختلف عن التواريخ الأخرى المتداولة. ومختصر هذه النسخة في المتحفة البريطانية برقم ٢٦١٩٠[1].

٢ ـ جلال الدين ميران شاه واولاده:

وهذا حكم العراقين وآذربيجان وديار بكر إلى حدود الروم والشام... عين بفرمان من والده تيمور سنة ٨٠٢ هـ عند قدومه من بلاد الهند إلى البلاد الشامية وفي سنة ٨١٠ هـ وقعت بينه وبين قرا يوسف محاربة فقتل فيها. وفي الضوء اللامع كان ذلك سنة ٨٠٩ هـ[2].

ومن أولاد ميران شاه السلطان خليل. ملك سمرقند بعد جده في حياة والده وأعمامه، كان معه عند وفاته سنة ٨٠٧ هـ فلم يجد الناس بداً من سلطته. وعاد بجثة جده إلى سمرقند، استولى على الخزائن وتمكن من الأمراء والعساكر ببذله لهم الأموال العظيمة حتى دخلوا في طاعته سيما وفيه رفق وتودد مع حسن سياسة وصدق لهجة وجميل صورة. فلما قارب سمرقند تلقاه من بها وهم يبكون وعليهم ثياب الحداد ومعهم التقادم فقبلها منهم ودخلها وكانت جثة جده في تابوت آبنوس بين يديه وجميع الملوك والأمراء مشاة، مكشوفة رؤوسهم حتى دفنوه وأقاموا عليه العزاء أياماً. ثم أخذ صاحب الترجمة في تمهيد مملكته. وملك قلوب

---

(١) الغياثي ص ٢٥١ وإسلامده تاريخ ومؤرخلر وغيرهما.

(٢) الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٢١.

الرعية بالإحسان واستفحل أمره وجرت حوادث إلى أن مات بالري مسموماً في سنة ٨٠٩ هـ. ونحرت زوجته شاد ملك نفسها بخنجر من قفاها فهلكت من ساعتها ودفنا في قبر واحد ثم قتل والده بعده بقليل وولي مكانه پير عمر وطوّل يوسف بن تغري بردي ترجمته تبعاً للمقريزي في عقوده[1].

ومن أولاده أمير زاده عمر كان في أيام تيمور حاكماً في العراقين وآذربيجان وديار بكر. وبعد وفاة تيمور تحارب مع أخيه الميرزا أبي بكر فانهزم والتجأ إلى شاه رخ. ثم تحارب مع عمه شاه رخ المذكور فجرح ومات عام ٨٠٩ هـ. أما ميرزا محمد فلم يرد له ذكر إلا أن ابنه السلطان أبا سعيد ولي سمرقند بعد أن قتل ميرزا عبد الله بن إبراهيم بن شاه رخ ودامت سلطنته في سمرقند ثماني سنوات وتسلط على خراسان وكابل وسيستان[2] والعراق. وفي سنة ٨٧٣ هـ كان مقتولاً على يد البايندرية فخلفه ابنه السلطان أحمد ودامت حكومته عشرين سنة ومات سنة ٨٩٩ هـ...

أما ميرزا أبو بكر وهو أكبر من أخيه ميرزا عمر تصدى لخدمة والده وناب عنه في الحكم على آذربيجان وبعد قتلة والده من جانب قرا يوسف فر إلى كرمان وسيستان وهناك تحارب مع حاكم كرمان في حدود جرفت فقتل سنة ٨١١ هـ. والسلطان خليل كان لدى الأمير تيمور حين وفاته فنال السلطنة مقامه ولم يبال بوصية تيمور إلى (پير محمد) فاغتصبها منه... وصار له ملك ما وراء النهر وتركستان وقد

---

(١) الضوء اللامع ج ٣ ص ١٩٣.

(٢) في الكتب العربية تدعى (سجستان) ومن اللازم استعمالها كذلك. قاله الصديق الجليل الأستاذ الكرملي. وفي جهانكشاي جويني كلام على هذا اللفظ (ج٣ ص٢٠٣ و٤٤٦) وفي الأيام الأخيرة في سنة ١٣١٤ هجرية شمسية طبع (تاريخ سيستان) في مجلد ضخم، وفيه مباحث مهمة عن هذا القطر نشر بتصحيح (ملك الشعراء بهار) وفيه فهارس نافعة ومهمة جداً.

بسط القول عنه صاحب عجائب المقدور. وبمؤامرة من أمرائه قد خلع عام ٨١١ هـ بعد أن حكم مدة أربعة سنوات وترك الأمر لشاه رخ عمه وبمنشور من عمه المذكور أعطيت له بعض المناصب وحكومة الري وقضى فيها أيامه هناك إلى أن توفي بالري عام ٨١٤ هـ. أما السلطان محمود بن أبي سعيد فإنه بعد وفاة أخيه السلطان أحمد صار ملكاً على ما وراء النهر إلا أنه لم تدم له السلطنة أكثر من شهرين فتوفي ومن ثم حدثت بين ابنيه الميرزا بايسنقر والسلطان علي منازعة فكانت النتيجة أن فر بايسنقر والتجأ إلى أحد خدام أبيه أمير خسرو حاكم قندهار. وهذا قتله سنة ٩٠٥ هـ ولم يراع نعمة والده فخلصت الحكومة للسلطان علي. وفي هذه السنة خرج عليه شيبك خان الأوزبكي وحاصر مدينة سمرقند ثم إنه أيام الحصار خدع السلطان بأن يتزوج بأمه فغدر به وبها... ولما ظهر الشاه إسماعيل الصفوي تحارب مع شيبك خان المذكور فقتل في المعركة...(١)

ثم إن الشاه إسماعيل الصفوي سعى أن يتولى السلطنة على ما وراء النهر الميرزا بابر بن ميرزا عمر شيخ بن أبي سعيد وبعد أمد قليل هاجمه عبيد خان الأوزبكي للانتقام منه ففر من وجهه وقنع بحكومة غزنة وبعض بلاد الهند فدامت سلطنته ٤٣ سنة وتوفي عام ٩٣٧ هـ. ثم توفي بعده بسنتين أبوه عمر شيخ. وحينذاك زالت حكومة آل تيمور من ما وراء النهر وصارت للأوزبك.

ولما توفي بابرشاه ولي بعده ولده ميرزا همايون تسلطن على ممالك الهند وزابلستان وقندهار وغزنة وكابل وافتتح مدينة دهلي عاصمة الهند وحكم ٢٦ عاماً مستقلاً وفي سنة ٩٦٣ هـ سقط من السلم، عثرت رجله فوقع وتوفي لحينه. فخلفه أخوه ميرزا كامران وقد قنع ببعض بلاد الهند وتورث الملك عن همايون شاه بعد وفاة ابنه ميرزا جلال الدين محمد أكبر شاه وهذا دامت سلطنته ونال في مملكة الهند بلاداً كثيرة

وحصل على فتوحات عظيمة فوسع حدود سلطنته. وفي سنة ١٠١٢ هـ قد توفي فخلفه ابنه سليم شاه وصار ملك الهند وفي ١٠٢٠ هـ توفي فخلفه ابنه شاه جهان خرم وقد امتاز عن غيره من الملوك بمساعدة الحظ وكثرة المال والخول والمناقب الفاضلة ودامت سلطنته مدة ولما رأى نفسه قد طعن في السن جعل ابنه داراشكوه ولي عهده إلا أن ابنه الآخر مرادبخش لم يوافق على هذا الأمر فحدث نزاع بين الأخوين وقد سعى أخوهما الآخر أورنك زيب لإصلاح ذات البين ظاهراً فألقى القبض على أحدهما مرادبخش فقتله ثم استأصل الثاني داراشكوه واعتقل والده وأعلن سلطنته عام ١٠٦٩ هـ ودامت حكومته أكثر من أربعين سنة.. وهذا هو الذي كتب له حسن بن طاهر بك القجاري تاريخاً قدمه إليه بعد أن فتح قندهار وغيرها من بعض البلدان. وعندي نسخة مخطوطة منه كتبت سنة ١١٠٣ هـ وفيها ذكر أن السلطان هو ابن شاه جهان بن جهانكير بن همايون بن بابر بن عمر شيخ ابن السلطان أبي سعيد بن ميران بن سلطان محمد بن ميران شاه بن تيمور.

أما أخوهم الآخر شاه شجاع فقد كان حاكماً في بنكاله فلما رأى النزاع قائماً بين الإخوة وأبيهم نفر من الكل وترك دعوى السلطنة ولبس ثياب درويش فاختار العزلة ولا يعرف عنه شيء.

والحاصل استمرت سلطنة هؤلاء ودامت في أولادهم وأحفادهم إلى أن انتزعها الإنجليز منهم وذلك أن فرخ شير محمد شاه بن عظيم الشان بن شاه عالم محمد بهادر قد تملك عام ١١٢٥ وفي زمانه نالت الشركة الإنجليزية بعض الامتيازات وفي سنة ١١٧٣ ولي شاه عالم الثاني أبو المظفر علي كوهر بن عالمكير. وفي أيامه كان يخشى من تجاوز المهراتة وبهذه الوسيلة أدخل الإنجليز جيوشهم المدينة وطمعاً بما أعطوه من المخصصات سلمت مملكة بنكالة إلى الإنجليز. وفي عام ١٢٥٣ هـ ولي بهادر شاه الثاني سراج الدين محمد بن أكبر شاه الثاني وهو آخر

ملوكهم ودامت حكومته اسمياً ٢١ سنة وفي سنة ١٢٧٤ هـ (١٨٥٨ م) ظهرت ثورة ادعى الإنجليز أنه ذو دخل في الأمر فنقل إلى كلكتة ووقف هناك وبهذا انقرضت الحكومة التيمورية من الهند..

وبتاريخ ١٢٩٣ هـ (١٨٧٧ م) أعلنت القراليجة فيكتورية امبراطوريتها في دهلي...

٣ ـ معز الدين الشيخ عمر وأولاده:

إن الشيخ عمر كان قد عينه والده الأمير تيمور على ممالك فارس حينما استأصل آل مظفر عام ٧٩٥ هـ فحكمها لمدة سنة ثم إنه في سنة ٧٩٦ هـ أصابه سهم طائش أيام محاصرة مدينة حرمانتون (خرماتو) فجرح وكان ذلك داعية وفاته. وله من الأولاد اسكندر، وپير محمد، وبيقرا، ورستم، وأحمد.

أما بيقرا فله ابن اسمه ميرزا منصور؛ ولميرزا أحمد المذكور ميرزا سنجر وإن ميرزا منصور [illegible] السلطان حسين ولهذا ولدان ميرزا بديع وميرزا مظفر، وأما ميرزا اسكندر فإن جده الأمير تيمور عندما عاد من حرب الروم عام ٨٠٦ هـ منحه حكومة همذان ونهاوند. فلما خرج قرا يوسف التركماني خاف منه فترك بلاده وذهب إلى أخيه ميرزا پير محمد في فارس فصار حاكماً هناك فقتله أحد ملازميه حسين الشرابي غدراً، ثم ضبط الميرزا اسكندر فارس وأصفهان وعصى على عمه شاه رخ، فتحارب معه، وبالنتيجة قبض عمه عليه وكحله. وأما ميرزا بايقرا فإنه كان متفقاً مع الميرزا اسكندر المكحول ولما كان في أصفهان حارب أخاه الآخر رستم وهذا أسر اسكندر في المعركة وقتله. ثم إن ميرزا بايقرا بفرمان من شاه رخ صار حاكماً على همذان ونهاوند فعصى في هذه الأثناء وعزم على الذهاب إلى شيراز وكان حاكمها السلطان إبراهيم ابن شاه رخ فحاربه وضبط المدينة فقام شاه رخ عليه وضيق أنفاسه ومن

ثم طلب العفو عما اقترفه واستأمن منه فجيء به إليه وعلى هذا أرسله إلى حاكمية قندهار. وهناك أيضاً ظهرت منه بعض الأحوال التي لا يرضاها فأرسل محبوساً للمرة الأخرى إلى شاه رخ وحينئذٍ بعث به إلى أنحاء سمرقند فلم يعلم عنه شيء.

أما الميرزا رستم فإنه كان أيام جده تيمور حاكم أصفهان وبوفاته نازع أخاه اسكندر بالوجه المار وسقط عن أي دعوى فأقر في حكومة أصفهان.

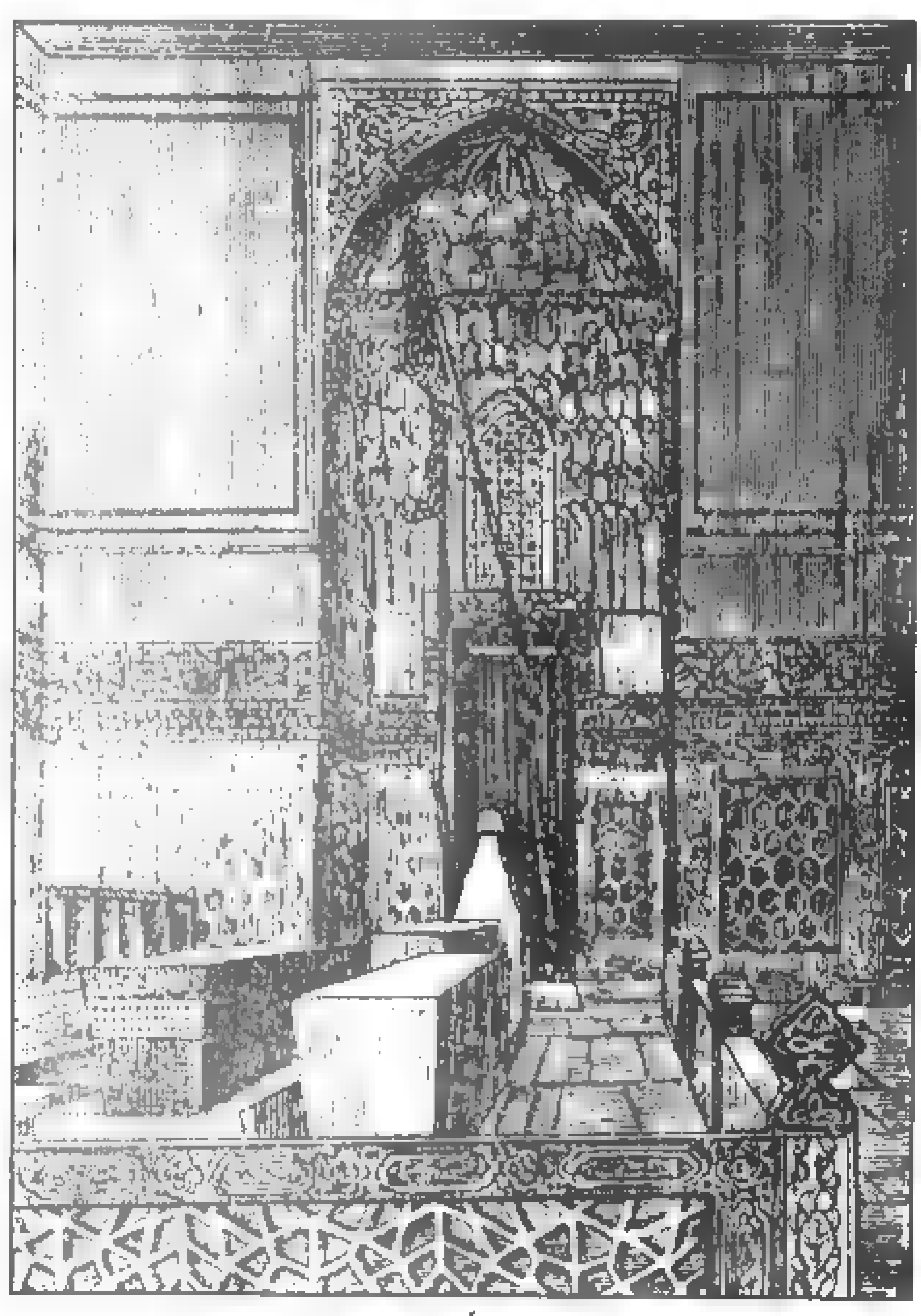
أما ميرزا أحمد ابن شيخ عمر فإنه جاء إلى سمرقند عام ٨١١ هـ فمنح حكومة أوركنج ثم إنه أثناء محاربته مع ابن عمه أولوغ بك بن شاه رخ فرّ وذهب إلى أنحاء المغول ثم عاد إلى خراسان وإن عمه شاه رخ راعى جانبه كثيراً ثم إنه بعد ذلك قصد الحج وتوجه لزيارة بيت الله الحرام فطوي خبره..

أما ميرزا سنجر بن ميرزا أحمد فإنه عام ٨٦٣ هـ اتفق مع ميرزا إبراهيم بن علاء الدولة بن [illegible] شاه رخ فقاتل الميرزا أبا سعيد فقتل في المعركة. أما ميرزا منصور فلم يعلم عنه أمر. وأما السلطان حسين[1] بن منصور بن بيقرا فهو ممدوح الملا جامي بعد أن استأصل أمير خراسان الميرزا يادكار محمد استقل بالمملكة وحكم بلا منازع... لمدة ٣٨ سنة ومات سنة ٩١١ هـ.

وهذا كانت في أيامه سوق العلم رائجة ومكانتها معتبرة.. وقد ألفت كتب تاريخية في عهده كثيرة مثل روضة الصفا وتيمور نامه للمولى عبد الله الهاتفي ابن أخت عبد الرحمن الجامي وسماها في كشف

---

(١) صاحب روضة الصفا قد خص هذا السلطان بجزء من كتابه وأطنب في تاريخه وبين معاصريه والعلماء الذين كانوا في أيامه.. ومثله صاحب حبيب السير بسط القول عنه وأثنى عليه كثيراً...



قبر تيمور أيضاً ـ مقطع من قبته

الظنون (ظفر نامه) وكذا من المؤلفات التاريخية (مطلع السعدين) لكمال الدين عبد الرزاق بن جلال الدين إسحق السمرقندي وحوادثه من أيام السلطان أبي سعيد المغولي إلى عهد السلطان حسين بايقرا الذي كان جلوسه سنة ٨٧٥ هـ وفيه إيضاح كاف عن تيمور وأولاده. ومن وزراء هذا السلطان علي شير نوائي صاحب التآليف المهمة ومنها في اللغة كتاب (سبعة أبحر) وكان حامي العلماء والأدباء في وقته...

فخلفه ابنه السلطان مظفر. وهذا تحارب مع شيبك خان (شاهي بك) الأوزبكي ملك ما وراء النهر عام ٩١٣ هـ ففر في المحاربة وذهب إلى استراباد وهناك توفي. أما ابنه الآخر وهو ميرزا بديع الزمان فإنه شارك أخاه المذكور في الحكومة إلا أنه حين محاربة شيبك خان فر والتجأ إلى الشاه إسماعيل الصفوي وفي محاربة چالديران التي ربحها السلطان سليم العثماني المعروف بياوز أخذه أسيراً في تبريز فجاء به مكرماً إلى استانبول ولم يبق هناك إلا قليلاً فتوفي.

٤ ـ محمد غياث الدين جهانگير وأولاده:

هذا هو ابن تيمور وله ولدان (السلطان محمد) وكان جده الأمير تيمور في حياته نصبه ولي عهده عندما شتى في بلاد الروم وفي ربيع سنة ٨٠٥ هـ ولما عزم على السفر إلى سمرقند توفي بأجله وحينئذٍ جعل أخاه پير محمد ولي عهده... وكان حاكماً على قندهار وغزنة وحدود الهند وبخيانة من أمرائه وغدرهم انتقل إلى الدار الآخرة عام ٨٠٩ هـ.

وصفوة القول إن حكومات هؤلاء قد طفحت التواريخ بالبيان عنهم وتفصيل أحوالهم... ولم نجد اهتماماً تاريخياً في عصر من العصور التالية كالاهتمام بهم وتدوين وقائعهم... كما أن العناية بالعلماء، وحمايتهم لهم، مما دعا أن يروج سوق العلم... ونرى اشتهار جملة صالحة من العلماء برزت في مختلف الفروع.. ومؤلفاتهم شاهدة في

درجة الرغبة ورواج سوق العلم... وأظن أن هذا كاف في التعريف بمجمل أحوال تيمور وأخلاقه...

وفيات

١ ـ جمال الدين عبد اللّٰه التحريري:

في هذه السنة (سنة ٨٠٧ هـ) توفي جمال الدين عبد اللّٰه بن محمد ابن إبراهيم بن إدريس بن نصر التحريري المالكي ولد سنة ٧٤٠ هـ واشتغل بالعلم بدمشق وبمصر وسمع من الظهير بن العجمي وغيره ثم ناب في الحكم بحلب ثم ولي قضاء حلب سنة ٦٧ ثم أراد الظاهر إمساكه فهرب إلى بغداد فأقام بها على صورة فقير فلم يزل هناك إلى أن وقعت الفتنة اللنكية ففر إلى تبريز ثم إلى حصن كيفا فأكرمه صاحبها فأقام عنده وكان صاحب الترجمة يخشى فقهاء الشافعية وتعجبه مذاكراتهم ثم رجع إلى حلب ثم توجه إلى دمشق سنة ٨٠٦ هـ فحج ورجع قاصداً الحصن وكان إماماً فاضلاً فقيهاً يستحضر كثيراً من التاريخ ويحب العلم وأهله وكان من أعيان الحلبيين. توفي بسرمين راجعاً من الحج بكرة يوم الجمعة ١٢ ربيع الأول[١].

٢ ـ الشيخ شرف الدين عبد المنعم البغدادي:

وفيها توفي شرف الدين عبد المنعم بن سليمان بن داود البغدادي ثم المصري الحنبلي ولد ببغداد وقدم إلى القاهرة وهو كبير فحج وصحب القاضي تاج الدين السبكي وأخاه الشيخ بهاء الدين وتفقه على قاضي القضاة موفق الدين وغيره وعين لقضاء الحنابلة بالقاهرة فلم يتم ذلك ودرس بمدرسة أم الأشرف شعبان وبالمنصورية وولي إفتاء دار العدل ولازم الفتوى وانتهت إليه رياسة الحنابلة بها وانقطع نحو عشر

(١) الشذرات ج ٧.

سنين بالجامع الأزهر، يدرس ويفتي ولا يخرج منه إلا في النادر وأخذ عنه جماعات وتوفي بالقاهرة في ١٨ شوال[١].

وفي الضوء اللامع تفصيل عن ترجمته وتنبيه لما وقع به المترجمون قبله من الغلط في ذكر اسم أبيه وجده[٢]. وترجمته في الأنباء ولم يزد عل هؤلاء المترجمين...[٣].

٣ ـ جلال الدين عبد الله الأربيلي:

وفيها توفي جلال الدين عبد الله بن عبد الله الأرديلي الحنفي لقي جماعة من الكبار بالبلاد العراقية وغيرها وقدم القاهرة فولي قضاء العسكر ودرس بمدرسة الأشرف بالتبانة وغير ذلك. توفي في أواخر شهر رمضان[٤].



حوادث سنة ٨٠٨ هـ ـ ١٤٠٥ م

السلطان أحمد وبغداد:

مرت حوادث السلطان أحمد والأمير قرا يوسف وحروبهما مع تيمور وأمرائه فلم يستقر لهما قرار في الأنحاء العراقية فمال كل منهما بحياله وذهب إلى مصر وكان خروج السلطان أحمد يوم الخميس ■ المحرم سنة ٨٠٦ هـ إلا أن سلطان مصر نظراً للاتفاق الحاصل بينه وبين الأمير تيمور أمر بحبسهما حينما وردا إليه منهزمين واعتقلهما في إحدى القلاع ولم يمنع أحدهما عن الآخر..

(١) الشذرات ج ٧.
(٢) الضوء اللامع ج ٥ ص ٨٨.
(٣) أنباء الغمر ج ١.
(٤) الشذرات ج ٧.

وبينا الأمير تيمور كان عازماً على غزو الصين والخطا إذ وصل إليه قاصد من سلطان مصر ومعه كتاب مضمونه أن السلطان أحمد وقرا يوسف من هيبة العساكر السلطانية (جيش تيمور) قد التجأ إلينا وقد حبسناهما وأرسلنا الخبر بذلك لاستطلاع الرأي الشريف بما يأمر فكتب في الجواب أن السلطان أحمد يقيد ويرسل إلينا وأما قرا يوسف فيحز رأسه ويبعث إلينا أيضاً[1].

وقبل أن يرسل قاصد مصر علم أن قد توفي تيمور في طريقه إلى الصين والخطا فلم ينفذ مرغوب تيمور في حق المذكورين... وأثناء بقائهما بمصر ولد لقرا يوسف ابن سمي پير بوداق كان يتعهده السلطان أحمد وهناك تعاهدا إن أنجاهما الله تعالى من هذا القيد وأقبل عليهما الدهر مرة ثانية فيكونان متفقين، متحدين، والأساس المتفق عليه هو جعل بغداد للسلطان أحمد وحكومة تبريز للأمير قرا يوسف ثم إن قرا يوسف رأى رؤيا مؤداها أن الأمير تيمور أعطى له خاتماً من خواتيمه فقصها على السلطان أحمد فكان تعبيره لها أنه سينال قطراً من الأقطار التي يملكها تيمور...

مضت مدة على اعتقالهما ثم جاءت الأخبار إلى مصر بوفاة الأمير تيمور وحينئذٍ أفرج عنهما سلطان مصر وأنعم عليهما بإنعامات وافرة وأن الأمير قرا يوسف كان قد بقي من جماعته ثلة كبيرة وعندما كان يسير راكباً يظهر بعين الجلال والأبهة فكره المصريون منه ذلك وأنكروا عليه تيهه فشعر بالأمر وعندئذٍ استأذن السلطان بالذهاب فأذن له فسار هو ومن معه مسرعين إلى ديارهم مع أهليهم وجاؤوا إلى ديار بكر وقد لقوا عناء في طريقهم من حراس القلاع إلا أنهم لم يبالوا وظفروا في كل المعارك التي حدثت بينه وبينهم أثناء مرورهم. وصلوا الفرات وتقدموا إلى ديار

---

(١) الغياثي ص ٢٤٥.

بكر وهناك حصل بين الأمير قرا يوسف وبين الملك شمس الدين حاكم أخلاط وتفليس محبة كاملة لحد أن الملك تزوج بنت قرا يوسف. ثم إن قرا يوسف بإيعاز من الملك جهز جيشاً إلى حدود وان... ونهب هناك غنائم وافرة... وقد التحق به جميع قبائل التراكمة إلى أن استولى على أونيك...

أما السلطان أحمد فإنه بعد خروج قرا يوسف لم يعبأ به أحد وعاد إلى أنحاء الشام بيأس ومن هناك توجه إلى ديار بكر ومنها جاء إلى الحلة ومن ثم مال إليه أعوانه السابقون ومن كان كارهاً حكومة تيمور فشاع أمر وصوله إلى العراق وذاع في الأطراف هناك. ومن ثم ظهرت الأراجيف في بغداد وصاروا يتحدثون بذكره ومن جراء ذلك اضطرب أمر حاكم بغداد وهو دولة خواجة إيناق وخاف أن يبقى فترك حكومة بغداد والتجأ إلى معكسر الميرزا عمر وبعد مضي أسبوع من ذهاب دولة خواجة عاد السلطان إلى وطنه السابق وجلس على سرير الحكم ببغداد يوم الخميس ٥ المحرم سنة ٨٠٨هـ.

وفي أواخر سنة ٨٠٨ هـ كان قد شغل ميرزا أبو بكر بمحاربة أصفهان من جهة ومن جهة أخرى أن الشيخ إبراهيم الشيرواني دخل تبريز ذلك ما دعا إلى اضطراب الحالة واقتضى صد غوائل هؤلاء مما جعل السلطان أحمد في مأمن من العوادي بل تأهب لمقارعات جديدة. وقوي أمله في استعادة باقي ملكه استفادة من هذا التشوش.

السلطان علاء الدولة والأمراء معه:

كان الأمير تيمور أثناء حروبه في العراق قد أخذ أسرى من جملتهم السلطان علاء الدولة ابن السلطان أحمد وحاجي باشا ومعه اتباع كثيرون ولهم أولاد وأشياع وكان كبيرهم حاجي باشا المذكور. أما السلطان خليل فإنه أفرج عنه وعمن معه وجعله ذا مكانة فاتفق هؤلاء

جميعاً أن يخرجوا من سمرقند ويذهبوا إلى العراق وصاروا تحت امرة حاجي باشا فخرجوا في جنح من الليل ليلة الاثنين غرة شوال هذه السنة (سنة ٨٠٨ هـ) وجدّوا في سيرهم لما علموا أن السلطان أحمد ولي بغداد وحصل على حكومتها... فتركوا ما وراء النهر ومالوا نحو العراق... فقطعوا جيحون ووصلوا إلى خراسان ومن ثم انفرط نظامهم فتقطعوا في البلاد قبل وصولهم إلى العراق... وأين بغداد من توران؟!.[1].

وعلى كل وصل علاء الدولة إلى آذربيجان إلى الأمير قرا يوسف. فرحب به وتلقاه بإعزاز وإكرام...[2] إلا أنه رأى منه بعض ما يكره وكان يحاول أن يستولي على بعض المدن هناك بمن معه فألقى القبض عليه واعتقله...

وفيات



١ ـ ابن خلدون:

في هذه السنة يوم الأربعاء [illegible] من رمضان سنة ٨٠٨ هـ توفي ابن خلدون المؤرخ المشهور، وكنا عولنا على تاريخه باعتباره مرجعاً لتاريخنا فإنه خصوصاً في حوادث هذه الحكومة من المعاصرين وهو عمدة إلا أن النسخة المطبوعة لم يعتن الطابعون في ضبط أعلامها... وانما تحتاج إلى تحقيق وتثبيت... أما المترجم فقد ذكر عنه صاحب الضوء اللامع ما يدل على الذم والمدح.. والمعاصرون لا يخلون من تأثر... نرى الهيتمي يبالغ في الغض منه وينقل أنه ذكر الحسين بن علي رضي الله عنهما في تاريخه فقال قتل بسيف جده، وقال صاحب رفع الإصر لم توجد هذه الكلمة في التاريخ الموجود الآن..

---

(١) عجائب المقدور ص ١٩٢.

(٢) حبيب السير ج ٣ جزء ٣ ص ١٨٦.

وكان المقريزي يفرط في تعظيم ابن خلدون لكونه كان يجزم بصحة نسب بني عبيد خلفاء مصر المعروفين (بالفاطميين) قال صاحب الضوء اللامع وكان صاحبنا ينتمي إلى الفاطميين... لكونه أثبت نسبهم وغفل عن مراد ابن خلدون فإنه كان لانحرافه عن آل علي يثبت نسب الفاطميين إليهم لما اشتهر من سوء معتقد الفاطميين وكون بعضهم نسب إلى الزندقة وادعى الإلٰهية كالحاكم وبعضهم في الغاية من التعصب لمذهب الرفض حتى قتل في زمانهم جمع من أهل السنة، وكان يصرح بسب الصحابة في جوامعهم ومجامعهم فإذا كانوا بهذه المثابة وصح أنهم من آل علي حقيقة التصق بآل علي العيب، وكان ذلك من أسباب النفرة عنهم.. وقال في الأنباء عن ابن خلدون أنه صنف التاريخ الكبير.. وظهرت فيه فضائله وأبان فيه عن براعته ولم يكن مطلعاً على الأخبار على جليتها لا سيما أخبار المشرق وهو بين لمن نظر كلامه... قال في الضوء: وطوّل المقريزي في عقوده ترجمته جداً.. وهو ممن يبالغ في إطرائه وما هو إلا من المصنفات التي سارت طالبها بخلاف مضمونها[1].

والملحوظ أنه عالم، مؤرخ فحل لولا أنه مشبع بفكر الشعوبية وآرائهم بسبب أن الحكومات آنئذٍ بيد غير العرب وأن تاريخه مملوء غلطاً في اعلامه من النساخ.. إلا أن نظراته في السياسة العشائرية كانت نتيجة بحث وتدقيق زائد ومزاولة للموضوع من جميع أطرافه... فهو خير وثيقة لتقدير قيمة المباحث العشائرية.. ومضت بعض التصحيحات لأعلامه المتعلقة بالعراق وألفاظ المغول والتتر..

٢ ـ أمير العرب نعير بن حيار:

نعير أمير العرب بنون ومهملة مصغر هو محمد بن حيار بالمهملة

---

(١) ج ٤ ص ١٤٧.

المكسورة ثم التحتانية الخفيفة ابن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة الطائي، أمير آل فضل بالشام يلقب شمس الدين ويعرف بنعير، ولي الأمر بعد أبيه ودخل القاهرة مع يلبغا الناصري ولما عاد الظاهر من الكرك وافق نعير منطاش في الفتنة المشهورة وكان مع منطاش لما حاصر حلب ثم راسل نعير نائب حلب إذ ذاك كتبغا في الصلح وتسليمه منطاش ثم غضب برقوق على نعير وطرده من البلاد فأغار نعير على بني عمه الذين قرروا بعده وطردهم فلما مات برقوق أعيد نعير إلى إمرته ثم كان ممن استنجد به دمرداش... فقتل في حلب في شوال من هذه السنة وقد نيف على السبعين. وكان شجاعاً، جواداً، مهيباً، إلا أنه كان كثير الغزو والفساد وبموته انكسرت شوكة آل مهنا. ولي بعده ولده العجل[1].

حوادث سنة ٨٠٩ هـ - ١٤٠٦ م

استيلاء السلطان أحمد على تبريز:

إن السلطان أحمد لم يقتصر على بغداد أو الاكتفاء بها وقد رأى الحالة مضطربة والفتن قائمة على قدم وساق، ووجد الفرصة سانحة لاستعادة ملكه المغصوب فنشط للأمر في أواخر سنة ٨٠٨ هـ وجمع إليه الكرد والأويرات وسائر الأتراك هناك وسار بهم إلى تبريز وفي المحرم من سنة ٨٠٩ هـ ذاع خبر ذلك ووصل إلى سمع الأمير الشيخ إبراهيم الشرواني[2] وكان استولى عليها قبل هذا فقرر بالاتفاق مع أمرائه أن هذه

---

(١) الأنباء ج ١.

(٢) مؤسس الحكومة الدربندية أو الشروانية ويقال إنه يتصل نسبه بكسرى. وكان الشيخ إبراهيم المذكور من أهل الفلاحة يسكن في قرية من قرى شروان فاتفق أن اختاره أهل هذه المملكة. وكان قد أذعن لتيمورلنك وقدم له هدايا من كل جنس تسعة أصناف وثمانية من المماليك فلما اعترض عليه قال التاسع نفسي وبذلك نال إعجاب تيمور ورضاه. توفي سنة ٨٢١ هـ. (أخبار الدول ص ٣٤٢).



شاه رخ میرزا

المدينة عاصمة السلطان أحمد وآبائه وأجداده ونحن من قديم الزمان مرتبطون معهم بمحبة وولاء ولم يكن مجيئنا إلى هذه المدينة إلا لرفع الظلم، وانقاذ المدينة من التعديات... ولما جاء صاحبها إليها وتوجه نحوها فالأجدر بنا أن نعود إلى وطننا شروان فرجع فعلاً إلى وطنه المذكور.

وفي أواخر هذا الشهر وافى السلطان أحمد إلى عاصمته الأولى (تبريز) فاستقبله الأهلون وأظهروا الفرح بوروده وزينوا المدينة واحتفلوا احتفالاً باهراً... وكان يحسب الأهلون أن قد أقلع السلطان عن أعماله السابقة لما ناله من الغربة والنكبات. إلا أنهم لم يلبثوا أن رأوه بعد قليل ركن إلى ما توهموا أنه أقلع منه... فصار يقضي غالب أوقاته في الملاهي والملاذ...

فلما تبين للأهلين سوء أعماله هذه مال أكثر الأعيان والأمراء إلى ميرزا أبي بكر وفي هذا ائتلف الميرزا مع الأصفهانيين وعقد معهم صلحاً فأمن غائلتهم وحينئذٍ سار إلى تبريز لمقارعة السلطان أحمد... وعندما علم السلطان بذلك استولى عليه الرعب ولم يستطع البقاء في تبريز ومضى إلى أنحاء بغداد... وفي ٨ ربيع الأول من تلك السنة دخل الميرزا تبريز بلا مقاومة ولا حرب.. وحينئذٍ سمع أن قرا يوسف قد اكتسح مدينة أورنيك وغنم منها غنائم كثيرة فصمم على حربه... وتوجه لجانبه فوقعت بينهما معركة دامية انتهت بهزيمة الميرزا أبي بكر. فمضى تواً إلى مرند... وصار اتباعه لا يمرون ببلد إلا نهبوه وهكذا فعلوا بتبريز ولما وردها ظن أن التراكمة هناك فذعر وذهب رأساً إلى السلطانية. ثم إن قرا يوسف جاء إلى نخجوان.. وشتى في نواحي مرند. وفي شهر جمادى الثانية سنة ٨٠٩ هـ ورد إلى قرا يوسف الأمير بسطام جاكير فنال منه منصب أمير الأمراء. وكذلك حصل سائر الأمراء كل واحد منهم على ما

يليق به.. فأرضى الوضيع والشريف...[1].

إن قرا يوسف كان قد أعلن السلطنة لابنه بمناسبة أن تبريز كانت عاصمة السلطان أحمد وأن هذا السلطان كان قد تبنى پير بوداق بن قرا يوسف فكان الأولى بها. فأذاع ذلك في الأطراف وضربت السكة باسمه وقرئت له الخطبة كما أنه أرسل قاصداً إلى السلطان أحمد يقول له إنك قد تبنيت پير بوداق بسبب أنك ربيته فالآن أجلسته على سرير الملك... وحينئذٍ رحب السلطان أحمد بالقاصد وأبدى رضاه وقدم له الهدايا السلطانية ودام الصفاء بين الاثنين على ما جرت به العهود لمدة...[2].

وفيات

١ ـ شهاب الدين أحمد البغدادي الجوهري:

وفي هذه السنة توفي الشيخ شهاب الدين أحمد بن عمر بن علي بن عبد الصمد البغدادي الجوهري، ولد سنة ٧٢٥ هـ وقدم من بغداد قديماً مع أخيه عبد الصمد فسمعا من المزي والذهبي وداود بن العطار وغيرهم وسمع بالقاهرة من شرف [illegible] وكان يحب التواجد في السماع مع المروءة التامة والخير والمعرفة التامة بصنف الجواهر. قال ابن حجر قرأت عليه سنن ابن ماجة بجامع عمرو بن العاص وقرأت عليه قطعة كبيرة من طبقات الحفاظ للذهبي وقطعة كبيرة من تاريخ بغداد للخطيب مات في ربيع الأول وقد جاوز الثمانين وتغير ذهنه قليلاً... كذا في الشذرات ومثله في عقد الجمان. وقال في الضوء اللامع «كان شيخاً وقوراً، ساكناً حسن الهيئة محباً في الحديث وأهله، عارفاً بصناعته جميل المذاكرة به على سمت الصوفية...» اهـ. ومثله في الأنباء أيضاً[3].

---

(١) حبيب السير ص ١٨٣ جزء ٣ مجلد ٣.

(٢) حبيب السير.

(٣) الشذرات ج ٧. وعقد الجمان ج ٢١، والضوء اللامع ج ٢ ص ٥٥ والأنباء ج ١.

٢ ـ صاحب الموصل:

توفي صاحب الموصل طور علي بك التركماني. وأصله من آق قويتلو[١] وملك بعده ابنه قطلي[٢] بك الموصل وديار بكر وآذربيجان وماردين والرها[٣] ومن جراء انفصال الموصل عن حكومة العراق صارت لا تذكر فكأنها نسيت وفي هذا تقصير من المؤرخين وإهمال لشأن أجزاء المملكة.

٣ ـ شيخ زاده الخرزياني:

بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وكسر الزاء بعدها.. الشيخ العالم الفاضل توفي يوم الأحد سلخ ذي القعدة سنة ٨٠٩ هـ ودفن في تربة شيخون عند الشيخ أكمل الدين في الخانقاه التي في صليبة جامع ابن طولون. وكان رجلاً فاضلاً في العلوم وخصوصاً في علم الهيئة والحكمة والمعقول. وله فيها تصانيف منها شرح كتاب العين في الحكمة وغير ذلك وكان السلطان الظاهر طلبه من بغداد وولاه مشيخة خانقاه شيخون ولم يزل بها إلى أن أخرجه كمال الدين بن العديم بالعسف وبذل الدنيا عند بعض الظلمة...[٤].

ومن هنا نرى أن علماء بغداد في هذا العصر كانوا يطلبون من الأقطار فأفادوا في ثقافتها كثيراً. فكان أكابر العلماء منهم أو ممن تخرج عليهم أو أخذ منهم...

---

(١) جاء في الدر المكنون أنه من قرا قوينلو وهو غير صحيح وسيأتي الكلام عليه في حينه.

(٢) ورد في التواريخ الأخرى قوتلوبك على أصل تلفظه كما في تاريخ الترك العام لدوكيني ترجمة حسين جاهد بك الكاتب التركي.

(٣) الدر المكنون.

(٤) عقد الجمان ج ٢٤ ص ٢٥٦.

حوادث سنة ٨١٠ هـ ـ ١٤٠٧ م

وفيات

وفاة صاحب الموصل: (قطلي بك):

في هذه السنة توفي صاحب الموصل قطلي بك وملك بعده عثمان بك ويلقب بقرا أيلوك (قرا يلك) لأنه كان أسمر اللون[١]. وفي شبابه يحلق وجهه فلقب بذلك.

حوادث سنة ٨١١ هـ ـ ١٤٠٨ م

وفيات

وفاة شاعر موصلي:

في هذه السنة توفي الفاضل أحمد بن أبي الوفاء الموصلي[٢].

حوادث سنة ٨١٢ هـ ـ ١٤٠٩ م

بين السلطان أحمد وقرا يوسف:

كان كل من السلطان أحمد والأمير قرا يوسف قد التزم العهود التي تحالفا عليها ومضوا جميعاً بمقتضاها قال الغياثي:

«ثم إن السلطان أحمد مكث ببغداد بعد ذلك خمس سنوات وعزم إلى شوشتر (تستر) وأجلس مكانه ببغداد أحد أمرائه فغضب ولده علاء الدولة وانهزم فاتفق مع كيمرز ابن الشيخ إبراهيم الشرواني حاكم الدربند وشروان وساروا إلى تبريز. وفي بعض الأخبار أن السلطان أحمد أرسله

(١) الدر المكنون والغياثي.

(٢) الدر المكنون.

من غير هرب.. وكان قرا يوسف آنئذٍ قد عزم إلى أرزنجان ولم يكن في تبريز سوى أميره «داروغه»[1] ومعه نحو ثلاثمئة نفر وحينئذٍ خرجوا من البلد وهربوا فلما سمع علاء الدولة ومن معه طرحوا عنهم أهبة الحرب وساروا مطمئنين فاجتازوا عليهم ولم يشعروا بهم وهم في كهف الجبل فنظر التركمان إليهم فصبروا حتى جاز العسكر فلما وصل علاء الدولة بنفسه وكيمرز وثب عليهم نحو مائة نفر من التركمان... وألقوا القبض على علاء الدولة وكيمرز فانكسر العسكر وانتهبه التركمان وجاؤوا بالأميرين إلى البلد مقبوضاً عليهما. فلما عاد الأمير قرا يوسف وحضر البلد سجن علاء الدولة في جب (عادل جواز) قرب آذربيجان. أما كيمرز فإنه بقي عنده مدة وتنصل هو وأبوه مما صدر منهم واعتذروا فقبل المعذرة وخلى سبيله. وأما علاء الدولة فكلما اعتذر أبوه لم تقبل معذرته لما تحقق عنده من غدرهم فلما طالت المدة ولم يجد الاعتذار والتشفع في ولده ولم يبال بالتحف التي أرسلها إليه وتعنذ في أن لا يطلق سراحه ولا يفرج عنه عزم السلطان أحمد السير إلى تبريز» هـ.[2].

وأما حبيب السير فقد تحدث عن ذلك بأنه حصلت مؤخراً بعض الأمور التي أدت إلى النفرة بينهما وذلك أن علاء الدولة قد تخلص من أسر سمرقند وجاء إلى آذربيجان فتلقاه الأمير قرا يوسف بإعزاز وإكرام.. ثم رخصه في الذهاب إلى أبيه... إلا أنه نظراً لما علق في ذهنه من بعض الخيالات رجع من طريقه... ولما كان الأمير قرا يوسف في خوي قد لف حوله شرذمة من الأشرار وعاد إليها فسمع قرا يوسف بذلك وأمر حاكمه في تبريز بإلقاء القبض على علاء الدولة وألقي معتقلاً في قلعة عادل جواز..

(١) ويلفظ داروغا أيضاً. وهو أشبه بالحاكم السياسي والعسكري في مصطلح اليوم وله إطلاقات أخرى «لغة الجغتاي» وفي العامية يستعمل لمن يخبيء المسروقات، أو يكون دليل السراق لإيقاع السرقة ويعرف «بالوتي» أيضاً.

(٢) الغياثي ص ٢٠٥ و ٢٦٢. وفيه ورد عبد الجواز مكان عادل جواز.

وصل هذا الخبر إلى السلطان في بغداد فأمر بإحكام سور بغداد وأبراجها، وأرسل قاصداً إلى قرا يوسف وإلى ابنه پير بوداق وذكر أنه يريد أن يصيف الربيع القادم في أنحاء همذان بسبب ضعف مزاجه ووجود الحر هنا ولم يبحث عن ابنه علاء الدولة فتلقى قرا يوسف هذا ببرودة ولم يلتفت إليه بل تأثر وفي موسم الربيع توجه قرا يوسف بقصد التصييف إلى الأطاق (الأطاغ) وضبط تلك البلدة ثم ذهب إلى حدود أرجيش وعادل جواز. أما السلطان أحمد فإنه ذهب بأبهة إلى همذان بقصد التصييف هناك... وفي الأثناء ظهر امرؤ يسمى (أويس) يدعي أنه ابن السلطان فجمع إليه أناساً وأحدث غائلة هناك فاضطر السلطان أحمد إلى العودة فعاد ورفع هذه الغائلة فقتل هذا المدعي ومن معه من أهل الشغب (سنة ٨١٢ هـ)...» اهـ.



وفاة شاعر بغدادي:

في هذه السنة (سنة ٨١٢ هـ) توفي الشاعر نصر الله البغدادي[1].

حوادث سنة ٨١٣ هـ ـ ١٤١٠ م

وفاة السلطان أحمد

سفر السلطان أحمد إلى تبريز: (وفاته)

وفي الشتاء من (عام ٨١٢ هـ) كان قرا يوسف في تبريز فعلم بظهور تعرض من قرا عثمان نحو ولاية أرزنجان وكان الحاكم بها طهرتن فسارع الأمير قرا يوسف إلى تلك البلدة. فلما علم السلطان أحمد بذلك

(١) الدر المكنون.

انتهز الفرصة فجيش جيشاً عظيماً من بغداد وسار به في المحرم سنة ٨١٣ هـ إلى تبريز وإن شاه محمد النجوي فر من وجه السلطان وكان قائماً مقام الأمير قرا يوسف فدخل تبريز في غرة ربيع الأول دون مقاومة من أحد فإن الشاه محمد النجوي الذي كان حاكمها انهزم.

ثم إن الأمير قرا يوسف فتح أرزنجان بطريق المصالحة وعين نائباً عنه پير محمد عمر. ولما وصل إليه خبر دخول السلطان تبريز رجع فعلم السلطان بعودته فاستعد لحربه وفي يوم الجمعة ٢٨ ربيع الآخر[1] من السنة المذكورة وقع بين الجانبين في منخفضات غازان مقاتلة أسفرت عن تغلب الأمير قرا يوسف وانهزام السلطان أحمد إلى المدينة...

وفي أثناء هزيمته ضربه تركماني فوقع من فرسه، فانتزع منه أسلحته وثيابه وتركه وشأنه فاضطر السلطان أن يسلك من ممر ماء إلى بستان هناك فعرفه شيخ اسكافي وأسرع إلى خدمته وقال له: أيها السلطان ما هذه الحال فأجابه عليك بالسكوت ولا تفش سري. لأن اتباعنا في هذه المدينة كثيرون وعندما يحل الليل أذهب إليهم وأحصل منهم على ما احتاجه من الذهب والخيل. وسأراعيك عند وصولي إلى بغداد وأمنحك مقاطعة بعقوبة. فقبل الشيخ الأسكافي منه هذا الوعد وانصرف إلى بيته وكان لهذا الشيخ امرأة عجوز تزعم أن لها مهارة في أمور مختلفة... كالطالع والأخبار بالمغيبات فلما قص عليها ما وقع وطلب منها بيان ما هو الصالح شرعت في أخذ المال وقالت: بيننا وبين بعقوبة مسافة بعيدة ولا يجدينا النفع من هذا الطريق فالأولى أن ننتهز الفرصة ليلاً وقت اجتماع الناس عند السلطان وقبل أن يفرط من أيدينا الأمر وتذهب إلى قرا يوسف فتخبره بأمر السلطان وتحصل منه على ما يرضيك أو يغنيك لقاء هذه الخدمة... فوقع كلام العجوز منه موقع القبول واستصوب ما

---

(١) وفي الغياثي ١٧ ربيع الآخر لسنة ٨١٣.

استنتجته وذهب إلى الأمير قرا يوسف وبين له وضع السلطان أحمد وما هو عليه فأمر قرا يوسف حالاً جماعة من معتمديه لإلقاء القبض على السلطان فنفذوا الأمر وألقوا القبض على السلطان وألبسوه ثياباً بالية وعلى رأسه طاقية ممزقة وأتوا به إلى الأمير فقام الأمير قرا يوسف تعظيماً له وأجلسه بجنبه فتكلم معه بكلمات خشنة وعاتبه على نقضه العهد لما كان بينهما من المواثيق...

ثم أمر قرايوسف بإجلاس السلطان في صف النعال وكلفه أن يكتب بخطه صكاً بإيالة آذربيجان إلى ابنه پير بوداق، وآخر في حكومة بغداد إلى شاه محمد. وحينئذٍ قام الشاه محمد من مجلسه هذا وسار تواً إلى بغداد دار السلام ولم يكن في النية أن يتعرض للسلطان إلا أن أمراء[1] بغداد ألحوا كثيراً في القضاء عليه فأثروا عليه وحينئذٍ أغمض عن قتله فقتل... ولم يتول هو الملك ودفن بجنب أخيه السلطان حسين الذي كان قتله سابقاً. وأما علاء الدولة الذي هو من أولاد هذا السلطان والذي كان معتقلاً في قلعة عادل جواز فقد قتل أيضاً[2].

ترجمة السلطان أحمد (سنة ٧٨٤ ـ ٨١٣ هـ):

إن ترجمة هذا السلطان من أغرب التراجم، ناضل عن عرش العراق وجالد بكل ما أوتي من همة، وما استطاع من تدبير... ولولا ظهور تيمور بصورة جبارة وقضائه عليه مراراً وعودته الكرّة تلو الأخرى... لكان له شأن في تاريخ ملوك العراق... نفسه وثابة لا تعرف الكلل، ولا تخمدها الكوارث ولا المخذوليات... ولسان حاله ينطق[3]:

---

(١) ذكر الغياثي منهم محمد الدوادار وأن هؤلاء أصروا في لزوم قتله وتولوا خنقه بأنفسهم لأن الأمير قرا يوسف كان قد أخذ على نفسه العهد «ص ٢٠٧».

(٢) حبيب السير ج ٣ ص ١٨٦.

(٣) البيتان للشريف الرضي.

يـا نـفـس مـن هـمّ إلى همـة فليس من عبء الأذى مستراح
أما فتى نال العلى فاشتفى أو بطل ذاق الردى فاستراح

والمؤرخون أكثروا القول فيه من نواح عديدة... علاقاته بالمجاورين، وحرصه على العراق، وملاذه وشهواته وأظن هذه مبالغاً فيها وجاءت من طريق أعدائه الناقمين عليه وتنديداتهم لترويج سياسة الحكومة المناضلة له والمعادية (حكومة قرا يوسف) أو بيان سبب مخذوليته... وعلى كل كان يطمح في التوسع ويحاول بسطة في الملك... فلا يعرف الكلل ولم يصبه توان أو خطل... فهو في الحقيقة يعد من أكبر ملوك العراق في هذه الأعصر... إلا أنه لم يجد راحة من أمرائه، ولا رأى طمأنينة من الخارج لينال العراق في أيامه خيرات جمة... وأساساً لم تبق معالم للسابقين من أهل الحكومات قبله إلا القليل.

وجاء في الشذرات عنه:

«إنه ملك بعد موت أخيه الشيخ حسين بن أويس سنة ٧٨٤ هـ وكان سلطاناً فاتكاً، له سطوة على الرعية، مقداماً، شجاعاً، مهاباً، سفاكاً للدماء وعنده جور وظلم على أمرائه وجنده وكانت له مشاركة في عدة علوم ومعرفة تامة بعلم النجامة ويد في الموسيقى[١] يجيد في تأديته إجادة بالغة الغاية منهمكاً في اللذات التي تهواها الأنفس، فأكرمه برقوق غاية الإكرام وأنعم عليه أجل الأنعام وأعطاه تقليد نيابة السلطنة ببغداد... ثم سار إلى بغداد فدخلها... وبعد وفاة تيمور صار بها حاكماً على عادته إلى أن تغلب قرا يوسف على التتار (آل تيمور) وأخذ منهم تبريز وما والاها فوقع الخلف بينه وبين ابن أويس فتقابلا للقتال

(١) وزاد في كلشن خلفا أنه كان في الشعر أستاذاً «ص ٥١ ـ ٢ كلشن خلفا».

فكانت الكرة على ابن أويس وأخذ أسيراً ثم قتل يوم الأحد آخر ربيع الآخر» اهـ بتلخيص.

وجاء في الضوء عنه كلام طويل وتعداد لوقائعه وعلاقته بملك مصر (الظاهر برقوق) وحروبه لاستخلاص بغداد مراراً... قال:

«ثم تنازع هو وقرا يوسف فكانت الكسرة عليه فأسره وقتله خنقاً في ليلة الأحد سلخ ربيع الآخر سنة ٨١٣ هـ وطول شيخنا (ابن حجر) ذكره في أنبائه، وأنه سار السيرة الجائرة وقتل في يوم واحد ثمانمائة نفس من الأعيان قال: وكان سفاكاً للدماء، متجاهراً بالقبائح وله مشاركة في عدة علوم كالنجوم والموسيقى، وله تتبع كبير بالعربية وغيرها وكتب الخط المنسوب مع شجاعة ودهاء وحيل وصحبة في أهل العلم، وكذا طول المقريزي في عقوده، وابن خطيب الناصرية ترجمته وقال إنه كان حاكماً عارفاً مهيباً؛ له سطوة على الرعية، فتاكاً منهمكاً على الشرب واللذات، له يد طولى في علم الموسيقى». اهـ[1].

وجاء في تاريخ الجنابي[2] عنه ما نصه:

«كان ذا فهم لطيف، وإدراك حسن إلا أنه كان غداراً، ظلوماً،

(١) الضوء اللامع ج ١ ص ٢٤٤.

(٢) تاريخ الجنابي للعالم الشريف محمد مصطفى ابن السيد حسن ابن السيد سنان ابن السيد أحمد الحسني الهاشمي. أوله «أشرف كلام يتضوع نشره ورياه وأحسن مقال يتفوح طيبه وشذاه حمد صانع قادر لا يعبد سواه...» اهـ. قال في مقدمته «فألفت من هذا الفن كتاباً وجيزاً جامعاً.. من زمن النبيﷺ إلى أن صدر منا هذا الرقم... جمعته من مؤلفات كثيرة معتورة، ومصنفات جليلة معتبرة، وأوردت اسم الكتاب الذي نقلت عنه الكلام أما قبل النقل وأما عقيب الفراغ ليكون ذلك على صحة هذا المؤلف دليلاً ولئلا يجد عائباً يعيب إلى كتابي هذا سبيلاً...» كتبه أيام السلطان مراد ابن السلطان سليم... وهو في مجلدين ضخمين جداً منه نسخة رأيتها في المكتبة العامة في استانبول.

سفاكاً يتجاهر بالقبائح، وله مشاركة في عدة علوم، والموسيقى، وعلم براية السهم والقوس وصنعة الخاتم وله شعر كثير بالعربية والفارسية، وكتب الخط المنسوب، وكانت له شجاعة ودهاء وميل ومحبة في أهل العلم.. دس إليه قرا يوسف من قتله في آخر ربيع الآخر لسنة ٨١٣ هـ، وكان انكساره في ١٨ ربيع الآخر..» اهـ.

ولم نعثر على نقود له في أيامه إلا قليلاً منها قطعة ذهبية مضروبة في بغداد مؤرخة سنة ٧٩٠ هـ كتب في أحد وجهيها (ضرب بغداد) وفي أطرافه كتب بخط كوفي وبشكل مربع (لا إله إلا الله محمد رسول الله) و (أبو بكر، عمر، عثمان، علي) وفي ظهرها في الأركان بالتوالي (سنة، تسعين، وسبعمائة) وفي الوسط (السلطان الأعظم، سلطان أحمد بهادر خان خلد الله ملكه) في ثلاثة أسطر وله نقد فضي ضرب في إربل، وآخر في بغداد، وكذا في تبريز؛ وفي الحلة وكلها لا يقرأ تاريخها.. وفي الموصل والعمادية وواسط ممسوحة لا يقرأ تاريخها.. وله نقود أيام حكومته الثانية منها ما هو موجود في المتحفة البريطانية[1]...

وكان قد أثنى عليه حافظ الشيرازي المتوفى سنة ٧٩١ هـ صاحب الديوان الفارسي المعروف «بديوان حافظ»[2] المتداول بين الناس.

والحاصل قد انقرضت حكومة الجلايرية من بغداد والعراق بعد وفاته بقليل وصارت بقاياها في تستر لمدة بعد أن قاومت في بغداد بعض المقاومة كما سيجيء...

---

(١) مسكوكات قديمة إسلامية قتالوغي: ص ٢٠٢: ٢٠٦.

(٢) كلشن خلفا ص ٥١ ـ ٢.

وفيات

١ ـ شمس الدين محمد البغدادي الزركشي:

في هذه السنة (٨١٣ هـ) توفي شمس الدين محمد بن سعد الدين ابن محمد بن نجم الدين محمد البغدادي نزيل القاهرة الزركشي مهر في القرانات (في عقد الجمان في القراءات) وشارك في الفنون (في عقد الجمان في الفتوى) وتعانى النظم وله قصيدة حسنة في العروض وشرحها، ونظم العواطل الحوالي ست عشرة قصيدة على ستة عشر بحراً ليس فيها نقطة. وسمع منه ابن حجر وسمع هو أيضاً من ابن حجر ورافقه في السماع، وجرت له في آخر عمره محنة وتوفي في ذي الحجة[1].

٢ ـ قتلة صاحب الموصل:

وقتل في هذه السنة صاحب الموصل قرا عثمان بك وملك بعده ابنه حمزة بك...[2].

حوادث سنة ٨١٤ هـ ـ ١٤١١ م

الشاه محمد ـ فتح بغداد: (٥ المحرم سنة ٨١٤ هـ):

من حين قتل السلطان أحمد سار الشاه محمد إلى بغداد بقصد الاستيلاء عليها إلا أنه لم يتم له ذلك إلا في أول سنة ٨١٤ هـ وكانت بقايا الجلايرية هناك فحاصرها والي بغداد آنئذ (بخشايش) من أمراء السلطان أحمد نصبه حينما ذهب لمحاربة الأمير قرا يوسف.. ولما علم بقتل السلطان أحمد طلب من دوندي سلطان بنت السلطان أويس أن

---

(١) الشذرات ج ٧ وعقد الجمان ج ٢٤.

(٢) الدر المكنون.

يتزوج بنتها فلم تستطع مخالفته وأجابته على ما طلب وعمل لها عرساً عظيماً ثم شرب إلى نصف الليل وقام ليجيء إلى القلندرخانة ويدخل إلى العروس فلما حط رجله في الركاب ليذهب وإذا قد ضرب عنقه وجعل رأسه على رمح وجثته على الفرس وواحد خلفه قد أمسكه والرأس قدام الفرس على الرمح والدفوف أمامه تضرب إلى الصبح وقتل آخرون غيره بإشارة السلطانة عن لسان السلطان أحمد.. ودوندي هذه هي بنت السلطان أويس زوّجها السلطان أحمد في حياته من ابن أخيه شاه ولد ابن الشهزاده شيخ علي فولدت منه ثلاثة بنين وهم محمود وأويس ومحمد وثلاث بنات ثم توفي.

أما أهل بغداد فإنهم أشاعوا أن السلطان أحمد لا يزال حياً وأنه لم يمت وأصروا على الحصار ولم يسلموا البلد بترتيب من دوندي سلطان وطالت مدة الحصار إلى أن عجزت الخاتون عن ضبط البلد وتحقق الجميع أن الإشاعات بورود الأخبار عن السلطان أحمد ليس لها نصيب من الصحة، وأن السلطان أحمد قتل. ففي هذه الأثناء أمرت دوندي سلطان بتزيين البلد وأن السلطان كان مختفياً وأنه سيخرج. فزينوا البلد كما أن الشاه محمد مل من طول الإقامة على الحصار دون جدوى فرجع ونزل بعقوبة ليرجع إلى تبريز فتم التزيين لمدة ثلاثة أيام والناس مشغولون في أمره فانسلت السلطانة ليلاً مع أولادها الستة وأموالها ورجالها وانحدرت في السفن إلى واسط ومنها توجهت إلى تستر فلما أصبح الناس رأوا الخاتون قد رحلت وحينئذٍ قام أكابر البلد ومضوا إلى الشاه محمد ببعقوبة ودعوه إلى البلد وأخبروه بأن الخاتون قد ذهبت فدخل نهار الخميس قبل الظهر في ٥ المحرم سنة ٨١٤ هـ وحينئذٍ نهب التركمان بغداد يوماً واحداً واستقر شاه محمد ببغداد إلا أن الأراجيف والإشاعات كانت تدور حول مجيء السلطان أحمد فقتل الشيخ أحمد السهروردي وابنه من جراء الإذاعات المذكورة والاتهام بها فإن الابن

صالح قد قدم قائمة إلى الشاه محمد بأسماء المرجفين وبينهم والده الشيخ أحمد السهروردي فأمره بقتل أبيه ثم أمر بقتله أيضاً ومزق القائمة وسكنت الفتنة...[1].

ومن هذا التاريخ ابتدأت سلطة (القراقوينلو) في العراق...

❀ ❀ ❀

وفيات

١ - إبراهيم بن محمد الموصلي:

في هذه السنة توفي إبراهيم بن محمد بن حسين الموصلي ثم المصري نزيل مكة المشرفة المالكي أقام بمكة ثلاثين سنة. وكان يتكسب بالنسخ بالأجرة مع العبادة والورع والدين المتين وكان يحج ماشياً من مكة وأثنى عليه المقريزي وتوفي بمكة[2].

والظاهر أن المترجم هو إبراهيم بن أبي بكر الموصلي المذكور في الضوء اللامع قال: ترجمه شيخنا في أنبائه وصرح في أثناء الترجمة بأنه ابن الشيخ أبي بكر الموصلي المتوفى سنة ٧٩٧ هـ[3].

٢ - الشاعر عبد الرحمن بن أبي الوفاء الموصلي:

وتوفي في هذه السنة الشاعر عبد الرحمن بن أبي الوفاء الموصلي[4]. وهو أخو الشاعر أحمد بن أبي الوفاء المذكور في وفيات سنة ٨١١ هـ.

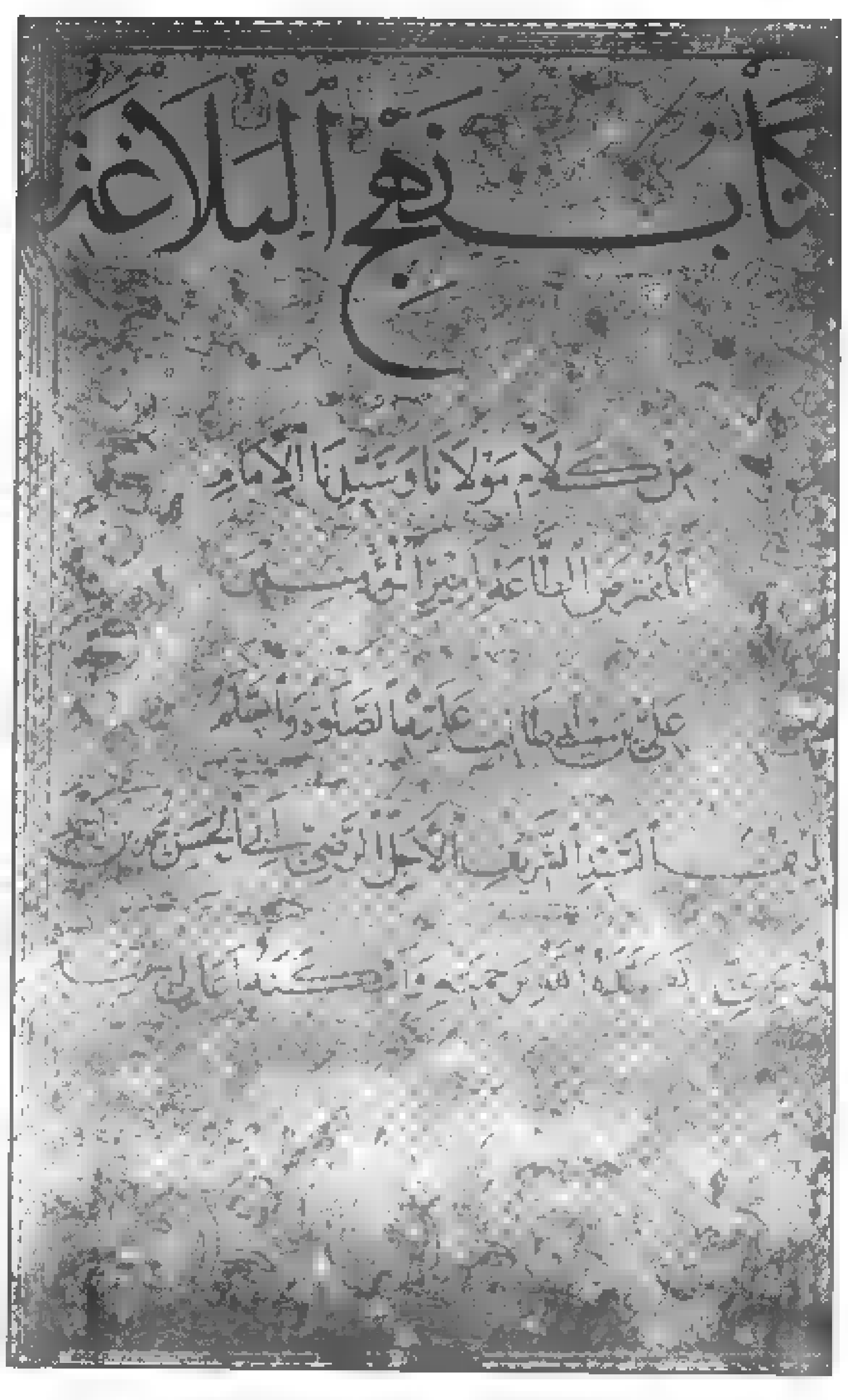
---

(١) تاريخ الغياثي.

(٢) الشذرات ج ٧.

(٣) الضوء اللامع ج ١ ص ٣٦ وص ٣٤.

(٤) الدر المكنون.


كتاب نهج البلاغة
من كلام مولانا وسيدنا الإمام

نهج البلاغة ـ لوحة ١ ـ خط ياقوت المستعصمي

٣ - البدر أبو محمد حسن بن علي بن حسن بن علي التلعفري:

هو ابن القاضي علاء الدين المشرقي الأصل ثم التلعفري[1] الدمشقي الشافعي والد محمد وعبد الرحيم ويعرف بالمحوجب، كان أبوه قاضي تلعفر من نواحي الموصل. ولد المترجم فيها، ثم ذهب إلى دمشق قبل استكماله عشر سنين مع أبيه. فاشتغل في الفقه والقراءات والعربية والفرائض. ومن شيوخه العلاء التلعفري أحد تلامذة ابن تيمية وليس بأبيه بل هو آخر شاركه في النسبة واللقب. وصارت له يد في القراءات والفرائض، وبراعة في الشروط مع الضبط لدينه ودنياه والوجاهة في العدالة، ثم لزم بآخرة مسجد الخوارزمي من القبيبات إلى أن مات سنة ٨١٤ هـ نحو التسعين...[2].

بقايا الجلايرية

إن الجلايرية في أول سنة ٨١٤ هـ ساروا إلى واسط في السفن ومنها مضوا إلى (تستر) فأقاموا هناك وسيطروا على تلك الأنحاء وحاولوا استعادة بغداد فلم يمكنوا من ذلك وعد بعض المؤرخين تاريخ انقراضهم هو زوال آخر ملوكهم من الحلة...[3].

وهذه أسماء أمرائهم وبعض النتف عن أحوالهم هناك:

١ - السلطان محمود:

وهو ابن شاه ولد ابن الشهزاده شيخ علي. وكان هذا مع إخوته في حصار بغداد ثم خرج معهم وذهبوا إلى تستر وكان أكبرهم حكم تستر

---

(١) قال ابن الأثير: وظني أنها التل الأعفر فخفف وقالوا تلعفر. الضوء اللامع ج ٣ ص ١٠٩.

(٢) الضوء اللامع ج ٣ ص ١٠٩.

(٣) وقائع تاريخية.

لمدة ستتين ثم توفي وجلس أخوه السلطان أويس بعده[1] سنة ٨٢٢ هـ.

وفاة دوندي:

وفي أيامه قامت أمه بشجاعة وقدرة لا مثيل لهما وهي التي مكنت لهم الإدارة في بغداد كما تقدم.. قال صاحب الشذرات:

«تندو (دوندي) بنت حسين بن أويس كانت بارعة الجمال وقدمت مع عمها أحمد بن أويس إلى مصر فتزوجها الظاهر برقوق ثم فارقها فتزوجها ابن عمها شاه ولد ابن شاه زاده (الشيخ علي) بن أويس. فلما رجعوا إلى بغداد ومات أحمد أقيم شاه ولد في السلطنة (الصحيح ابنه السلطان محمود) فدبرت مملكته حتى قتل وأقيمت هي بعده في السلطنة ثم ملكت تستر وغيرها واستقلت بالمملكة وصار في ملكها الحويزة وواسط يدعى لها على منابرها وتضرب السكة باسمها إلى أن ماتت في هذه السنة (سنة ٨٢٢ هـ) وقام بعدها ابنها أويس بن شاه ولد... قاله ابن حجر» اهـ.

٢ ـ السلطان أويس:

حكم تستر وخوزستان. وفي أول سنة ٨٢٤ هـ عزم على أخذ بغداد وكان الشاه محمد حاكماً بها طمعاً في الاستيلاء عليها فوصل باب البلد وضرب أصحابه الباب بدبابيس وكان ذلك في أواسط المحرم من هذه السنة إلا أن السلطان أويس سمع بتوجه اسكندر فرجع إلى تستر... وفي جمادى الأولى من هذه السنة عاد السلطان أويس وتحارب مع جهان شاه فانكسر أويس في المعركة وقتل يوم الثلاثاء ١٤ جمادى الأولى من السنة المذكورة. وكانت مدة حكمه في تستر ثماني

---

(١) الغياثي ص ٢٠٧.

سنوات[1]. ولكن هذا التاريخ معارض بما جاء عن المؤرخين الآخرين على ما سيجيء في حوادث سنة ٨٣٠ هـ في المجلد التالي من هذا الكتاب.

٣ ـ السلطان محمد:

وهذا ابن شاه ولد المذكور حكم تستر أيضاً، وليها إثر وفاة أخيه. فلما كانت سنة ٨٢٦ هـ توجه إبراهيم سلطان من شيراز إلى تستر وعندما سمع السلطان محمد بوصوله وعلم أن لا طاقة له به ترك المدينة ومضى إلى واسط والجزائر ومن هناك سار إلى الحلة، وردها يوم الاثنين ٤ رجب سنة ٨٢٦ هـ وحينئذٍ خرج أميرها طورسون (درسون) ولم يتغير شيء على المدينة. وتوجه طورسون إلى تبريز ولم يعرج ببغداد. ثم إن السلطان محمد طمع في بغداد ومضى من الحلة إليها وحاصرها من الجانب الغربي فلم يستطع أن يدخلها ورجع إلى الحلة وحكم فيها مدة سنة وتوفي يوم الأربعاء ٩ شعبان سنة ٨٢٧ هـ. فكان مجموع حكمه في الحلة وتستر ثلاث سنوات وكان وزيره تاج الدين بن حديد من أهل الحلة وهذا توفي أيضاً يوم الجمعة ٤ ربيع الآخر سنة ٨٢٨ هـ[2].

٤ ـ السلطان حسين بن علاء الدولة:

وعلاء الدولة هذا هو ابن السلطان أحمد. أما السلطان حسين فقد قيل إن أمه حملت به وتربى في سجن (عادل جواز) وكانت أمه من الجغتاي، وعاش عند الأمير عثمان البياندري[3] وكان قد طلبه السلطان

---

(١) الغياثي ص ٢١٠.

(٢) الغياثي ص ٢١١.

(٣) صحيحها البايندري. وحكومة البايندرية حكمت العراق وسيأتي الكلام عليها في المجلد التالي.

محمد قبل وفاته بأربعة أشهر. فلما توفي السلطان محمد حكم السلطان حسين في الحلة نهار الجمعة ١٠ شعبان سنة ٨٢٧ هـ وهو آخر السلاطين الجلايرية. وكانت سيرته رديئة بما كان عليه... فأنكر أمراؤه سوء عمله وكاتبوا إسبان فجاء وحاصره للمرة الأولى فلم يتمكن منه ورحل. وجاء ثانية وحاصره سبعة أشهر فقبض عليه في ١٦ المحرم سنة ٨٣٥ هـ ووكل به جماعة وأفهم أن يسولوا له الهرب وأن ينهزموا معه.. فلما هرب أرسل اسبان خلفهم فقبضوا عليه وقتلوه في ٣ ربيع الأول سنة ٨٣٥ هـ وكانت مدة حكمه في الحلة سبع سنوات ونصف. وكان وزيره عبد الكريم بن نجم الدين من أهل النيل وهذا توفي ليلة الثلاثاء ١٨ شوال سنة ٨٣٠ هـ وكان له من صلبه خمسة عشر ابناً وسبع بنات. وولي الوزارة بعده شهاب الدين في ١٦ ربيع الآخر سنة ٨٣٢ هـ وشنقه السلطان على باب التمغا وولي بعده أخاه نظام الدين[1].

وفي الضوء اللامع:

«حسين بن علاء الدين (الصحيح علاء الدولة)... كان اللنك أسره وأخاه حسناً وحملهما إلى سمرقند، ثم أطلقا فساحا في الأرض فقيرين، مجردين، فأما حسن فاتصل بالناصر فرج وصار في خدمته، ومات عنده قديماً. وأما هذا فتنقل في البلاد إلى أن دخل العراق فوجد شاه محمد بن شاه ولد بن أحمد بن أويس وكان أبوه صاحب البصرة فمات فملك ولده شاه محمد فصادفه حسين وقد حضره الموت فعهد إليه بالمملكة فاستولى على البصرة وواسط وغيرهما، ثم حاربه أصبهان شاه (اسبان) بن قرا يوسف فانتمى حسين إلى شاه رخ بن اللنك فتقوى بالانتماء إليه وملك الموصل وإربل وتكريت وكانت مع قرا يوسف فقوي

---

(١) الغياثي ص ٢١٢.

أصبهان شاه بن قرا يوسف واستنقذ البلاد، وكان يخرب كل بلد ويحرقه إلى أن حاصر حسيناً بالحلة سبعة أشهر، ثم ظفر به بعد أن أعطاه الأمان فقتله خنقاً في ٣ صفر سنة ٨٣٥ هـ وهو في عقود المقريزي فقال ابن علاء الدولة وترجمه وهو الشائع. . . .» اهـ[١].

ومن ثم طوي اسمهم ولم يبق إلا في صحائف التاريخ ولم يعد يذكر أحد منهم في عداد رجال الإدارة والممالك. . .

سلاطين الجلايرية

١ ـ الشيخ حسن الكبير (٧٣٨ هـ: ٧٥٧ هـ).

٢ ـ السلطان أويس (٧٥٧ هـ: ٧٧٦ هـ).

٣ ـ السلطان حسين بن أويس (٧٧٦ هـ: ٧٨٤ هـ).

٤ ـ السلطان أحمد بن أويس (٧٨٤ هـ: ٨١٣ هـ).

٥ ـ السلطان محمود بن شاه ولد ابن الشيخ علي (٨١٣ هـ: ٨١٥ هـ).

٦ ـ سلطان أويس الثاني بن شاه ولد (٨١٥ هـ: ٨٢٢ هـ).

٧ ـ السلطان محمد بن شاه ولد (٨٢٢ هـ: ٨٢٧ هـ).

٨ ـ السلطان حسين بن علاء الدولة بن سلطان أحمد (٨٢٧ هـ: ٨٣٥ هـ).

ملحوظة: هذه القائمة أخذت من تاريخ سني حكمهم. . . وفيها مخالفة لما جاء في تاريخ مفصل إيران. سواء في أسماء الأمراء أو في مدة حكم كل منهم. وبعض المؤرخين يعد دوندي هي الملكة إلى تاريخ وفاتها سنة ٨٢٢ هـ. . .

---

(١) الضوء اللامع ج ٣ ص ١٦٠.



نهج البلاغة ـ لوحة ٢ ـ خط ياقوت المستعصمي

الحكومات المجاورة

أو ذوات العلاقة

١ ـ الحكومة الجوبانية:

هذه فصلنا حوادثها في وقائع خاصة ذكرت أثناء الكلام على حوادث العراق فلا نرى محلاً لتكرارها... وأساس هذه الحكومة الأمير جوبان السلدوزي المذكور في المجلد الأول.

٢ ـ آل مظفر:

بسطنا الكلام عليهم وبينا بعض علاقاتهم ووقائعهم بالحكومة العراقية...

٣ ـ إمارة اللر:

وتعرف (باللر الصغيرة) أو (إمارة الفيلية) وقد أفردناها بكتاب خاص.. وتبتدىء بالرياسة العشائرية على يد شجاع الدين خورشيد الذي عرف سنة ٥٨٠ هـ. وهذا توفي سنة ٦٢١ هـ وخلفه سيف الدين رستم ابن أخيه. ثم أبو بكر بن محمد (أخو سيف الدين رستم)، ثم عز الدين كرشاسف بن محمد المذكور.

وقد مر الكلام على بعض أمرائهم ومن المعاصرين لهذه الحكومة.

١ ـ شجاع الدين محمود بن عز الدين حسين.

٢ ـ ملك عز الدين بن شجاع الدين محمود.

٣ ـ أحمد بن عز الدين.

٤ ـ حكومة الجغتاي:

هذه حكمت ما وراء النهر ولا علاقة لنا بها لولا أن مباحث

تيمورلنك ساقت للتعرف بها اطراداً للمباحث ومعرفة الأمراء المعاصرين منهم... فرأينا أن نجمل أوضاعها ليكون القارىء على علم من روابط تيمور بها...

وهذه قائمة ملوكها:

١ ـ **جغتاي بن جنگيز.**

٢ ـ قرا هلاكو بن موتوكن بن جغتاي.

٣ ـ باراق (براق) بن يسونتو بن موتوكن. وهذا أول من أسلم ولقب غياث الدين.

٤ ـ بيگي بن سارمان بن جغتاي.

٥ ـ بوغا تيمور بن قوداغاي بن بوزاي بن موتوكن.

٦ ـ كونجك (كونجه) بن دوي چچن بن باراق.

٧ ـ تاليغا بن قوداي.

٨ ـ ايسن بوغا الملقب ايل خواجة بن دوي چچن.

٩ ـ گوبك بن چچن المذكور.

١٠ ـ دوري تيمور بن چچن.

١١ ـ تارماشير بن چچن. أسلم فتابعه جميع عظماء ما وراء النهر...

١٢ ـ بوران بن دوري تيمور.

١٣ ـ جنكشي بن أبركان بن چچن.

١٤ ـ يسون تيمور بن أبوكان.

١٥ ـ علي سلطان. من ذرية أوكتاي قاآن تغلب على ما وراء النهر.

١٦ ـ محمد بن پولاد بن كونجك. استعاد ملك آبائه.

١٧ ـ قازان سلطان بن ياسور بن أورك بن بوغاتيمور المذكور. تغلب عليه الأمير قازغان.

١٨ ـ دانشمندجه خان بن قايدو بن قاشين بن أوكتاي قاآن. قتله قازغان أيضاً.

١٩ ـ بايان قولي بن صورغو بن چچن المذكور. وهذا قتله الأمير عبد الله بن قازغان.

٢٠ ـ تيمور شاه بن يسون تيمور.

٢١ ـ عادل سلطان بن محمد بن پولاد بن كونجك. وهذا نصبه الأمير حسين بن بسلاي ابن الأمير قازغان وكان ولي الإمارة بعد الأمير عبد الله المذكور. وفي أيامه ظهر تيمورلنك وسار عليه فلما علم الأمير حسين اشتبه من عادل سلطان فأغرقه حياً.

٢٢ ـ دورجي بن ايلچيكداي بن دوي چچن. نصبه الأمير حسين. ولكن تيمور تغلب عليهما وقتلهما معاً.

٢٣ ـ سيورغاتمش بن دانشمندجه نصبه تيمورلنك.

وكان تغلب الأمراء على الأخيرين من هؤلاء سائداً فلما تمكن تيمور من إخضاع تلك الأنحاء (ما وراء النهر) قضى على المتغلبة وبقيت سلطات الملوك اسمية وصار هو المتغلب الوحيد. وإن اضطراب الحالة في هذه البلاد جعل ملك كاشغر وما والاها وهو توقلوق تيمور[1] من

(١) ورد في كتب العرب طغلوق تيمور كما مر في النصوص السابقة. وكان هذا الملك صاحب سلطة قوية ومكينة... وكان أهل كاشغر ومغولستان ولوا عليهم ايسين بوغا المذكور في القائمة وبوفاته لم يبق من الجغتاي من يولونه إلا أنهم علموا أن له بنتاً اسمها منيكلي ولدت منه ابناً اسمه توقلوق تيمور وآخر من شيره أوغول اسمه تيمور ملك فأحضر الأول ونصب ملكاً... وفي أيامه أسلم كافة المغول، أسلم في يوم واحد منهم مائة وخمسون ألفاً... «شجرة الترك».

الجغتاي يرى أنه الأحق بها، والأولى بحكومتها... فساق جيشاً لجباً ففر من وجهه الأمير حسين وكذا الأمير تيمور، وبقي في ما وراء النهر... نحو سنة ثم عاد إلى كاشغر وخلف ابنه الياس خواجة هناك وتوفي بعد سنة ولما سمع تيمور والأمير حسين بذلك اشتبكا مع الياس خواجة بقتال ففر من وجههما إلى كاشغر... فولي الحكم مكان أبيه إذ وجده قد توفي... وإن الأمير حسين والأمير تيمور لم يلبثا أن تقاتلا فتمكن تيمور من قتل الأمير حسين كما تقدم... فانفرد الأمير تيمور فيما وراء النهر... إلا أن السلطة كانت اسمية للسلطان (سيورغاتمش) المذكور في القائمة... فكان الأمير تيمور يأمر وينهى وهو اسمه ملك.

قضى ٢٤ سنة بملوكية زائفة. وخلفه ابنه السلطان محمود إلا أنه قتله بعد حروبه مع العثمانيين... ومن ثم صار الملك المطلق بالاستقلال، وخلف الملك لأولاده من بعده...

أما حكومة كاشغر فإنها بعد أن واليها الياس خواجة كان أمير أمرائه خداداد ابن الأمير بولادجي فعارضه قمر الدين من أحفاد الأمير بولادجي وثار عليه وقتله... وحاول قطع نسله فلم يبق إلا رضيع هربه خداداد إلى جبال بدخشان وكان اسمه خضر خواجة... وقامت حروب هائلة بين تيمور وقمر الدين جرت فيها خمس معارك عظيمة كان في نتيجتها أن هرب إلى إيران والتجأ إلى بعض أمرائها... أما خضر خواجة فإنه جيء به إلى كاشغر فأقيم مقام أبيه ولا يزال أولاده وأحفاده حكاماً هناك إلى ما بعد الألف الهجري أيام أبي الغازي بهادرخان[1] وأرى في هذا الكفاية لمن أراد معرفة الوضع باختصار...

---

(١) شجرة الترك ص ١٦٠ وما يليها...

٥ ـ حكومة القفجاق:

مر الكلام عليها في الكتاب السابق وفي هذا الكتاب خلال الوقائع مما يغني عن الإعادة والتفصيل...

٦ ـ الحكومة المصرية:

وهذه علاقاتها أكثر ولكنها سياسية وحربية أكثر منها رابطة ود وألفة وقد أوضحنا ما جرى... وفي أيام هذه الحكومة نرى الأوضاع مختلفة عن أيام الحكومة السابقة...

وهذه قائمة بأسماء ملوكها:

١ ـ الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون. وقد مر في المجلد الأول.

٢ ـ الملك المنصور أبو بكر ابن الملك الناصر محمد (٧٤١ هـ: ٧٤٢ هـ).

٣ ـ الملك الأشرف كوجك ابن الملك الناصر محمد (٧٤٢ هـ: ٧٤٢ هـ).

٤ ـ الملك الناصر أحمد ابن الملك الناصر محمد (٧٤٢ هـ: ٧٤٣ هـ).

٥ ـ الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الناصر محمد (٧٤٣ هـ: ٧٤٦ هـ).

٦ ـ الملك الكامل شعبان ابن الملك الناصر محمد (٧٤٦ هـ: ٧٤٧ هـ).

٧ ـ الملك المظفر سيف الدين حاجي ابن الملك الناصر محمد (٧٤٧ هـ: ٧٤٨ هـ).

٨ ـ الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد (٧٤٨ هـ: ٧٥٢ هـ).

٩ ـ الملك الصالح ابن الملك الناصر محمد (٧٥٢ هـ: ٧٥٥ هـ).

١٠ ـ الملك الناصر حسن المذكور (٧٥٥ هـ: ٧٦٢ هـ).

١١ ـ الملك المنصور صلاح الدين محمد ابن المظفر حاجي (٧٦٢ هـ: ٧٦٤ هـ).

١٢ ـ الملك الأشرف شعبان بن حسين ابن الناصر محمد (٧٦٤ هـ: ٧٧٨ هـ).

١٣ ـ الملك الصالح حاجي بن الأشرف (٧٧٨ هـ: ٧٨٤ هـ).

ثم خلف هؤلاء دولة الجراكسة والمعاصرون منهم:

١ ـ الملك الظاهر سيف الدين برقوق (٧٨٤ هـ: ٨٠١ هـ).

٢ ـ الملك الناصر أبو السعادات فرج بن برقوق (٨٠١ هـ: ٨٠٨ هـ).

٣ ـ الملك المنصور عبد العزيز (٨٠٨ هـ: ٨٠٨ هـ).

٤ ـ الملك الناصر فرج المذكور ثانية (٨٠٨ هـ: ٨١٥ هـ).

٧ ـ حكومة الشرفاء في الحجاز:

وهذه مضت بعض العلاقات معها، وغالبها أيام المغول وأول من عرف منهم أيام المغول عز الدين أبو نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة الحسني ودامت إمارته أربعين سنة فتوفي سنة ٧٠١ هـ وتوالى أولاده حميضة وعطيفة وعطية ورميثة إلى سنة ٧٤٦ وكانوا في نزاع بينهم وقد استقرت الإمارة لرميثة من سنة ٧٣٨ هـ. وبعده وليها ثقبة وعجلان ابنا رميثة مشتركاً بتنازل أبيهما. ثم ولي الإمارة الشهاب أحمد بن عجلان سنة ٧٦٠ هـ. ثم ابنه محمد سنة ٧٨٨ هـ. ونازعه عدنان بن مغامس[1] فولي الإمارة سنة ٧٨٨ هـ ثم خلفه في الإمارة علي ابن عجلان سنة ٧٨٩ هـ. وهذا حدث له مع أقاربه ما حدث وزاحمه القوم.. وكان للحكومة المصرية سلطة ونفوذ بل تحكم في مقدراتها ونزاع مع أمرائها وهكذا كان يجري على يديها العزل والنصب إلى أواخر العصر.. وحاولت حكومة المغول أن تتدخل في شؤونها وتزاحم الحكومة المصرية، أو أن تأخذ السلطة من يدها وتشوش عليها أمرها فلم تفلح... أما صلاتها بالعراق في هذا العهد فقليلة ولا تزيد على بعض الوقائع المارة عند الكلام على الشريف أحمد بن رميثة بن أبي نمي ثم انقطعت العلاقات السياسية إلا من الناحية الدينية وهي الحج

---

(١) ورد معاقس، ومقابس، ومقامس... الخ والتصحيف ظاهر. والتسمية بمغامس معروفة.

وصلته، وتقديم بعض الهدايا أو الانعامات على قطان البيت الحرام وعلى كل لم يقع ما يكدر صفو الألفة، ولا حصل تدخل في الإدارة...

عشائر العراق

هذا العهد لا تفترق العشائر فيه عن العصر السابق كثيراً، ولا تزال طيىء صاحبة الإمارة العشائرية ولها النفوذ على غيرها، والقبائل الأخرى في الغالب مختصة في النفوذ ببقعة، أو ناحية محدودة، أو بالاتفاق والانضمام إلى الإمارة القبائلية... مما لا يعطف له كبير أهمية في السياسة العامة وإن كان لا ينكر أثره في الإدارة الداخلية. ولكن الإدارة في تدبير هذه القبائل كانت مكتومة، أو أن الذين كتبوا لم يطلعوا على دخائل الأمور ولا علاقة لهم بالعشائر وبما كانت تراعيه الحكومة من سياسة معها والوقوف على أسرارها... ولا نجد إلا فلتات أقلام جاءت عفواً أو ذكرت عرضاً وعلى كل لم يصلنا عنها الشيء الكافي...

والقبائل المذكورة في المجلد السابق لا تزال في العراق ولم يطرأ عليها خلل... وأما التي ذكرت في هذا المجلد فهي:

١ ـ قبيلة طييء:

وهذه تكلمنا على أمرائها بإسهاب، وفي الغالب كانت أوضاعها معروفة... ولكن المباحث تدور حول الأمراء ولم يتعرض لفروع قبائلها أو مفرداتها... وإن كانت أخبار الأمراء جاءت متوالية ومنظمة ومجموعة... بعد أن كانت مشتتة ومفرقة في وثائق عديدة ومختلفة... وآل مرا قد تكلمنا عليها أيضاً وغالب وقائعها ممزوجة بأمراء طييء الآخرين...

٢ ـ قبائل زبيد:

وهذه جاء ذكرها بمناسبة بعض الحوادث بينها وبين قبائل طيء.. ولا نجد لها ذكراً في هذا العهد إلا في وقائع خاصة، ولا يعني هذا أنهم وجدوا أثناء الحادث أو قبيلة بأمد يسير فالمدونات التاريخية ترجع بنا إلى عهد أبعد وكثيراً ما نرى الحوادث لا تتعرض إلا لما له علاقة بالحكومة... جاؤوا بصورة متوالية، وقطنوا متفرقين... أو بمجموعات كبيرة...

٣ ـ قبيلة بني حسن:

مر ذكرها. والتفصيل عنها في عشائر العراق.

٤ ـ كلب:

وهؤلاء قسم كبير منهم من قبائل زبيد على ما سيجيء...

هذا ولا محل للإطالة وقد مر قسم من القبائل في المجلد الأول ولم يحصل تبدل مهم يدعو لمدونات جديدة... وفي الأجزاء التالية تتوضح وقائع القبائل أكثر...

الأوضاع السياسية

إن هذه الحكومة تكونت على انقاض حكومة المغول (حكومة هلاكو وأخلافه) وهي من نسل مغولي أيضاً وبينها وبين الحكومة المالكة صهرية وارتباط مهم في القيادة الحربية قامت لها بمعارك وناضلت عنها نضالاً عظيماً، مشهوداً... ولما رأت انحلال هذه الحكومة قامت على اطلالها وبقاياها. وليس بالغريب من قبيلة كبيرة كان رئيسها يلقب (نويان) أن يقوم بما قام به وهذا اللقب (نويان) عندهم ليس وراءه رتبة عسكرية سوى القيادة العامة والتشكيلات العسكرية آنئذٍ على الترتيب

المذكور في المجلد الأول. مشى القوم فيها على طريقة جنكيز في تنظيم جيوشه...

قامت هذه الحكومة بإدارة محدودة، لم تكن في نطاق سابقتها وتكونت آنئذٍ حكومات أخرى فارسية كحكومة آل مظفر، ومغولية كالحكومة السلدوزية (الچوبانية)، وسائر الحكومات المتغلبة مما مر ذكرها فوجدت هذه الحكومة معارضات ومقارعات شديدة... ولم تستقر لها الإدارة إلا بعد مدة... وكان يؤمل منها بعض النفع لولا أن السلطان أحمد كدر الراحة، وظهور تيمور الفاتح العظيم في هذه الأيام نغص الطمأنينة... والأول اشتبه من الأمراء فصار يقتل فيهم والآخر جاء كأنه صاعقة أصابت العالم، أو طاعون فتاك استولى... أو طوفان جارف أتى بسيله... فمحا حكومات كثيرة مبعثرة الحالات ومضطربة الجانب... ومنها الجلايرية إلا أن سلطانها (السلطان أحمد) لم يقف عند نكبة، أو يسلم لغائلة... مكتوف الأيدي مستسلماً للقضاء... وإنما كان يترقب الفرص، وينتهز الوضع... للتحفز والقيام... وهو في حالة بين اليأس والرجاء [illegible] المغصوب إلا أنه جاءه البلاء من متفقه بالأمس الأمير قرا يوسف، حليفه في السراء والضراء... أو بالتعبير الأصح تولدت فيه آمال جديدة ولم يكتف ببغداد فسعى لحتفه بظلفه... ومهما كانت الدواعي، والأوضاع السياسية قضي عليه وانقرضت حكومته وزالت من العراق وبعد مدة صارت في خبر كان ولم يبق إلا اسمها وبعض حوادثها مدونة في بطون الكتب...

وهذه الحكومة كسابقتها لم ينل العراق حظاً منها بل أصيب بنكبة من تيمور فلا تقل عن القارعة الأولى (على يد هلاكو) وكان قد ذاع عن تيمورلنك أنه أمر بتعمير بغداد وإعادة ما خرب منها وهيهات أخنى عليه الدهر قبل أن ينال العراق منه وطراً... ففي أيام تيمور لم ينل العراق ما يستحق التنويه والذكر وإنما هناك حروب وثورات واضطرابات...

وتخريبات... أما الجلايرية فنعتبرهم أهون الشرين والاستفادة منهم مصروفة إلى أن العراق كان قد اتخذ عاصمة لهم في غالب عهدهم فأصابته العمارة نوعاً، أو النضارة لا لأهليه بل ليروا ويبصروا...

ولا أمل للعراقي أن يصل إلى مأرب، أو يحصل على مطلوب، أو ينال سعة من رزق وهؤلاء لم يقصر أحد منهم في نهبه وسلبه الأتعاب والممتلكات ما وجد إلى ذلك سبيلاً، لا يرغب إلا في سد نهمه... والعراقي أشبه بالحيوان الأعجم يطعم ليحمل الأثقال، أو ليقوم بالخدمة والحاجة... تنازعت هذه الحكومات بينها للاستيلاء علينا، وتقابلت بسببنا... ولا هم لواحدة منها إلا التنعم بنا...

وعلى كل قضي على هذه الحكومة لتخلفها حكومة جديدة مثلها أو دونها... وكتبت علينا الأرزاء وكل جديد في الحكم يتطلب نفعاً منها جديداً وكثيراً، يريد أن نكون (بقرة حلوباً)، أو (دابة ركوباً)... وهكذا لا ندري مصيرنا في هذا العصر وما ستجره الأيام من الويلات... والبدوي أهون شراً، وأقل كلفة، يركن إلى المواطن البعيدة، والخافية عن الأنظار، أو أنه يخطب الحكومة لتعطي له الإمارة على جملة قبائل... وتميل العشائر إلى الأقوى من هؤلاء التماساً وراء الراحة والاستفادة... والأحوال الحربية المتوالية، والمعارك الدامية مما شوش النظام الداخلي وقضى على الإدارة الثابتة والمطردة... ولولا الموقوفات لأهل الخير لما عمرت المدارس ولذهبت ريح العلم من البين إلا أن بقايا العلماء ذهبوا إلى البلاد الأخرى من طريق الحج أو ما ماثل من الأعذار فنجد العلماء العراقيين قد انتشروا في الأطراف ولم يعلم عن الباقين إلا القليل... وسير الحالة على ما سيوضح...

هذا والحديث ذو شجون، لا يحتمل البيان أكثر...

الثقافة

أو العلوم والمعارف

للأوضاع السياسية ارتباط قوي بالثقافة، فكلما ضيقت السياسة الخناق على الأهلين شغلوا بأنفسهم، وعادوا لا يلتفتون إلى العلوم والآداب... أو أنها ألهت من النظر إلى ما يفيد... وكلما خلد الناس إلى الراحة وسكنت الحالة واطردت... مالوا بكليتهم إلى التربية والتهذيب.. والقضايا الاجتماعية متماسكة فإذا تخلخلت ناحية اضطربت سائر النواحي...

وقد قدمنا أثناء ذكر الحوادث وفيات علماء مشاهير، وأدباء معروفين أيام هذه الحكومة ما يعين الحالة الراهنة والأمر الواقع، ولا مجال للإسهاب هنا ولكننا نتبصّر في درجة اهتمام العراق بالعلوم، والتهذيب وقل بالنتيجة الحضارة ومقوماتها فإنه لم ينس ذكرى الماضي، واستعادة زهوه كلما وجد إلى ذلك سبيلاً...

نعلم أن المدارس كانت من أعظم المؤسسات العلمية والدينية، كان ولا يزال مقياسها كبيراً، ونطاقها واسعاً خصوصاً في هذا العصر فقد أنشئت مجموعة مهمة منها... ولعل الباعث المهم أن بغداد صارت عاصمة كما أشير إلى ذلك فيما سبق أو أن النفسيات ملت من الظلم وضجرت من القسوة فمالت إلى دور العبادة، والمدارس وركنت إلى تأسيس مثل هذه.. ونرى الأول هو الصحيح لأن العمارات زادت، وكثر البذخ، فانصرف أهل الخير بسبب الغنى إلى هذه العمارات... فكانت من أكبر عوامل الثقافة، والمعرفة العلمية الصحيحة...

والمدارس المؤسسة في هذا العهد، وكذا الجوامع تكفي للدلالة على الاهتمام بالعلوم والغالب أن لا يخلو مسجد من مدرسة، ولا

مدرسة من مسجد وفيها المدرسون الموظفون أو بصورة حسبية... وأشهر المؤسسات من هذا النوع:

١ ـ مدرسة مرجان.

٢ ـ المدرسة الوفائية.

٣ ـ مدرسة الخواجة مسعود.

٤ ـ مدرسة العاقولي. أصل وضعه مدرسة صغيرة فنال شكلاً موسعاً.

٥ ـ جامع سراج الدين.

٦ ـ جامع النعماني.

٧ ـ مدرسة سيد سلطان علي.

٨ ـ مدرسة الوزير إسماعيل. وهذه لم تتم. وإنما صلب فيها مؤسسها فصارت تسمى بـ «جامع المصلوب»[١].

وهذه إذا أضيفت إلى بقايا المدارس السابقة استكثرنا العدد، وعلمنا أن الرغبة كانت كبيرة، والمدارس مفتوحة ولم تسد في وجه طالب... وأهل الخير وقفوا الموقوفات الدائمة لبقاء مهجتها وحفظ عينها وعرضت للاستفادة. اشتهر في التدريس بها علماء ذاع صيتهم، وبعدت شهرتهم... وبينهم كثيرون لم نعثر على تراجم لهم، والمعروف مقتضب وثبتناه على علاته حتى نجد ما يوسع في المعرفة ويزيد في العلم

---

(١) مر في ترجمته شروع الوزير في بنائها وأنه أراد أن يقيمها بأحجار طاق كسرى فمنعه العاقولي وقدم له ما يجب من الأجر ولما أراد النجار أن يقطع خشبة من أخشاب البناء البارزة وطلب إليه ذلك منعه وقال لعلها يصلب فيها أحد فكان هو المصلوب...

بهم. فهذا الفيروز آبادي صاحب القاموس جاء بغداد سنة ٧٤٥ هـ وبقي إلى سنة ٧٥٥ هـ قرأ على:

١ ـ الشهاب أحمد بن علي الديواني في واسط.

٢ ـ التاج محمد بن السباك.

٣ ـ السراج عمر بن علي القزويني خاتمة أصحاب الرشيد بن أبي القاسم.

٤ ـ محمد بن العاقولي.

٥ ـ نصر الله بن محمد ابن الكتبي.

٦ ـ الشرف عبد الله بن بكتاش قاضي بغداد ومدرس النظامية. وكان الفيروز آبادي عمل عنده معيدا.

ولا نزال نجهل تراجم بعض هؤلاء المشاهير ومكانتهم العلمية والأدبية... وهم في أيام هذا الرجل من رجال الإجازة وأساتذة العلم، وبالتلقي عنهم اشتهر...

والأمر لا يقتصر على هؤلاء ممن مرت تراجمهم خلال سطور الكتاب بصورة مختصرة أو مقتضبة على الرغم من القدرة العلمية والأدبية... وإنما هناك رجال عمل وتدريس دون التدريس العالي، والتدريسات الأولية التي لا يستغنى عنها... وقد نهجت هذه كلها في حياتها نهجاً صالحاً وبدرجات متفاوتة لمختلف الثقافات وضروبها... حتى تربية العوام والسواد الأعظم وتهذيبهم وهناك الوعظ والإرشاد وفائدته كبيرة جداً... ولم يهمل... والقوم لاحظوا كافة صنوف الناس وأسسوا لهم المؤسسات..

وعلى كل أرقى صنوف المعرفة يتولاها أكابر المدرسين كمدرسي المستنصرية والنظامية وأمثالهم وهو ما يراد به عندنا ما يراد بـ (أستاذ).

وهؤلاء (رجال الإجازة) فهم الذين يتولون حق منح الإذن بالتدريس كواحد منهم فيقوم بمهمة قريبة من مهمة أستاذه المتخرج عليه.. إلى أن ينال مكانته بما يظهر فيه من مواهب. ولا يصل إلى هذه المنزلة إلا من تيسرت له القدرة العلمية والكفاءة التامة في حل الغوامض والمشاكل وزاول بتدريب أستاذه ما يؤهله للاستغناء عنه بنفسه... وغالب علماء العراق معروفون فيه وفي أقطار عديدة...

تلك السيرة المنتظمة التي مضى عليها العلماء لم يفسدها تبديل مناهج، ولا تحويل مدرسين، ولا تغيير أساليب أو كتب مدرسية.. وإنما نراها سائرة إلى الكمال، ومستمدة ثقافتها من نفس بيئتها وما تدعو إليه... ولكن أثرت فيها السياسة الغربية والثقافة الإيرانية وكان قد أشبع بها رجال الحكومة وملوكها... فأهملت تلك الثقافة، وزالت فائدتها فبعد أن كان رجال الدولة من متخرجي هذه المدارس والجادين لصلاحها وإصلاحها... صار الوزراء الأجانب ينظرون إليها بعين الريبة والخوف، ويخشون أن يقدم أحد رجالها عليهم... بل صاروا لا يأمنون أحداً من العراقيين فقدموا أمثالهم ليحتفظوا بمراكزهم ولم ينظروا إلى الكفاءة العلمية، ولا درجة الثقافة في العلوم والصناعات (هذا من شيعته وهذا من عدوه).. ومن ثم صار لسان حال هؤلاء العلماء يقول:

إذا كان علم الناس ليس بنافع ... ولا دافع فالخسر للعلماء

مالوا إلى الإمامة، والخطابة، والوعظ، والتدريس وهو أرقى المناصب، أو القضاء ولا يحصل دائماً فانحصرت فائدة العلوم ومطالبها في هذه الأمور فانحطت المدارك، وتركوا السياسة ومشتقاتها... وصارت مخصصاتهم لا تكفي لسد الرمق والحاجة وصار غيرهم يتنعم بأنواع النعيم وكل خيرات البلاد بأيديهم... فإذا قال العالم:

غزلت لهم غزلاً دقيقاً فلم أجد ... لغزلي نساجاً فكسرت مغزلي

لا يعدو شاكلة الصواب...

دعا سوء هذه الأوضاع من إهمال شأن العلماء أن صارت مؤسساتهم العلمية ودور ثقافتهم لأنفسهم، ولينالوا حظاً من رغبتهم لا أن يكونوا رجال الدولة، أو أعضاءها الفعالة... ومن أراد حظاً من ذلك وطمحت نفسه إلى أكثر مما هو فيه مال إلى الخارج. والتاريخ دوّن الكثيرين... أو انكب على لغة القوم وآدابهم ليحصل على بعض حظوظهم أو يأمن غوائلهم... ذلك كله بعد أن كان أولئك القوم قد اتخذوا مناهج ثقافية متعددة وبصورة متوالية لإدراك اللغة العربية وعلومها بالترجمة وبوسائل أخرى... وهذه الأيام بدء دور الاستقلال بالثقافة...

وهكذا يقال عن الآداب من منظوم ومنثور كانت واسعة الخطى، وغزيرة المادة فركدت لما أصابها من خذلان فاشتهر أدباء العراق في غير العراق، وذاع صيت شعراء الفرس في نفس العراق. ولم يعد بالإمكان صد تيار السيل الجارف. وإن تعديل المناهج وتدريس اللغة الفارسية وآدابها لا يؤدي إلى مجاراة العصر. لأن العراق لو انقلب منطقة فارسية وأهمل أهلوه لغتهم وثقافتهم لما نالوا غير منزلتهم فالعروة كانت بيد الكواز، والقوم لا يقربون سوى أبناء جلدتهم. ونبغ في العراق بعض شعرائهم ممن له الذكر العظيم عندهم...

هذه الأشكال ظاهرة عياناً، وإن فتح المدارس الجديدة لم يعوض الخلل، ولا وقف تيار هذا الإفساد في الثقافة وإنما تمادى ولم يظهر بوضوح إلا في العصور التالية إذ لا تزال بقية باقية... ولكن تحقق بصورة جلية أن تلك الثقافة يصح أن يقال فيها (علم لا ينفع وجهل لا يضر).

ولا يفوتنا أن نقول إن هذا العصر تفوق على غيره بكثرة مدارسه وتنوع علومه.. مع القطع بأن الفارسية استعانت كثيراً بهذه المدارس،

واستفادت من علومها لتكتسب ثقافتها... فتكون لهم مجموع استغنوا به، وتمكنت هذه أكثر بتوالي العصور، ترجموا، وألفوا، ونظموا... إلى أن صار رأس مالهم كبيراً جداً. ويعد هذا الزمن عهد انتصار الصراع بين العربية والفارسية... بعد أن كانت الثقافة الفارسية ضئيلة في العهد العباسي وكان العرب يقتنصون أصحاب المواهب منهم فصار الكثيرون من أدباء العرب قد مالوا إلى الآداب الفارسية ونالوا نصيباً منها... فانعكست الآية...

ولا لوم على الفارسي أن يخدم ثقافته فهذا مما يمدح عليه... ولكننا دوّنا ما وقع وأوضحنا وجهة العلاقة ودرجة التمكن، والتيار الذي جرى... لا بقصد التعديل بل بيان الأسباب والبواعث لما حصل...

وعلى كل إن العراق استولت عليه الإدارة الفارسية فأثرت على ثقافته ولغته وأدت إلى إدخال ألفاظ فارسية في العامية وفي الفصحى.. حتى دخلت في التهجي (زير، زبر، [illegible]) وهكذا مما لا يسع القول فيه أكثر من هذا.

الصناعات الجميلة

أصل الصناعات في العراق يرجع إلى عهد بعيد جداً إلى ما قبل العصور الإسلامية بآلاف السنين إلا أن الطرز اختلف، والرغبة الأخيرة في هذا العصر خاصة توجهت إلى نواح جديدة ما زالت ولا تزال في تغير مستمر.. فإذا اندثر شكل، أو مات نوع.. تغير إلى آخر؛ أو خلفه غيره.. وأوضح مظاهرها في هذه الأيام التصوير، والتطريز، والنقش، وزخرف العمارات والأواني والحلي والأسلحة... ومثلها الموسيقى والغناء، والخط والتفنن فيه، والتجليد، والتذهيب والرصد وآلاته، والفلك وبروجه... وهكذا.

ويطول بنا تعداد ما هنالك، وأول أمر يلفت النظر ما له ارتباط وعلاقة بالآثار الإسلامية، ويكفي لمعرفة المتكامل منها عندنا أن نسرح أبصارنا في آثار مملكتنا ومخلداتها؛ أو في المنقول منها إلى متاحف استانبول والمدن الكبرى أمثال متاحف برلين وباريس ولندن وأميركا... فنرى هذه قد بلغت المنتهى من الاتقان، وفيها ما يمثل المجالس العلمية، ومجتمعات العلم والأدب، أو الخلاعة أو الحروب والصيد... وهكذا مما يبهر الناظر، ويسترعي وقوف البصر حيران مبهوتاً، أو على الأقل يدعنا نقطع بأن الصانع العراقي قطع شوطاً في الصبر والمثابرة على إكمال مهمته، والتفوق في مهنته بما زاوله... سواء كان في محاذاة غيره أو محاكاة الطبيعة، وتقليد ما في أيدي الآخرين... أو كان عمله مما أبدعه أو اخترعه خياله، أو ابتكره ذوقه...

إن الصناعة وكمالها، والنقش وضروبه... تجتذب النفوس إليها بمرآها، ويهيج الشعور الحي بدقتها، ويؤدي إلى درجة الاعتناء بالفنون الجميلة... ولا تكفي هذه وإنما يجب أن نتفحص تطورها، أو سيرها التاريخي في مختلف الأزمان... ولكن لا مجال لنا إلا أن ننظر إلى حالتها التي عليها في هذا العهد من بين العصور الأخرى لنشاهد إلى أي جهة سائرة... فنكون على بينة من حركة الفنون الجميلة والصناعات النفيسة فنعلم أثرها في مفترق الطرق، وما ولدته العصور أو الحضارات حتى برزت... فتدهورت وانحطت أو تكاملت وارتفع شأنها...

كان العصر العباسي من أوضح العصور الإسلامية في تكامله، لا يخلو من التأثر بالصناعات قبله ولكنه جاء بها موافقة لذوقه ومعرفته، وتابعة لمقتضى تربيته ونحو ما يرغب فيه... فكان لها طابعها الخاص... وأما في العصر المغولي فقد جاءت مستقاة من ناحية صينية وتغلبت عليها حتى في ثقافاتها الأخرى، ولا تخلو من التأثر بالصناعات

الإيرانية، أو أن الإيرانيين اقتبسوها ممزوجة بما عندهم وموافقة لميولهم، أو متصلة بآدابهم ومألوفاتهم...

والعراق لم يخرج عن هذه الأوصاف وإن كان للمحيط حكمه وأثره، وللأدب نزعته واتصاله... ففي هذا العهد نرى الطوابع مرسومة، والنقوش ثابتة، والعلاقة ظاهرة للعيان... فإذا عددنا نقاشاً واحداً، أو مذهباً، أو بضعة خطاطين أو بنائين في عصر أو عدة عصور فهذا لا يدل على أن العصر أو العصور لم تنجب غير هذا، أو عقمت أن تلد مثله ولم تنتج سواه... وإنما كان نسيان العصر لرجاله، أو فقدان آثارهم، أو تجول هذه الآثار في الأقطار حتى خفيت، أو ضياع التواريخ بسبب الحوادث، أو جهل العصور التالية كل هذه لا تمنع من التعرف بالآثار الموجودة والمخلدة في المتاحف، أو الاطلاع على جماعة من أصحابها...

ـ نعم صرنا نتحرى الآثار [illegible] قوة الصناعة ودقتها، ودرجة رقيها فلو عدمنا التاريخ فلا [illegible]... ولعل في هذه ما يغني أو يبصر بما كان.. فالخطاطون نوعاً معروفون واشتهر منهم جماعة في هذا العصر، والكل ساروا على منوال ياقوت المستعصمي... فهو أستاذ الجميع في الأيام الأخيرة، وصلتهم به موصولة... وتوالوا بعده إلى أن جاء رجال الوقت المعاصرون، وقد قدمنا ذكر جماعة منهم عند حوادث الوفيات وأخص بالذكر السلطان أويس، والسلطان أحمد، والسلطان إبراهيم بن شاه رخ بن تيمورلنك من الملوك..

وبكل أسف أقول نحن في حاجة أكيدة للحصول على نماذج من خطوطهم وأن نتحرى عنها في مختلف المتاحف ودور الكتب لنتمكن من إدراك الصناعة بمعناها ولو في الخط خاصة ولا يكفينا أن نعلم أسماء جماعة ممن فاقوا في الخط دون أن نعرف درجة حسن خطوطهم، وقيمة

ما كتبوه علمياً ودرجة تطور هذه الصناعة بمن قامت بهم... حتى نالوا الحظ الوافر من الشهرة لحد أن صاروا أساتذة الخط عند جميع الأمم الإسلامية...

ولا ننسى أن الغالب في الناس أن يجعلوا هؤلاء الأساتذة واسطة الوصول وسلمه إلى أستاذ الخط بالاستحقاق فلم يشاؤوا أن يحتفظوا بنماذج منها، وإنما يقفون عند الأصل... والسند أو الصلة الفنية مقصورة في الغالب على الخط، ولا نجد أساتذة موصولي السند في النقش وفي غيره كالتجليد والتذهيب، والرسم وما ماثل... فلم نحرص على رجال الصناعات، ولا علمنا مدونات عنهم بصورة متوالية، ولا حفظنا أسماء أصحابها إلا أن يكون صاحب الأثر قد دون اسمه مثل النقاش الخطاط زرين قلم في نقوشه وخطوطه على بناية جامع مرجان وخان الأورتمة وعبد علي النقاش وكان قد استخدم في بلاط سمرقند ايام تيمور... وكان عمل تيمور على أن يجمع في عاصمته سمرقند أكبر عدد ممكن من الفنانين والصناع تنقل إليها مئات المصورين من بغداد وتبريز وغيرهما من البلاد التي استولى عليها ومع ذلك ظلت بغداد وتبريز مركزين لصناعة التصوير...[1].

وفي المتحفة البريطانية نسخة من قصائد خواجو الكرماني المسماة بـ (هماي وهمايون) المار ذكرها سابقاً. كتبت بخط مير علي التبريزي الخطاط المشهور في بغداد سنة ٧٩٩ هـ (١٣٩٦ م)، وعلى إحدى صوره توقيع الفنان الفارسي جنيد السلطاني الذي كان في خدمة السلطان أحمد

(١) التصوير في الإسلام ص ٣٨ تأليف الدكتور زكي محمد حسن أمين دار الآثار العربية بمصر وكتابه مفيد جداً إلا أنه لا يخلو من بعض الهنات الهينات مثل عده السلطان أويس آخر ملوك الجلايرية في حين أنه أراد السلطان أحمد... وما شابه... مما لا يخلو منها كتاب وغالبها شطة قلم.

الجلايري ببغداد وهناك نسخة أخرى بخط أحمد التبريزي ترجع إلى هذا العهد وهي علة قصائد منها تاريخ منظوم لفتوح جنكيزخان...

وفي هذين المخطوطين من الصور ما يعين عصر الجلايرية فإن أمثال هؤلاء عاشوا في عهد هذه الحكومة وتعهدها... وإن السلطان أحمد كان من الملوك الذين عالجوا التصوير وأصابوا فيه نجاحاً وهكذا قل عنه في الموسيقى....[1].

ونحن مهما اتخذنا طريق الصناعة وقربنا هذه الآثار بعضها من بعض وأظهرناها مجموعة لا تعين لنا حقيقة العصر وما هي عليه... فإن الفنون الجميلة لا ينبغ فيها إلا أفراد... وهي لا تصلح لمقارنة العصور... ونخطىء كثيراً إذا قابلنا الموجود بآخر وظهرت بعض مزاياه على غيره فهذا ليس بالقطعي لإراءة العصر ولما لم تحط خبراً بكل ما للعصر، وإن غالب من كتبوا اتخذوا المعروف لديهم أساس المعرفة فلا يقطع في حكمهم وقد قدمنا نماذج في العصر المغولي والظاهر أن التكامل قد سار في طريقه سيراً معقولاً، ومشى بخطى واسعة بالنظر لما عرف وأن التطور الحاصل طبيعي لتوالي العصور في المعرفة ونزوعها إلى ما تبتغيه...

أما فن الموسيقى فإن أصل تمكنه ورسوخه يرجع إلى عهد صفي الدين عبد المؤمن أيام العهد المغولي... ففي أيامه اكسب قواعده تثبيتاً، وأنالها شكلاً علمياً، ولم يقف على الأخذ... وآخر من عرفناهم في هذا العصر السلطان أحمد فإنه كان نابغة فيه.. ولكننا نقول بكل صراحة إننا لم نعرف أساتذته في هذا الفن، ولا اطلعنا على قائمة ندمائه فيه... ممن لهم رغبة في الموسيقى واتقان في الصناعة... وعلى كل سلك الباقون التالون على نهج الصفي...

---

(١) التصوير في الإسلام ص ٣٩.

أما الأبنية والعمارات وما فيها من زينة نقوش وخطوط وهندسة... فإن أمثلتها على الرغم من قلة الباقي من الآثار كافية لإظهار بدائع الصناعة والنقش والخط... فإنها تمثل المشاهد في الكتب، أو هي تقريب منه، كما أن إحكام مادة البناء، وصناعته الهندسية... دليل عظمة الفن... ومن هذه الأمثلة بناء جامع مرجان وجامع العاقولي، وخان الأورتمة، وبعض الآثار الأخرى...

والحاصل أن هذه النواحي وغيرها مما يتعلق بالصناعة ومقوماتها تحتاج إلى مباحث كثيرة ومستقلة بأن توسع بإسهاب لتعرض على القراء لتعيين ما هم فيه، ومقابلته بما كانوا عليه... وأقف عند هذا الحد. مكتفياً بعرض الصور الفنية...



خاتمة

من الوقائع السابقة والمباحث المدونة أعلاه أعتقد أن قد وضح نوعاً وضع العراق السياسي والعلمي وذلك قدر ما سمحت لنا به الوثائق والمستطاع من مطالعة الآثار العديدة... وإذا كانت الوقائع لم تكشف المطالب أكثر مما هو الموجود فهي على الأقل تبصر بما يفي بسد رغبة العديدين ويغنيهم عن زيادة التطويل.

والتاريخ العلمي والأدبي كفيل ببيان نواح مختلفة أخرى، لها مساس مباشر بالثقافة والمعارف، أو الصناعة وضروب الحضارة... وغاية ما يصح أن نقوله عن السير التاريخي في عصور كهذه متقاربة أنه لا يختلف الوضع اختلافاً كبيراً عما اعتاده الناس وألفوه أيام المغول، أو قبلهم... فالواحد مفسر للآخر ما دمنا لم نجد خلافه.. لأن النهج الاجتماعي لا يتبدل بسرعة وسهولة... فإذا كانت الحكومة المتوالية لا تهتم بالثقافة والتعليم كما هو الغالب من أحوالها وأوضاعها تجاه هذا القطر فالناس ماشون في طريقهم إلى تربية ذاتية، وطرز تهذيب من شأنه أن يرفع المستوى ويؤدي إلى استقرار العلوم وتقدمها.

وكل ما ألهى الناس، وصرفهم من غوائل أو وقائع مؤلمة... أحدث فيهم أثراً سيئاً، وغفلة من ضروب التعليم.. نظراً للتلازم القوي بين السياسة والاجتماع أو حالة القوم تجاه النكبات... مما لا يصح

إهماله أو عدم الالتفات إلى ما أبقاه من علاقة...

ولعل أكبر مانع حال دون غربة الأهلين من أهل المدن خاصة ما جرى عليهم من ظلم وقسوة وما أصابهم من عسف بسبب الحروب العظيمة وتفاقم شرورها.... فإنهم كانوا أقرب من شاة للذبح فالوقائع المتوالية أكبر سبب لإماتة الثقافة والصناعة، وركود روح النشاط العلمي وحب الاتقان...

والنظرة في مثل هذه المواقف سريعة بأمل اطلاع القارىء على تيار الحوادث مجملاً وما تركته في النفوس من أثر أو ما أبقته من تغير في الصناعة وسيرها الرديء الذي رأيناه في العصور التالية بوضوح أكبر... والمجال لا يحتمل التفصيل أكثر من هذا. والباقي للأجزاء الأخرى.. والله ولي الأمر.

تكملة:

جامع السيد سلطان علي

كنا قد تكلمنا على هذا الجامع بما وصل إلينا...[1] والآن بعد أن أوشك طبع الكتاب أن يتم عثرتُ على مجموعة عند بعض الأصدقاء الأفاضل فرأيت فيها ما ملخصه:

«السيد أبو الحسن علي بن يحيى بن ثابت بن حازم بن أحمد بن علي بن رفاعة الحسن المكي نزيل اشبيلية الرفاعي الحسيني.. السيد الشريف سلطان العارفين... ولد في البصرة عام ٤٥٩ هـ. وتوفي أبوه السيد يحيى النقيب وله سنة واحدة، وكفله أخواله الأنصار وبنو خالته آل

(١) راجع المجلد الأول من هذا الكتاب.

الصيرفي الأمراء المشهورون في البصرة وشب على التقوى وأخذ العلم والطريقة عن جده لأمه الشيخ الكامل موسى أبي سعيد النجاري الأنصاري شيخ البطائحيين، ولا زال يتردد إلى البطائح لزيارة ابن خاله الشيخ الكبير السيد منصور الأنصاري... وفي سنة ٤٩٧ هـ سكن البطائح بأمر الشيخ منصور وبتلك السنة زوجه بأخته... فاطمة الأنصارية فأعقب منها أولاداً مباركين أعظمهم شيخ الوقت، إمام الهدى السيد أحمد الكبير الرفاعي... وكانت إقامة السيد أبي الحسن علي صاحب الترجمة بقرية حسن من البطائح... إلى أن جاءت سنة ٥١٩ هـ فوقعت الفتن الكثيرة... بواسط وكان إمام أهل السنة والمشار إليه بين طوائف الصوفية والزهاد ورجال العترة المحمدية... فأجمع الناس على سفره لبغداد... فتوجه... ونزل بيت الأمير مالك المسيب برأس القرية محلة ببغداد، وقد كتب بشأنه للخليفة ما يلزم أن يكتب عماد الدين زنكي صاحب واسط فأعزه الخليفة ورفع مكانه... (ثم مرض) وبعد أسبوع من مرضه توفي فعمل له الأمير مالك مشهداً برأس القرية. وهو إلى الآن يزار ويتبرك به، وله منزلة في قلوب العامة...» اهـ.

وهذه المجموعة تسمى «كتاب روضة الأعيان في أخبار مشاهير الزمان» أولها: الحمد لله الأول والآخر... إلخ للعلامة المحقق المدقق محمد بن أبي بكر بن علي بن عبد الملك بن حماد بن دكين، ولا أدري من هو مؤلفها... أما تاريخها فهو ٥ رجب سنة ١٣٠٥ ولم يذكر كاتبها تاريخ نقلها، وفيها مباحث تاريخية وأدبية وتتعرض كثيراً للرفاعية ورجالها... وتتصل بهم إلى القرن العاشر ولم تتجاوز ذلك وقد رأيت عليها خط المرحوم السيد شاكر الآلوسي في غرة شعبان هذه السنة...

ثم رأيت (كتاب روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين) للشيخ أحمد بن محمد الوتري المتوفى في عشر الثمانين وتسعمائة هجرية ينقل

النص المذكور بعينه وكان قد أتم تلخيصه من كتابه (مناقب الصالحين ومحجة أهل اليقين) سنة ٩٦٣ هـ. وطبع كتاب روضة الناظرين في مصر سنة ١٣٠٦ هـ.

ونحن في حاجة ماسة إلى ما يؤيد هذا النقل أو يكشف غوامض تاريخنا... ولعل في القراء من له علم أو نص يصلح في موضوع هذا الجامع...



الفهارس العامة



١ ـ فهرس الأعلام

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

٢ ـ فهرس الشعوب والقبائل والنحل

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف النون

حرف الهاء

حرف الياء



٣ ـ فهرس المدن والأماكن

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

٤ ـ فهرس الكتب

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

٥ ـ فهرس الألفاظ الدخيلة والغريبة



٦ ـ فهرس الصور

٧ ـ فهرس الموضوعات